آل الجراح ودورهم في سياسة الدولة العباسية

٢٤٧-٣٣٤هـ/ ٨٦١-٩٤٥م

دراسة تاريخية

AL-al-Jarrah and Their Role in The Policy of The Abbasid State 247-334A.H./ 861-945 A.D

إعداد الطالب

عماد عبد الكريم أحمد خلوف

(٩٦٢٠٣٠٣٠٠١)

إشراف

أ.د. فاروق عمر فوزي

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
أ.د. فاروق عمر فوزي (مشرفاً ورئيساً)	
د. هند أبو الشعر	
د. ناجي عبدالله	
أ.د. عبدالعزيز الدوري (عضواً)	

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم التاريخ الإسلامي في كلية الآداب والعلوم في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

آل الجراح ودورهم في سياسة الدولة العباسية

٢٤٧-٣٣٤هـ/٨٦١ - ٩٤٥م

دراسة تاريخية

إعداد الطالب

عماد عبد الكريم أحمد خلوف

٩٦٢٠٣٠٣٠٠١

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط بقسم التاريخ الإسلامي في جامعة آل البيت.

أعضاء لجنة المناقشة:

الاستاذ الدكتور فاروق عمر فوزي..مشرفا ورئيسا

الاستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري ....عضوا

الدكتورة ناجية عبدالله ....عضواً

الدكتورة هند أبو الشعر..عضواً

الإهداء

إلى شاطئ الأمان .. أبي

إلى ينبوع الحنان... أمي

برا وإحسانا

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء

حبا وتقديرا

* * *

إلى كل باحث عن الحقيقة، متجرد عن العلائق، منطلق بلا عوائق

إجلالا وإكبارا

إلى الذي ساهم في رص لبنات هذا العمل، ومد يد العون لإخراجه في صورته النهائية..

تحية وسلاما.

... هذا الجهد

عماد خلوف

الشكر :

أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور فاروق عمر فوزي الـــذي كـــان لإشرافه على هذه الدراسة طيلة مدة إعدادها. الفضل في إخراجها على ما هـــي عليـــه الآن، إذ منحني من جهده ووقته وعلمه الشيء الكثير. وكانت إرشاداته وتوجيهاته الضوء الذي أنار لـــي الطريق لإنجاز هذه الدراسة حتى وصلت إلى شكلها النهائي، مما عزز لدي روح الجد والاجتهاد بتشجيعه الدائم في الدراسة والبحث لأقدم هذا العمل المتواضع، والذي أرجو أن أكون قد وفقـــت في إنجازه على أني مقر بالتقصير، فلا أقول أن الغلط سهو جرى به القلم، بل أعترف بـــأن مـــا أجهل أكثر مما أعلم.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين اجهدوا أنفسهم في قراءة هـــذه الدراسة وتقويمها.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر أيضا إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة أثناء إعداد هـــذه الدراسة، منهم الدكتور تقي الدين عارف الدوري والدكتور عز الدين عمر موسى وإلى الأخـــوة أسرة مكتبة جامعة اليرموك ممثلة بكادرها الوظيفي لما أبدوه من تفهم وتعـــاون. والســـماح لـــي للاستفادة من مرافق المكتبة المختلفة، فلهم مني كل الشكر والتقدير.

المحتويات

الاختصارات المستخدمة

ت: توفي

هـ: هجري

م: ميلادي

ط: طبعة

ج: جزء

ص : صفحة

د.م.: دون محقق

د.ط.: دون طبعة

د.د.ن. : دون دار نشر

د.م.ن.: دون مكان نشر

د.ت.: دون تاريخ

ق : قسم

قائمة الملاحق

الملخص باللغة العربية :

بدأ نشاط أسرة آل الجراح يظهر على مسارح الأحداث السياسية في الدولة العباسية في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ٢٤٧-٣٣٤ هـ/ ٨٦١-٩٩٤م، حيث استطاعت هذه السرة أن تثبت وجودها، وتنال ثقة الخلفاء العباسيين كنتيجة طبيعية لما يتمتع به أفراد هذه الأسرة من مؤهلات إدارية وكفاءة علمية، إلى أن ولي خمسة منهم منصب الوزارة العباسية في فترات متفاوتة، بالإضافة إلى الدور البارز الذي لعبوه في الأحداث السياسية التي شهدتها بغداد في ذلك الوقت.

وقد اشتملت الدراسة على تمهيد وفصول ثلاثة، إذ جاء التمهيد لبيان الظروف السياسية من المظاهر العامة التي برز فيها وزراء آل الجراح من استفحال نفوذ القادة العسكريين الأتراك في الدولة العباسية، ومن ثم التعرف على أصل أسرة آل الجراح، ونسب أفرادها كما أظهر المؤهلات الإدارية والعلمية لأفراد هذه الأسرة مما مكنهم من الوصول إلى منصب الوزارة.

ويبحث الفصل الأول في كيفية تولي بعض أفراد أسرة آل الجراح الوزارة العباسية في الفترة ٢٦٣-٣٢٩هـ/ ٨٧٦-٩٤٠م. إذ تناول الظروف السياسية والاقتصادية والإدارية التي تولى فيها آل الجراح الوزارة، ثم تناول الأعمال والوظائف الإدارية التي شغلها هؤلاء الوزراء قبل توليهم الوزارة، كما تحدث عن أبرز الأحداث السياسية والإدارية والمالية التي ظهرت أثناء توليهم الوزارة وعلاقاتهم مع مراكز القوى المختلفة، بالإضافة إلى الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك في الخفاء ضد بعضهم، وأخيرا كيفية عزلهم عن الوزارة وتعرضهم لسياسة المصادرة.

أما الفصل الثاني فقد ركز على السياسية الإدارية والمالية لوزراء آل الجراح المتتابعين أثناء توليهم الوزارة، ودورهم في الإصلاح الإداري والمالي، بالإضافة إلى أثرهم في تطور الحركة العلمية، إذ تناول الفصل في هذه الأمور لكل وزير على حده وبالتفصيل.

وفي الفصل الثالث فقد تناولت الدراسة موقف وزراء آل الجراح من حركات المعارضة التي ظهرت خلال تولي وزراء آل الجراح الوزارة والتي تمثلت في حركة الزنج ثم حركات القرامطة التي تصدى لها الوزير علي بن عيسى بن الجراح، وأخيرا حركات العلويين والتي استطاع بعضها تأسيس كيان سياسي منافس للخلافة العباسية في بغداد، عملت في مجملها على تصديع كيان الخلافة العباسية.

وبعد البحث تبين أن وزراء آل الجراح ظلوا يشغلون منصب الوزارة للخلفاء العباسيين مدة طويلة، وكان لتمرسهم في الحياة الإدارية وممارسة الشؤون السياسية أثر في استخدام الخلافة العباسية لهم.

وقد أظهرت الدراسة أهمية أفراد أسرة آل الجراح، والدور البارز الذي لعبوه في الأحداث السياسية التي شهدتها بغداد ذلك الوقت والنشاط الإداري والمالي الذي مارسوه من خلال توليهم الوزارة العباسية.

كما أظهر لنا مدى تدخل القادة العسكريين الترك في شؤون الدولة وأجهزتها ومنها مؤسسة الوزارة، مما أدى إلى الضعف والوهن الذي أصاب الخلفاء العباسيين في ظل السيطرة العسكرية التركية.

المقدمة

نطاق البحث والتعريف بالمصادر الأولية والمراجع الحديثة ذات العلاقة:

تأتي هذه الدراسة تحت عنوان آل الجراح ودورهم في سياسة الدولة العباسية ٢٤٧-٣٢٩هـ/ ٨٦١-٩٤٠م دراسة تاريخية " والتي تغطي الفترة الممتدة من مقتل الخليفة المتوكل على الله وتولي ابنه المنتصر الخلافة سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م. مروراً بفترة انتعاش واستقرار نسبي للخلافة العباسية ٢٥٦-٢٩٥هـ/ ٨٦٩-٩٠٧م. وصولاً إلى فترة تولي المقتدر بالله الخلافة ٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٧-٩٣٢م وأخيرا فترة استحداث منصب أمير الأمراء ٣٢٤-٣٣٤هـ/ ٩٣٥-٩٤٥م.

وقد كان لأسرة آل الجراح شأن كبير لدى البلاط العباسي من جهة، والحياة العامة من جهة ثانية، كنتيجة طبيعية للجهود التي بذلتها شخصيات هذه الأسرة، وخاصة الوزير علي بن عيسى بن الجراح ممن تولوا منصب الوزارة العباسية وعلى فترات متفاوتة، حيث كانت جهود بعضهم تنصب على إنعاش الدولة اقتصاديا، وإعادة بنائها إداريا من خلال القيام بإجراءات إصلاحية استهدفت توفير الأموال في بيوت المال، بالإضافة إلى القيام بتدابير إصلاحية زراعية استهدفت إصلاح أحوال المزارعين والأرض الزراعية، وكذلك الاهتمام بطرق جباية الأموال، ومحاولة إحداث توازن بين الواردات والمصروفات. وإيقاف التردي الاقتصادي، والفساد الإداري الذي كان قد استفحل في أركان الدولة العباسية.

بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الفترة خاصة العشر سنوات الأخيرة منها شهدت استحداث منصب (أمير الأمراء) نتيجة فشل الوزراء في تلك الفترة في الحد من الأزمة المالية الخانقة،وإصلاح الفساد الإداري، وكف يد المؤسسة العسكرية من التدخل في شؤون الدولة السياسية والإدارية وباستحداث هذا المنصب ٣٢٤-٣٣٤هـ/ ٩٣٥-٩٤٥م، فقد منصب الوزارة أهميته، وعلت مرتبة أمير الأمراء على مرتبة الوزير، حتى بطل أمر الوزارة، فلم يعد الوزير ينظر في شيء من أمر النواحي ولا الدواوين ولا الأعمال، ولا كان له غير اسم الوزارة فقط لدرجة أن أمير الأمراء كان يتدخل في تعيين وزير الخليفة، إن شاء أبقاه، وإن شاء عزله".

وآل الجراح من الأسر الفعالة التي ترك أفرادها بصماتهم في أحداث العصر الذي برزوا فيه. وهم من الأسر ذات الكفاءة السياسية والإدراية والعلمية التي تولت منصب الوزارة في فترة النفوذ التركي ٢٤٧-٣٣٤هـ/ ٨٦١-٩٤٥م. وقد جاء اختياري لهذا الموضوع محاولة لإبراز

دور أفراد هذه الأسرة وخاصة أولئك الذين تولوا المناصب الإدارية المهمة في الدولة العباسية ومعرفة مؤهلاتهم وقابلياتهم الثقافية والإدارية مما أهل بعضهم لتولي منصب الوزارة، ثاني أرفع منصب بعد الخلافة. بالإضافة الى إلقاء الضوء على أوضاع الدولة العباسية السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية في العصر العباسي الثاني وخاصة أثناء تولي آل الجراح الوزارة، ومعرفة مدى انعكاس هذه الأوضاع على طبيعة نظام الوزارة.

وقد ابتدأت الدراسة في سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م باعتبار أن دور آل الجراح العملي في الإدارة العباسية قد ابتدأ وبشكل واضح في بداية النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي معتبرا هذه السنة بداية العصر العباسي الثاني -حسب تقسيم بعض المؤرخين المحدثين- الذي برز فيه آل الجراح ككتاب في الدواوين منذ عهد المتوكل والمستعين من بعده.

وانتهت الدراسة بسنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م وهي سنة نهاية العصر العباسي الثاني وبداية عصر جديد كما، أنها تمثل سنة وفاة أعظم شخصية من آل الجراح -والذي تعود إليه شهرة هذه الأسرة- وهي شخصية علي بن عيسى بن الجراح. وعلى الرغم من استمرار وجود بعض أفراد هذه الأسرة الذين تولوا بعض المناصب الإدراية بعد هذا التاريخ، فقد اقتصرت على ذكرهم في التمهيد لعدم وجود معلومات كافية لإدراجهم ضمن الفصول الأخرى للدراسة، ولعدم اتفاق المصادر التاريخية على توليهم تلك المناصب.

من هنا فقد بدأت بدراسة أوضح فيها المسرح الذي شهد بدايات ظهور تلك الأسرة وأتعرض بالتالي إلى الحديث عن ظهور الترك واستفحال نفوذهم في مؤسستي الخلافة والوزارة العباسية وهذا ما عالجه التمهيد لأنتقل بعد ذلك إلى الحديث عن نسب أسرة آل الجراح ومؤهلاتهم الإدارية والعلمية ثم بدايات ظهورهم على مسرح الأحداث، واتصالهم بالخلافة العباسية إلى أن تمكنوا من تولي منصب الوزارة فيها، ثم قسمت الدراسة إلى ثلاثة فصول رئيسية تسبقها مقدمة تتضمن نطاق البحث ودراسة لأهم مصادر البحث ومراجعه مرتبة حسب قيمتها لموضوع البحث.

خصصت الفصل الأول لدراسة كيفية تولي آل الجراح للوزارة العباسية في الفترة بين ٢٦٣-٣٢٩هـ/ ٨٧٦-٩٤٠م فبينت وزارة كل من الحسن بن مخلد بن الجراح للخليفة المعتمد على الله سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م ووزارة محمد بن داود بن الجراح لعبد الله بن المعتز سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م والتي استمرت يوم واحد فقط، ودوره في فتنة ابن المعتز، ثم تناولت وزارة علي بن عيسى بن الجراح للخليفة المقتدر بالله، فتحدثت أولا عن الأعمال والوظائف الإدارية التي تولاها

قبل وزارته الأولى مما أهله لتولي منصب الوزارة ثم دوره في فتنة ابن المعتز، إذ كـان أحـد الكتاب في تلك الفترة، ثم تحدثت عن وزارته الأولى للمقتدر سـنة ٣٠١-٣٠٤هـ/ ٩١٣-٩١٦م وما تخللها من أحداث سياسية وإصلاحات مالية وإدارية، ثم تطرقت إلى الأعمال والوظائف التي تولاها بعد عزله عن وزارته الأولى ومنها إشرافه على وزارة حامد بن العباس، ثم تحدثت عـن وزارته الثانية سنة ٣١٤-٣١٦هـ/ ٩٢٦-٩٢٨م وما جرى فيها من أحداث انعكست على أعمـال وإصلاحات علي بن عيسى بن الجراح، وأخيراً تناولت الأعمال والوظائف الإدارية التي تولاهـا بعد عزله عن وزارته الثانية ومنها تعيينه كمساعد لبعض الوزراء.

ثم بينت وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد بـن الجـراح للخليفـة المقتـدر بـالله سـنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م، ثم وزارته الثانية للخليفة الراضي بالله والتي جاءت على دفعتين الأولـى كـانت سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م، والثانية سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م. وأخيرا وزارتـه للخليفـة المتقـي بـالله سـنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م وما تخلل ذلك من أحداث سياسية واقتصادية، واستحداث منصب أمـير الأمـراء وعلاقته بالوزير في تلك الفترة.

وأخيراً تناولت وزارة عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح للخليفة الراضـي بـالله ٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٣-٩٤٠م. أولاها سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م والتي على أثرها استحدث منصب أمير الأمـراء وعلاقته بالوزير، ثم وزارته للخليفة المتقي بالله سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م.

وأفردت الفصل الثاني للحديث عن سياسة وزراء آل الجراح الإدارية والمالية وأثرهم فـي الحركة العلمية، فتكلمت عن سياسة الوزير الحسن بن مخلد بن الجراح الإدارية والماليـة أثنـاء توليه الوزراة، ثم أثره في الحركة العلمية وتشجيعه لها. ثم تناولت أثر الوزير محمد بن داود بـن الجراح في الحركة العلمية ونتاجه العلمي، ولم أتطرق لسياسته الإدارية والمالية لقصـر عُمـر وزارته التي استمرت يوماً واحداً فقط.

ثم تكلمت عن تنظيمات الوزير علي بن عيسى بن الجراح وإصلاحاته الإداريـة والماليـة وهي تشكل لب الموضوع لأنها أحدثت التوازن بين الدخل والخرج في الخزينة بعـد انتكاسـها، وإصلاحه للفساد الإداري المتفشي في الجهاز الإداري العباسي، وإصـلاح أحـوال المزارعيـن وتحسين جباية الضرائب وإلغاء الجائر منها. ثم تناولت أثر هذا الوزير فـي الحركـة العلميـة وعلاقته بالعلماء ونتاجه العلمي.

كما تناولت في هذا الفصل سياسة كل من الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح والوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح الإدارية والمالية أثناء توليهما للوزارة، واثر الوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح في الحركة العلمية.

وفي الفصل الثالث تحدثت عن موقف وزراء آل الجراح من حركات المعارضة المختلفة التي ظهرت في أجزاء من الدولة الإسلامية ومن هذه الحركات حركة الزنج، إذ تحدثت عن مدى قوة هذه الحركة أثناء تولي الوزير الحسن بن مخلد بن الجراح للوزارة أثناء قيامها، وكيف أن هذه الحركة كانت تستغل الظروف في العاصمة العباسية والصراع بين الخلافة من جهة والقادة العسكريين من جهة أخرى وما ترتب عليه من تعيين وعزل الوزراء مما يزيد من قوتها حيث باتت تهدد جميع أركان الدولة العباسية، ثم تحدثت عن حركة القرامطة ودورها في تصديع كيان الخلافة العباسية، ودور الوزير علي بن عيسى بن الجراح في الحد من خطر هذه الحركة سلما أولا ثم حربا ثانيا. وأخيرا تناولت في هذا الفصل حركات العلويين خاصة التي قامت بشكل سري ومنظم وتحت قيادة منظمة ثم ظهرت واستطاعت أن تؤسس لها كيان مستقل كالزيدية في طبرستان والديلم والفاطمية في شمالي إفريقيا أولا ثم في مصر.

وأما الخاتمة، فقد أوجزت فيها النتائج التي توصلت إليها الدراسة، كما ألحقت بها عدد من الملاحق للزيادة في التوضيح : فكان الأول خاص بشجرة نسب آل الجراح (بنو الجراح)، وجاء الملحق الثاني ليبين أسماء الخلفاء والوزراء وسني ولايتهم خلال فترة الدراسة. أما الملحق الثالث فيحتوي على نسخة نص علي بن عيسى بن الجراح في إسقاط التكملة في إقليم فارس، وأما الملحقين الرابع والخامس فكانا خاصين بقوائم الواردات والنفقات التي عملها الوزير علي بن عيسى بن الجراح سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م، ثم احتوت الدراسة على قائمة بالمصادر المطبوعة وكذلك قائمة بالمراجع والبحوث الحديثة العربية والأجنبية التي أسهمت في مجموعها في بناء هيكل البحث وما توصل إليه من نتائج.

أما المصادر والمراجع ذات العلاقة المباشرة بالدراسة والتي أفادت موضوع الدراسة. فقد تنوعت المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة، تنوعا تشهد به القائمة المثبتة في نهايتها، ويرجع ذلك إلى طبيعة الموضوعات التي اشتملت عليها هذه الدراسة، فاعتمدت على المصادر التاريخية والأدبية والجغرافية والفقهية، والتي عالجت أحداث هذه الفترة التي تناولتها الدراسة، بالإضافة إلى المراجع والكتب العربية والأجنبية والتي تطرقت إلى محاور معينة من هذه الدراسة، ومن أهم هذه المصادر :

- **محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) تاريخ الأمم والملوك.**

وهو على رأس المصادر التاريخية التي تزودنا بمعلومات وافية عن تاريخ الدولة العباسية، وخاصة فترة الدراسة. ويعتبر الطبري في هذه الفترة التاريخية المؤرخ المعاصر للأحداث وشاهد عيان لها، إذ كتب أحداث هذه الفترة حتى سنة ٣٠٢هـ/ ١٩١٤م معتمداً على الوثائق في الدولة، إذ كان له صلة بكتاب الدواوين في الدولة العباسية وخاصة الوزير علي بن عيسى بن الجراح ويلاحظ ذلك من خلال الوصف الجغرافي الدقيق للمناطق التي ثار فيها الزنج. فهو يذكر مواقع جغرافية لم ترد في كتب الجغرافية، ناهيك عن وصفه اليومي لأحداث الحرب مع الزنج مما يؤكد اطلاعه على تلك الوثائق التي كانت على شكل مراسلات من ميدان الحرب الى العاصمة بغداد، لذلك كان الطبري شديد الحذر في ذكر بعض الأحداث التاريخية، وكان يلتزم الصمت في بعضها الآخر وهذا شأن المؤرخين المعاصرين، فلا غرابة أن نجد أنه يترك بعض الفجوات والفراغات للأحداث في هذه الفترة، كما يؤخذ على أخبار سنواته العشر الأخيرة أنها ليست متساوية ولا متقاربة، فمن سنواته ما تبلغ صفحة واحدة كما في سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م وهي السنة التي تولى فيها المقتدر الخلافة، وكما في سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م وسنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م، وهما ختام كتابه، وقد تبلغ نصف صفحة أو ربعها كما في سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م وما تلاها حتى سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م.

تناول الكتاب الأحداث التاريخية في مشرق العالم الإسلامي، إذ كانت معظم مصادر كتابه عن تاريخ العراق خصوصاً في النواحي السياسية والحربية. فذكر أخباراً عن حركة الزنج وكيفية التصدي لها من قبل الموفق طلحة، وحركة القرامطة وحروب الدولة معها، ودور الوزير علي بن عيسى بن الجراح في الحد من خطرها، كما تحدث عن سياسة هذا الوزير الإصلاحية في مجال الإدارة وبيت المال، وعلاقته مع مراكز القوى الرئيسية في الدولة العباسية، لذلك كانت الإفادة من هذا الكتاب كبيرة خاصة ومؤلفه يورد الحدث التاريخي بأكثر من رواية، وقد اعتمدت عليه في أغلب فصول الدراسة اعتباراً من استقدام الخليفة المعتصم للأتراك بكثرة وتغلغلهم في مؤسسات الدولة المختلفة، حتى سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م وهي سنة نهاية الكتاب، كما تخلل ذلك ذكره وزراء الدولة العباسية ومنهم وزراء آل الجراح وكيفية توليهم الوزارة، ثم عزلهم وتعرضهم للمصادرة.

وقد عمل عريب بن سعيد القرطبي (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) تكملة لتاريخ الطبري سماه **(صلة تاريخ الطبري)** بدأه من سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٣م، إلى سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م، ويعتبر هذا الكتاب بحق دراسة شاملة لعصر الخليفة المقتدر بالله ، إذ أفدت منه فائدة عظيمة في إلقاء الضوء على

الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية في ذلك العصر الذي تولى فيه الوزير علي بن عيسى بن الجراح والوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح الوزارة العباسية للمقتدر بالله، بالإضافة إلى أهم الأعمال التي قام بها الوزير علي بن عيسى بن الجراح أثناء توليه الوزارة، وإصلاحاته الإدارية والمالية وعلاقاته مع الخليفة وقادة الجيش والحرم بالإضافة إلى جهوده في التصدي لحركة القرامطة التي زعزت قواعد الخلافة العباسية.

كما عمل محمد بن عبد الملك الهمداني (ت ٥٢١هـ/ ١١٢٧م) تكملة لتاريخ الطبري سماه (**تكملة تاريخ الطبري**)، بدأه من تولي المقتدر بالله الخلافة سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م إلى سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م تناول فيه الأحداث السياسية والعسكرية خلال هذه الفترة بالإضافة إلى تناوله الأحوال الاقتصادية والمالية المتردية التي عانت منها الخلافة العباسية، كما ذكر الجهود الإصلاحية التي قام بها الوزير علي بن عيسى بن الجراح للتغلب على تفاقم الأزمة المالية والفساد الإداري المتفشي في الدولة العباسية، مع الحديث عن استمرار هذه الظروف حتى مجئ البويهيين إلى بغداد سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م.

- **علي بن الحسن المسعودي (ت ٣٤٥هـ/ ٩٥٨م) مروج الذهب ومعادن الجوهر.**

هو كتاب تاريخي جغرافي ألفه المسعودي بمنهج جديد اعتمد فيه على علم الطبيعة ، فقد ذكر طريف الخالدي في دراسته (فكرة التاريخ عند العرب) أن المسعودي أجرى البحث بوسائط معرفية متعددة كالعيان والاعتماد على اهل البحث والنظر وتطبيق المبادئ العلمية المعروفة وذكر ايضا ان المسعودي تميز بأنه سافر الى معظم البلاد التي دوّن تواريخها، وأنه عاين بنفسه ما اكتفى غيره من العلماء او المؤرخين بأن يكتبوا عنه. ويضيف الباحث ايضا ان عمل المسعودي فيه تظافر عدة تراثات ثقافية في طليعتها تراث الفلسفة الهلنستية والعلم الطبيعي. أما من داخل تراثه الاسلامي نفسه فقد عوّل كثيراً على الفكر الشيعي وعلم الكلام المعتزلي. وبذلك يكون المسعودي أول مؤرخ عربي مسلم يطبّق مبادئ المنهج العلمي والتفكر الفلسفي على دراسة التاريخ.

كتب المسعودي مادته بحرية تامة تميزت بالدقة والعمق حتى أنه لم يجد حرجاً في انتقاد الخلفاء العباسيين المعاصرين له ووصفهم بالضعف وسيطرة الاتراك عليهم. فذكر أنهم صاروا "مقهورين خائفين، قد قنعوا باسم الخلافة ورضوا بالسلامة" وأنهم كانوا "كالمولى عليهم لا أمر ينفذ لهم".

وقد أفادت الدراسة من هذا الكتاب في كثير من الحوادث التاريخية والتي تتعلق بفترة الدراسة. إذ تناول الكتاب الخلفاء العباسيين وأحوالهم وكيفية تعيينهم وعلاقتهم بمراكز القوى بالدولة، مع ملاحظات قصيرة ولكنها ذكية عن المؤسسات والنظم والثقافة، وعلاقة الخلفاء بأمراء الأطراف المستقلين سياسيا وإداريا والمرتبطين بالخلافة ولاء. كما ذكر اصطناع المعتصم للاتراك وتآمرهم على قتل المتوكل وسيطرتهم على أجهزة الدولة المختلفة، كما تناول حركة الزنج وحركة القرامطة. وتناول وزراء كل خليفة بإيجاز فتحدث عن وزارة علي بن عيسى بن الجراح، وذكر تولي سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح الوزاره للمقتدر والراضي والمتقي، وتولي عبدالرحمن بن عيسى بن الجراح وزارة الراضي، كما تناول أخبار بعض الطالبيين والعلويين وعلاقتهم بالخلافة العباسية ومقاتلهم وأخيرا فقد تحدث عن استحداث منصب أمير الأمراء وسيطرته على الدولة سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م.

- **مؤلف مجهول (من القرن الرابع / العاشر الميلادي) العيون والحدائق في أخبار الحقائق.**

يشتمل هذا الكتاب على أحداث الفترة ٢٥٥-٣٥١هـ/ ٨٦٨-٩٦٢م ذكر فيها أحداث المشرق والمغرب الإسلاميين على السنين، وقد أرخ لعشرة من الخلفاء العباسيين هم المهتدي والمعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر والقاهر والراضي والمتقي والمستكفي والمطيع.

وقد أفادت هذه الدراسة من هذا المصدر معلومات لا تقل في أهميتها عن بقية المصادر التاريخية ولا سيما وأن بعض المعلومات التي جاءت فيه جديدة لم ترد في غيرها من المصادر، كما ينقل بعض رواياته عن الطبري وغيره، إذ ذكر أحداث تاريخية مهمة ذات علاقة مباشرة بموضوع الدراسة كحركة الزنج وحركة القرامطة، وأخبار الحلاج كما ذكر الصراع بين الأتراك والخلفاء العباسيين، وبين دور الجواري والنساء في التلاعب بسياسة الدولة، كما قدم معلومات عن بدايات الدولة الفاطمية، وتناول مؤسسة الوزارة مبينا كيفية الاستيزار في تلك الفترة وأسماء الوزراء الذين تعاقبوا على كرسي الوزارة وفصل في وزارة علي بن عيسى بن الجراح وكيفية رسمه للخطوط العريضة لإصلاحاته الإدارية والمالية بالإضافة إلى علاقته بمراكز القوى المختلفة، كما تناول وزارة كل من سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجواح ووزارة عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح وأخيرا فقد تناول أحداث المشرق الإسلامي وفصل بأيام الدولة الزيدية وقيامها في طبرستان والديلم.

ولهذا يمكن اعتبار كتاب (العيون والحدائق) مصدرا مهما من مصادر تاريخ الفترة بين ٢٥٥-٣٣٤هـ/ ٦٨-٩٤٥م، وهي فترة الدراسة.

- **المحسن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة.**

قدم كتاب (النشوار) صورة حية للمجتمع العباسي وخاصة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي عامة، كما احتوى كثير من المعلومات الوافية لم تذكرها كتب التاريخ العام. وكتاب (النشوار)عبارة عن حوادث وقعت للناس في عهد التنوخي أو في العهود السابقة له، وضعت بقالب القصص، لذلك فهي تمتاز بالأمانة والصدق والتعبير عن واقع الأحوال. جعله كثير من المؤرخين والأدباء الذين جاءوا بعده مصدرا لهم، اقتبسوا منه أو قلدوه في مذهبهم في التأليف.

تناول التنوخي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في الدولة العباسية وخاصة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ تحدث عن الخلفاء وأخبارهم وعن علاقاتهم بالوزراء - ومن بينهم وزراء آل الجراح - والأمراء والقواد والرعية، وعن كيفية توليهم الخلافة، وعن اختيارهم للوزراء، ومراقبتهم لهم ومصادرتهم وعقابهم اياهم، كما تناول الوزراء وكيفية توليهم الوزارة، والمراسيم المتبعة في ذلك وسياسة الوزراء الداخلية والخارجية، بالإضافة إلى المؤامرات التي يحيكها الوزراء بعضهم لبعض، كما تحدث عن أخلاق الوزراء وسلوكهم تجاه مرؤوسيهم وتابعيهم أولا ثم تجاه الرعية ثانيا.

كما نقل التنوخي صورا عن حياة الناس على اختلاف مستوياتهم، إذ أوضح حياة الخاصة كالخلفاء، والوزراء، والتبذير والإسراف وحياة العلماء والأدباء والفقهاء وعلاقتهم بالخاصة والعامة، وأخيرا حياة العامة من خدم وجند وجواري وباعة.

وعكس الكتاب الحالة الاقتصادية للعراق من صناعة وزراعة وتجارة والنقود ودور الضرب، وأخيرا أوضح الحالة الإدارية في الدولة العباسية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي من خلال أخباره عن الخلفاء وعلاقاتهم بالوزراء والقضاة وكيف كانت تعرض القضايا على الوزير ثم يرفعها إلى الخليفة، وعودتها إلى الوزير لينفذ ما فيها أو يرسلها إلى الجهات المختصة، كما أوضح ارتباط الوزراء بالولاة والأعمال التي يقومون بها وطريقة مراقبتهم.

- **أحمد بن محمد (مسكويه) (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم.**

كتاب (تجارب الأمم) من الشهرة بمكان. وهو أفضل كتاب يرجع اليه في تاريخ دولة بني بويه، وأخبار الدولة العباسية في نهاية عصر سيطرة قادة الاتراك، وعصر سيطرة البويهين. ويعادل ان لم يفق في حديثه عن الوزارة والوزراء في الفترة المذكورة كل ما كتب قبله وبعده.

والكتاب يقدم التاريخ على انه تجارب وعبر يفيد منها الساسة ويتعظ بها الحاكمون وهذا ما اوضحه مسكويه في مقدمته وهو انه اراد ان يتخذه الناس عبرة وتجربة وخاصة الملوك منهم والسادة الذين يسوسون امور الغير. فغرضه من هذا الكتاب اخلاقي . لذلك يتضح ان كتاب مسكويه لم يوضع للعامة وانما وضع للوزراء واصحاب الجيوش ومن اسند اليهم حرب وسياسة.

ومسكويه في بسطه لحوادث التاريخ يتأثر بدراسته الفلسفية مما هذب كثيرا من منهجه التاريخي، ورقى حكمه في مختلف شؤون العصر الذي عاش فيه مما يدل على عقلية ناضجة تتميز بالنقد والتحليل والتعليل المتزن. اذ كان يبدي رأيه واضحا عن تفكر وتدبر ، ويجتهد ان يستخلص القارئ الحكمة التي يسترها من تتابع الحوادث وتسلسل الوقائع.

يعتبر كتاب تجارب الامم من اهم المصادر عن تاريخ الفترة التي تلت تاريخ الطبري. فهو في بداية كتابه يستقي من الطبري حرفيا ثم يعتمد على مصادر اخرى في الفترة التالية حتى سنة ٣٤٠هـ وعلى رأسها تاريخ ثابت بن سنان. وابتداء من سنة ٣٤٠هـ يعتمد على روايات شهود الاحداث ولا سيما روايات صاحبه أبي الفضل بن العميد وأبي محمد المهلبي وعلى ما يراه هو شخصيا باعتباره شاهد عيان.

وقد اتسمت كتابة مسكويه بتغلب النزعة الفارسية ولاغرو فهو خدم البويهيين كأمين لمكتبة ركن الدولة الفضل بن العميد ثم دخل في خدمة عضد الدولة بن بويه كما كان متمكنا من اللغة الفارسية مما مكنه من الاطلاع على ما عند الفرس من اخبار وتجارب.

وقد افادت الدراسة من هذا الكتاب بمعلومات قيمة في النواحي السياسية والادارية والاقتصادية والفكرية من حروب ومعارك وعلاقات داخلية وخارجية وتنظيمات ادارية من خلافة ووزارة وولايات واقاليم ودواوين. كما احتوى الكتاب على كتب رسمية صادرة عن ديوان الخلافة او الوزارة. ويتناول الكتاب كيفية تعيين وعزل الوزراء بالاضافة الى سياساتهم المالية والادارية، ومحاولات الاصلاح التي قام بها بعضهم كعلي بن عيسى بن الجراح. كما اشار الكتاب الى اسراف وتبذير الخلفاء والوزراء والامراء والحاشية مما اضر باقتصاد الدولة، كما تحدث عن سياسة المصادرة التي اصبحت عادة متبعة للحصول على الأموال. وأخيرا تناول ظهور بعض الفرق الفكرية والتيارات السياسية التي كان لها أثر في تصديع كيان الدولة العباسية.

-عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.

هو كتاب يحتوي على حوادث على السنين وكذلك تراجم ويضم معلومات قيمة عن التاريخ الإسلامي، ويذكر فيه حوادث كل سنة ويختمها بوفيات هذه السنة، ويتخلل ذلك فصول وأبواب عن أشهر الحوادث، وقد تميز هذا الكتاب عما سبقه من الكتب، حيث أنه يجمع بين كونه مسردا تاريخيا للأحداث على مدار السنوات واحتوائه على ثلاثة آلاف وثلاثمائة وسبعين ترجمة لمختلف الشخصيات من خلفاء وملوك ووزراء وفقهاء ومحدثين ومؤرخين وفلاسفة وشعراء ومصنفين وغيرهم، وهذا ما لم يسبقه أحد من المؤرخين إليه، ولكن قلده من جاء بعده في طريقته.

تناول ابن الجوزي في كتابه (المنتظم) العصر العباسي في الفترة ١٣٢-٥٧٤هـ/ ٧٤٩-١١٧٨م. تحدث فيه عن جميع النواحي السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية بالإضافة إلى الظواهر الطبيعية والجانب العمراني.

وقد أفادت الدراسة من هذا الكتاب في مراحل فصولها عامة، وخاصة فيما يتعلق منها بوزارة آل الجراح وسياساتهم وعلاقاتهم بالخلفاء ومراكز القوى المختلفة، بالإضافة إلى تناول النفقات العسكرية ونفقات الخلافة في عصر المقتدر بالله، والتي أضرت ببيت المال وبإصلاحات الوزير علي بن عيسى بن الجراح الذي حاول جاهدا الإصلاح الإداري والمالي على الرغم من وجود العراقيل.

- علي بن محمد بن الأثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) الكامل في التاريخ:

هو تاريخ عام، اهتم فيه مؤلفه بأحوال العالم الإسلامي مراعيا التوازن بين أقاليمه معتمدا على الطريقة الحولية في تناوله للأحداث التاريخية، ويلاحظ أن ابن الأثير ينقل كتاب الطبري (تاريخ الأمم والملوك) كما استمد أخباره من مؤرخين آخرين أهمهم البلاذري والمسعودي، ثم أنه يضيف إليه ويكمله حتى نهاية الكتاب سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م. ونجد في (الكامل) التحري الدقيق في نقل الأخبار والروايات والنقد في بعضها. إذ تناول الأحداث التاريخية بالتفصيل.

حوى الكتاب أخبار سياسية وحوادث مهمة تتعلق بفترة الدراسة منها تسلط القادة الأتراك على شؤون الحكم منذ مقتل المتوكل، مما أدى إلى ضعف مؤسسة الخلافة والوزارة معا بشكل تدريجي. كما تناول حركة الزنج وحركة القرامطة بالتفصيل كحركتين اجتماعيتين عملتا على زعزعة أركان الخلافة العباسية، بالإضافة إلى تناوله وزراء بني العباس ومن بينهم وزراء آل الجراح وعلاقاتهم مع الخلافة والقادة العسكريين وغيرهم من الوزراء، بالإضافة إلى الجهود

المبذولة من قبل بعض هؤلاء الوزراء، وخاصة علي بن عيسى بن الجراح لإعادة هيبة الخلافة والوزارة إلى سابق عهدها من القوة والمنعة، إذ حاول السباحة ضد تيار التمزق والمصالح الشخصية والمطامع المالية من قبل الحاشية والقادة العسكريين ووزراء آخرين وأخيرا فقد تناول الحركات والثورات التي قام بها بعض العلويين وأدعيائهم والتي قمعتها الدولة العباسية بقسوة لقربها من مركز الخلافة.

- **محمد بن علي بن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) الفخري في الآداب السلطانية :**

احتوى هذا الكتاب على الأمور السلطانية والسياسات الملكية وخواص الملك التي تميز بها عن العامة، كما تناول الدولة الإسلامية ذاكرا دولة الخلفاء الراشدين ثم الدولة الأموية، فالدولة العباسية، ثم الدويلات التي ظهرت أثناء دولة بني العباس كالبويهيين والسلاجقة والدولة الفاطمية بمصر على وجه الإيجاز، وينتهي الكتاب بذكر خلافة المستعصم بالله، فقد اعتمد في تأليفه على الموضوعات، ولم ينهج نهج الحوليات.

وقد أفادت الدراسة منه في مواضيع مختلفة منها نظام الوزارة المتبع في عهود الخلفاء العباسيين، بالإضافة إلى تفاصيل موجزة عن وزراء خلفاء بني العباس بالإضافة إلى سياسة المصادرات بحق هؤلاء الوزراء بعد عزلهم، كما تناول الكتاب الأمور المالية كالرواتب والنفقات وبعض الأمور الإدارية المتعلقة بالدراسة، فذكر وزارة الحسن بن مخلد بن الجراح المعتمد لدفعات تخللها فترات من العزل، ووزارة علي بن عيسى بن الجراح للمقتدر وإشرافه على وزارة حامد بن العباس ثم وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح للمقتدر، ونجده هنا يذكر بإيجاز عن كيفية تولي الوزراء في فترة المقتدر وبعض صفاتهم، وأخيرا ذكر وزارة عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح للخليفة الراضي بالله.

كما أفادت الدراسة من كتب التراجم التي حفلت هي الأخرى بمعلومات وافية عن الوزراء، ونظام الوزارة في الفترة موضوعة الدراسة، وقد انفردت بعضها أحيانا بذكر معلومات تاريخية لا نجدها في كتب التاريخ، وأهم هذه الكتب كتاب **(تاريخ بغداد)** للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) وكتاب **(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)** لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢م). وكتاب **(الوافي بالوفيات)** لابن ايبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م). وقد تضمنت هذه الكتب تراجم لبعض وزراء خلفاء بني العباس بمن فيهم وزراء آل الجراح، إذ تحدثت عن صفاتهم وأخلاقهم العلمية والإدارية، بالإضافة إلى كيفية توليهم الوزارة، وعلاقتهم بمراكز القوى، وأخيرا عزلهم ومصادرتهم.

بالإضافة إلى الإفادة من كتب الأدب التي ركزت بالدرجة الأولى على الإنجازات الأدبية والعلمية لبعض وزراء آل الجراح من تأليف وشعر ومناظرات ومجالس علم ولقاءات مع العلماء، من هذه الكتب كتاب **(ديوان البحتري)** للوليد بن عبد الله البحتري (ت ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)، وكتاب **(التذكرة الحمدونية)** لمحمد بن الحسن بن حمدون (ت ٣٠٩هـ/ ٩٢١م)، وكتاب **(الإمتاع والمؤانسة)** لعلي بن محمد التوحيدي (ت ٤٠٤هـ/١٠١٣م)، وكتاب **(زهر الآداب وثمر الألباب)** لإبراهيم بن علي الحصري (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م)، وكتاب **(معجم الأدباء)** لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

وبالإضافة إلى ما مر ذكره من مصادر رئيسية، فقد اعتمدت أيضا على مراجع تاريخية حديثة عربية وأجنبية ذات علاقة مباشرة بموضوع الدراسة، غير أن هذه المراجع لم تكن شاملة لموضوع الدراسة، بل غطت بعض المحاور أو نظرت نظرة عامة إلى الموضوع وقد ذكرت هذه المراجع في قائمة المراجع المثبتة في آخر الدراسة، إلا أنه يمكن الإشارة إلى بعضها والتي كان لها دور في إثراء المادة التاريخية لهذه الدراسة، ومن هذه المراجع :

- Bowen. Harold, The life and times of Ali Ibn Isa, The Good Vizeir, Cambridge, London, 1927.

يعتبر هذا الكتاب رغم قدمه ومرور سنوات طويلة على تأليفه دراسة شاملة لأكبر شخصيات أسرة آل الجراح قدرا ومكانة والذي ترجع إليه شهرة هذه الأسرة وحظوتها في الدولة العباسية، لذلك يعتبر هذا الكتاب من الكتب المهمة الرئيسية التي اعتمدت عليه الدراسة، إذ ظهرت شخصية الوزير علي بن عيسى بن الجراح في حقبة تموج بالحوادث، وتغلي بالفتن، وتسود فيها الدسائس، وتروج بالمؤامرات، وتسير فيها النساء أمور الدولة، ويعلو العبيد أكتاف سادتهم، حيث جاء هذا الكتاب دراسة وافية للنواحي السياسية والإدارية والاقتصادية والفكرية، ذات العلاقة بالفترة التي ظهر فيها الوزير علي بن عيسى بن الجراح .

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يحمل اسم شخصية وزارية واحدة من أسرة آل الجراح، إلا أنه يعتبر دراسة شاملة وموضوعية ودقيقة ومفصلة لعصر المقتدر بالله وعصر إمرة الأمراء، فقد تناول فيه المؤلف نسب أسرة آل الجراح مؤكدا أصلها الفارسي، مرفقا مع ذلك شجرة نسب هذه الأسرة، كما أشار إلى المؤهلات الإدارية والعلمية لأفراد هذه الأسرة وبدايات ظهورهم في الدولة العباسية ككتبة في الدواوين، ثم تدرجهم في المناصب الإدارية حتى وصل بعضهم إلى منصب الوزارة، وهنا وقع المؤلف في خلط عندما أضاف بعض الشخصيات إلى أسرة آل الجراح وجعلهم منهم، وهم في الأصل لا ينتمون إليها كإضافته كل من صاعد وعبدون

ابنا مخلد إلى هذه الأسرة لمجرد أن اسم والدهما هو مخلد ظنا منه أنه مخلد ابن الجراح، دون الإشارة إلى مصدره الذي اعتمد عليه. وقد أكدت المستشرق (Sourdel) عدم انتمائهما إلى هذه الأسرة.

لم ينفرد المؤلف بالحديث عن شخصية الوزير علي بن عيسى بن الجراح وحدها، بل أنه عرض أخبارا لوزراء آخرين تتصل أخبارهم بالوزير علي بن عيسى بن الجراح سواء كانوا من نفس أسرته أو من غيرها. إذ بدأ المؤلف الحديث عن بدايات ظهور شخصية علي بن عيسى ابن الجراح في الدولة العباسية ككاتب في الدواوين كما تحدث عن الظروف والتكتلات السياسية السائدة في تلك الفترة، ثم دور أفراد هذه الأسرة في هذه التكتلات وصراعهم مع الكتاب ودورهم في فتنة ابن المعتز ونتائجها، ثم قدم لوزارة علي بن عيسى بن الجراح الأولى بشرح ظروف هذه الفترة من تسلط الحرم وسقوط الوزير ابن الفرات والخاقاني، ثم وصول علي بن عيسى بن الجراح إلى منصب الوزارة، فتحدث عن جدارته وكفاءته في العمل الإداري والإصلاح الاقتصادي خلال وزارته ودوره في الحد من خطر القرامطة من خلال المفاوضات التي أجراها معهم، ثم تناول المؤامرات والدسائس التي كانت تحاك ضده من غيره من الوزراء وحاشية القصر وممن تتعارض إصلاحاته مع مصالحهم الشخصية.

كما تناول المؤلف تولي علي بن عيسى بن الجراح الوزارة للمرة الثانية، فأشار إلى دور القائد التركي مؤنس في ذلك وعلاقته به،وتناول الإصلاحات الإدارية والمالية خلال توليه الوزارة ثم تناول علاقته بالقرامطة وإجراءاته الحربية ضدهم، ثم بين كيفية عزل الوزير.

وأخيرا فقد تناول المؤلف شخصيات وزارية أخرى من أسرة آل الجراح ليكمل التتابع التاريخي لحياة وعصر الوزير علي بن عيسى بن الجراح، ودوره في وصولهم إلى الوزارة، ومنهم الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح، والوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح، كما تناول في النهاية علاقة الوزير علي بن عيسى بن الجراح مع أمير الأمراء ثم وفاته سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م.

– عبد العزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مطبعة السريان، بغداد، ١٩٤٥م.

تناول هذا الكتاب صفحات من تاريخ العباسيين، في أدوار ضعفهم السياسية، إذ تناول اصطناع المعتصم للعنصر التركي، وتزايد ظهوره في الدولة العباسية مما كان له أثر في زعزعة قواعد الخلافة العباسية، كما أشار المؤلف إلى قيام حركة الزنج في جنوب العراق التي

كادت أن تمزق كيان الخلافة وإلى تعاظم نفوذ الحرم في البلاط وتدخلهن في السياسة، وانتهاز العلويين فرصة ضعف المركز لتأكيد حقوقهم، كالزيدية في طبرستان والديلم والاسماعيلية، والقرامطة في المشرق الإسلامي.

كما تناول المؤلف دور الوزراء والكتاب في تسيير أمور الدولة في فترة تولي المقتدر الخلافة وبدايات التنافس بينهم، وما ترتب على ذلك من مصادرات وأدى بالتالي إلى أزمة مالية وإفلاس مزمن في الخزينة، وأخيرا ركز المؤلف على وزراء الخليفة المقتدر ومن بينهم الوزير علي بن عيسى بن الجراح الذي أسهم بصورة فعالة في إعادة هيبة الخلافة، وقوة الوزارة إلى سابق عهدها، بالإضافة إلى الجهود المبذولة للإصلاح الإداري والمالي، كما أشار بصورة موجزة إلى تولية سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح وعبد الرحمن بن عيسى بن الجراح الوزارة.

- **فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ٢٤٧-٣٣٤هـ/ ٨٦١-٩٤٦م، دراسة تاريخية لبوادر التسلط العسكري على الخلافة العباسية، ط٢، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٧م.**

تناول هذا الكتاب الأحداث السياسية والعسكرية في العصر العباسي الثاني والذي أطلق عليه تجاوزا (عصر الفوضى العسكرية) في الفترة ما بين ٢٤٧-٣٣٤هـ/ ٨٦١-٩٤٦م، إذ تناول ظهور الأتراك على مسرح السياسة العباسية، وإسهامهم في الفوضى العسكرية التي عانت منها الدولة العباسية خلال هذه الفترة.

أما أهم ما تناوله المؤلف، ويتصل مباشرة بموضوع الدراسة هو موضوع الوزراء والسياسة حيث تحدث عن محاولات بعض الوزراء الإصلاحية وخاصة الوزير علي بن عيسى ابن الجراح الذي حاول جاهدا إصلاح مالية الدولة، ومحاولته إصلاح الفساد الإداري، إلا أن هذه المحاولات اصطدمت بمصالح القادة العسكريين ورؤساء الكتاب فعارضتاه بقوة، مما أدى إلى انهيار أسس الخلافة. كما تناول المؤلف الحركات والانتفاضات التي شهدتها الدولة خلال هذه الفترة كحركة الزنج وحركة القرامطة بالإضافة إلى بعض حركات العلويين، ونجاح بعضهم في تأسيس كيان مستقل كالزيدية في طبرستان والديلم، والإسماعيلية الفاطمية في شمالي إفريقيا أولا ثم في مصر.

- حسام الدين السامرائي، المؤسسات الإداري في الدولة العباسية خلال الفترة ٢٤٧-٣٣٤هـ/ ٨٦١-٩٤٥م)، ط٢، دار الفكر العربي، ١٩٩٣.

يتناول هذا الكتاب دراسة الإدارة العربية الإسلامية من خلافة ووزارة ودواوين، وهي دراسة عالية القيمة في هذا المجال فقد تناولها في فترة مهمة من تاريخ الدولة العباسية ارتبطت بالفوضى العامة في جميع نواحي الحياة في الدولة.

عالج المؤلف مؤسسة الخلافة والوزارة والدواوين بكثير من التفصيل والدقة أدت إلى إعطاء تصور واضح عن أوضاع هذه المؤسسات في هذه الفترة.

وقد أفادت الدراسة منه في التعرف على حال الخلافة والوزارة في فترة السيطرة التركية ٢٤٧-٣٣٤هـ/ ٨٦١-٨٤٥م وما رافق ذلك من فوضى عسكرية سببها تدخل الترك في شؤون الدولة، وما تبعها من انحطاط هيبة الخلافة، وإسقاط منصب الوزير من الناحية العملية.

كما استفادت الدراسة منه في التعرف على كيفية اختيار الوزراء ومسؤولياتهم وعلاقاتهم بمراكز القوى، ودور الوزير في تولية العمال وعزلهم، وتناوله للسياسة المالية والإدارية للوزير، بالإضافة إلى المحاولات الإصلاحية التي استهدفت الإدارة وبيت المال، كما تناول المؤلف الدواوين التي استحدثت والتي اقتضت الظروف الجديدة استحداثها، وكان الفضل في إنشاء بعضها إلى الوزير علي بن عيسى بن الجراح.

ولا يفوتني أن أشير إلى كتاب (Sourdel) الموسوم بـ :

- le Vizirate Abbasside, Damascus, 1960 :

ورغم أن هذا الكتاب يتحدث عن نظام الوزارة في الدولة العباسية في الفترة بين ١٣٢-٣٢٤هـ/٧٤٩-٩٣٥م، من معنى الكلمة واشتقاقها، والصفات التي تشترط في اختيار الوزير وواجباته، إلا أنه أشار إلى بعض المحاور ذات العلاقة بموضوع الدراسة، إذ أشار إلى بعض الشخصيات الوزارية والتي كان لها أثر في تثبيت سلطة وزراء آل الجراح، خاصة الوزير علي بن عيسى بن الجراح، والوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح، والوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح، إذ أشار إلى التطور التاريخي للوزارة والوزراء في عهد الخليفة المقتدر بالله، ثم أشار إلى بعض الأعمال الإصلاحية التي قام بها الوزير علي بن عيسى بن الجراح، كما تناول وزراء آخرين تتصل وزاراتهم بفترة المقتدر، ولهم علاقة مباشرة مع وزراء آل الجراح كابن الفرات وحامد بن العباس وغيرهما.

كما لا يفوتني أن أشير إلى بعض المقالات والبحوث العربية والأجنبيـة والتـي تنـاولت بعض شخصيات آل الجراح ومنها بحثين لستر شتين (Zettersteen) ترجمهما عن مقالين فـي (paedia of IslamolEncyc) نشرهما في دائرة المعارف الإسلامية المعربـة، جـاء البحـث الأول تحت عنوان (ابن الجراح) تناول فيه شخصيتين وزاريتين من أسرة آل الجراح هما علـي بن عيسى بن الجراح وأخوه عبد الرحمن بن عيسـى بـن الجـراح، إذ تحـدث عـن كيفيـة استيزارهما، والصعوبات التي واجهتهما أثناء توليهما الوزارة ثم طريقة عزلهما ومصادرتهما.

أما البحث الآخر فهو بعنوان (ابن مخلد) تناول فيه المؤلف أيضا شخصيتين وزاريتين مـن أسرة آل الجراح هما الحسن بن مخلد بن الجراح وابنه سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجـراح تحدث فيه عن بداية عملهما في الدواوين ثم تدرجهما حتى وصلا إلى منصـب الـوزارة، كمـا تحدث عن كيفية عزلهما ومصادرتهما مبينا الظروف التي أحاطت بوزارة كل منهما.

ومن البحوث الأجنبية :

- Bowen, Harold, Ali Ibn Isa. Encyclopaedia of Islam. New edition., V.I., London, 1960.

وهو عبارة عن بحث مختصر لكتاب ألفه (Bowen)، تناول فيه الحديث عن شـخصية الوزير علي بن عيسى بن الجراح، والأعمال الإدارية، والإصلاحات المالية التي قام بها خـلال قيامه بالعمل الوزاري، بالإضافة إلى أعمال الوزير وهو خارج نطاق العمل الوزاري، ثم علاقتـه بأمير الأمراء في آخر حياته، كما تحدث عن عمل الوزير كمساعد ومشرف علـى وزارة أخيـه عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح .

وبحث :

- Sourdel, Domenik, Ibn Makhlad, Encyclopaedia of Islam. New edition, V.III, London, 1979.

تناول فيه المؤلف الحديث عن شخصيتين وزاريتين من أسرة آل الجـراح همـا الوزيـر الحسن بن مخلد بن الجراح، وابنه الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح. والأهـم مـن ذلك هو تأكيده أن صاعد بن مخلد لا ينتمي إلى هذه الأسرة علـى خـلاف قـول (Bowen)، بالإضافة إلى تأكيده أن صاعد بن مخلد هو الذي لقب (بذي الوزارتين)، بخلاف ما تدعي بعض المراجع العربية أن الحسن بن مخلد بن الجراح هو الذي لقب بهذا اللقب.

كما استفدت من عدد من المقالات الأجنبية المنشورة والتي تناولت موضوع الوزارة غير أنها لم تتطرق إلى موضع الدراسة، بل أنها غطت فترات سابقة لها تاريخيا أو تناولت نظام الوزارة ورسوم الاستيزار، فقد كانت الإفادة منها في التعرف على مناهج من كتبها من المستشرقين وكيفية تناولهم الموضوع من الناحية المنهجية، ومن هذه المقالات :

- **Goitein, The Origin of the Vizier and its True Character, Islamic Culture, 1942.**
- **Kocher, Ya'qub b. Daud, M.I.O., III, 1955.**

التمهيد

المظاهر العامة وبدايات ظهور آل الجراح على مسرح الأحداث في العصر العباسي الثاني.

أ- المظاهر السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية في العصر العباسي الثاني:

ب- استفحال نفوذ الأتراك وتدخلهم في مؤسستي الخلافة والوزارة العباسية.

ج-أصل آل الجراح وبدايات ظهورهم على مسرح الأحداث في الدولة العباسية

-نسب آل الجراح

-مكانة آل الجراح الاجتماعية ومؤهلاتهم الإدارية .

أ- المظاهر السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية:

بدأ الجند التركي في فترة الواثق يتولى الولايات ويتدخل في أمور الخلافة . وحين قتل المتوكل ، تلت مقتله فترة فوضى مطلقة. تحكم الجند في تعيين الخلفاء وعزلهم حسب أهوائهم مما أشغل مركز الخلافة بالقلق والاضطراب، اذ زاد تنافس القادة الأتراك على السلطة والخلاف بين مصالح المتنفذين منهم وبين عامة الجند بالإضافة إلى الاحتكاك بين الأتراك وبين الفرق الأخرى في الجيش كالمغاربة والفرغانية. حتى أصيبت الخلافة بالوهن مما شجع الحركات الانفصالية في الاقاليم للانفصال عن جسم الدولة كقيام الامارة الطولونية في مصر والشام والامارة الصفارية في سجستان وجنوب ايران وحتى خراسان. والامارة السامانية فيما وراء النهر وخراسان والأمارة الزيدية في طبرستان والديلم.

انتهت هذه الفوضى مؤقتا في فترة المعتمد بفضل جهود اخيه الموفق طلحة مما أعاد للخلافة بعض كيانها وسلطانها. غير ان نصف قرن لم يكن كافيا لتجذير هذا السلطان فما أن جاءت خلافة المقتدر حتى عاد الجند التركي الى التدخل مستغلا ظروف الفتنة التي رافقت ثورة ابن المعتز والازمة المالية وتنافس رجال الادارة المركزية وانقسامهم وضعف الخليفة وتدخل الحرم حتى انتهى الامر الى قتل المقتدر وفرض الجند سيطرته الكلية بقيادة أمير الأمراء.

وقد رافق الفترات السابقة تكرر الأزمة المالية للخلافة ، نتيجة أوضاعها إذ برزت بوادرها في لجوء الواثق ثم المتوكل الى المصادرة كوسيلة لتوفير مورد لبيت المال. وحين تحكم الجند التركي كانت طلباته من الارزاق والمخصصات لا يمكن وقفها في حين أصبح بيت المال مصدر سلب للمتنفذين من القادة وأعوانهم بالاضافة الى تعديهم على ارض الخراج واستحواذهم عليها على شكل اقطاعات. مما أدى الى نقص في مورد بيت المال وتجاوزهم على الضياع والملكيات الخاصة عن طريق الالجاء. كما أدى تسلط القادة الاتراك على الادارة والولايات الى التلاعب بالموارد والى ضعف الرقابة على العمال والجباة وإلى زيادة في الرسوم والضرائب الاضافية المفروضة على الفلاحين والمزارعين، هذا اضافة الى افتتاح موعد الجباية قبل موعدها أو جمع الضرائب لسنة تالية مما كان يدفع الفلاحين الى الاستدانة المالية أو ترك الارض، وزاد الحالة سوءا إهمال نظام الري في العراق خاصة ثم الاضطرابات والثورات التي خربت السدود والجسور وكسرت القنوات ودمرت المزارع..

وحين انتعشت الخلافة مؤقتا بجهود الموفق والمعتضد والمكتفي حاولت ان تعالج المشاكل المالية بالاهتمام ببيت المال، ومحاولة ضمان موارده في الوقت المناسب، بالإكثار من الضمان

وبموجبه كان يحدد ما يلزم دفعه عن الولاية ووقت دفعه ويترك للضامن جمع الضرائب تحت اشراف الإدارة كما حاولت الخلافة ان تعني بالري مع مساعدة الفلاحين احيانا بالبذور والسلف واصدرت بعض المناشير توحي بالرفق والعدل في الجباية وأعادت النظر في موعد افتتاح الجباية ليوافق موسم نضج الغلات فلا يضطر الفلاح الى الاستدانة أو لدفع مبالغ ضريبية تخمينية قد تتجاوز الواقع، ولجأت الخلافة الى عقد القروض من التجار لتجنب جباية بعض الضرائب قبل موعدها وخاصة عند حاجتها الملحة الى المال، ثم نظمت ذلك بإقامة مصرف رسمي للدولة يمدها بالقروض والسلف، كما حاولت تنظيم الدخل والخرج مع إشراف دقيق على الشؤون المالية ، ولكن تدهور الأوضاع وتقلص اراضي الخلافة بالاضافة الى التبذير وجشع الجند مما أوقع الخلافة في النصف الثاني من فترة حكم المقتدر في أزمة مالية بلغت حدا عجزت معه عن مواجهة نفقاتها مما اضطرها الى إيجاد منصب أمير الأمراء ليتولى الأمر. ففقدت سلطتها وانحدرت بسرعة.

وقد ارتبطت الأزمة المالية المستحكمة بوضع الإدارة المركزية. ذلك أن الوزارة أصيبت بانتكاس جدي في فترة الفوضى التركية، فقلت صلاحياتها وتضاءلت، وكثر تعيين وعزل الوزراء نتيجة تغيير الخليفة على يد الاتراك مما اضعف اشراف الادارة في الولايات، فأضر بالموارد وبوضع الفلاحين على السواء، وحين انتعشت الوزارة بانتعاش الخلافة اصبحت للإدارة أهمية ملحوظة وعاد إليها إشرافها. فأعادت تنظيم الدواوين لتلائم الظروف الجديدة ، ولكن التكتلات بين الكتاب وما رافقها من تنافس وتدخل الجند والحرم بالشؤون العامة ، وضعف الخلفاء أدى الى تدهور الوزارة والى طمسها عمليا في فترة أمير الأمراء.

وهذا التطورات كان لها أثرها على الحياة الاجتماعية فقد ظهرت "العامة" كقوة جديدة وان لم تكن منظمة منذ فتنة الأمين والمأمون وتكرر نشاطها في فترة الفوضى التركية وخاصة اثناء فتنة المستعين والمعتز وصارت قوة يحسب حسابها .وتتكرر الإشارة إليها زمن المعتضد وفي أوائل أيام المقتدر وفي أواخرها وفي فترة أمير الأمراء. وتميز العيارون والشطار كحركة بين العامة لها تنظيماتها وشعائرها.

وقفت العامة مع الأمين اثناء حصار بغداد وبعد عودة المأمون من مرو اتخذ الاعتزال وهو مذهب فئات من المثقفين، واضطهد من لا يقول بخلق القرآن وهذا شمل أهل الحديث وجماهير العامة، وهكذا أكد الفجوة بين الخلافة وبين العامة واستمرت هذه السياسة في زمن خليفته واتسعت الشقة وكانت فتنة ابن حنبل وحركة أحمد بن نصر الخزاعي مظاهر لهذه الازمة

ولكن المتوكل في صراعه مع الاتراك وجد نفسه في شبه عزلة فتخلى عن الاعتزال وعاد الى السنة والعامة فوقفت العامة في بعض اوقات الازمات جنب الخلفاء، وقد حدث الشيء نفسه في فتنة المستعين والمعتز اذ وقفت عامة بغداد وتوابعها الى جانب المستعين في حربه مع المعتز.

كما اضطربت العامة وعمت الفوضى في بغداد من جراء فتنة ابن المعتز. وذلك لان العامة اتفقوا مع الخاصة على خلع المقتدر من الخلافة لصغر سنه وعقدوا البيعة لابن المعتز. وبعد فشل هذه الفتنة تعرضت بغداد للسلب والنهب على يد اللصوص وقطاع الطرق الذين أخذوا ينهبون البيوت ويروعون السكان وكانت دار محمد بن داود بن الجراح احدى هذه الدور التي تعرضت للنهب.

كما ثارت العامة من جديد على الوزير حامد بن العباس في بغداد سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م بسبب ارتفاع الاسعار واتهام الوزير بها لضمانه غلات واسط للمقتدر. ولم تهدأ الحال حتى حصل الوزير الغلات والأطعمة من واسط الى بغداد حتى اعتدلت الاسعار سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م.

ولما تقلد علي بن عيسى بن الجراح وزارته الثانية ٣١٤-٣١٦هـ/٩٢٦-٩٢٨م فرحت العامة بذلك حتى انهم خرجوا لاستقباله الى مسافات بعيدة من بغداد، فقيلت به الاشعار بين مدح وهجاء. وقد حببه تواضعه الى العامة ، فكان لا يتحرج من مخالطة الطبقات الفقيرة، وكانت له اسهامات واضحة في مجال خدمة المجتمع ودور بارز في فائدة العامة الامر الذي حببه إليهم فساندوه وحاولوا حمايته من بعض رجال السلطة في القصر والجيش الذين استاءوا من إجراءاته الاقتصادية الهادفة الى الحد من الاسراف في النفقات.

كانت الاضطرابات والفتن التي تصيب الدولة الاسلامية تشكل مرتعا خصبا لبعض فئات المجتمع. اذ استغلت فئة منظمة من العامة تسمى (العيارون) ظروف فتنة ابن المعتز فبدأت تعمل على السلب والنهب في بغداد. ومرة أخرى تستغل هذه الفئة الظروف الحرجة التي تمر بها الدولة في حربها مع القرامطة. اذ بدأوا يعيثون في الأرض فسادا وينهبون ويسلبون السكان حتى تمكن الوزير علي بن عيسى بن الجراح من الحد من خطرهم واتقاء شرهم.

وتكاثر العامة انما هو مظهر لنمو المدن السريع وتطور الجباة فيها. وكان جل العامة من اهل المدن والصناعات والبيوعات البسيطة ، وظهرت بينهم روابط معيشية وتكتلات في الاسواق تحت اشراف المحتسب وعرفائهم. وكانت مواردهم المعاشية بسيطة ومجال الكسب محدودا وخاصة لعامة أهل الحرفة من المبتدئين والصناع ومما زاد وضعهم صعوبة ارتفاع الاسعار وزيادة تكاليف المعيشة في وقت لا يطرأ ارتفاع يذكر على الاجور خلال القرن الثالث

الهجري ولا بد وان وضعهم كان يتأزم خاصة في أوقات الفتن او عند حصول الغلاء وزاد من عدد العامة وكثرة عدد المعدمين بينهم ازدياد الهجرة من الريف نتيجة الحروب والثورات والارهاق والظلم في الجباية.

وهذا أدى الى وجود ظاهرة اخرى وهي قيام دعوات تنادي بالثورة على الوضع القائم وتعمل على تغييره ومنها ثورة الزنج وحركة الاسماعيلية القرامطة. فالملاحظ ان ثورة الزنج وإن كانت محدودة بتحرير السود دون ان تنادي بإلغاء الرق ، فإن ما وجدته من عطف من بعض سكان القرى والقبائل المجاورة يدل على سوء وضع أهل الريف بسبب ما تعرضوا له من استغلال من الجباية او اصحاب الاقطاع او كليهما وهي بدورها ألحقت أفدح الأضرار بنظام الري وبالزراعة ودفعت جموعا من الفلاحين الى ترك قراهم وأراضيهم والهرب الى المدن.

ب- استفحال نفوذ الأتراك وتدخلهم في مؤسستي الخلافة والوزارة العباسية في العصر العباسي الثاني.

يعتبر عصر المعتصم بالله ٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٢م بداية النفوذ التركي في الدولة العباسية. بحيث لم يقتصر نفوذهم على العاصمة فحسب، بل شمل أيضا بعد فترة وجيزة الولايات الإسلامية الأخرى، بعد منحهم إقطاعات واسعة في هذه الولايات " وقد سن القادة العسكريون سنة جديدة في الإدارة. فحين يعين أحدهم لإدارة ولاية خارج العراق، كان يرسل وكيلا له، ويبقى هو في العاصمة ليطلع على الأمور عن قرب، ويحافظ على مركزه بين التكتلات المنافسة في البلاد"[١] وقد أثر هؤلاء القادة تأثيرا واضحا في الشؤون السياسية في دار الخلافة. فاستولوا على الجيش أولا وعلى الحكومة ثانيا .

لم تكن فكرة جلب الأتراك جديدة على المعتصم، بل كان وجود الترك وسكان الأقاليم الشرقية في البلاد والحرس منذ عهد الخليفة العباسي المنصور ١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٣-٧٧٤م. وفي رواية للثعالبي أن المنصور "أول خليفة اتخذ الأتراك"[٢]. غير أنه برزت عند المعتصم هذه الفكرة بدافع من الأوضاع خاصة السياسية منها التي بدأت تتطور منذ عهد المأمون.

---

[١] فاروق عمر فوزي، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، ط ٢، مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٢٨.

[٢] عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن الصيرمي، (د.ط.) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢٠.

ويعلل محمد عبده تصرف المعتصم هذا بقوله : " ظن – أي الخليفة – أن الجيش العربي قد يكون عونا لخليفة علوي، لأن العلويين كانوا ألصق ببيت النبي صلى الله عليه وسلم. فأراد أن يتخذ له جيشا أجنبيا من الترك والديلم وغيرهم من الأمم التي ظن أنه يستعبدها بسلطانه ويصطنعها بإحسانه. فلا تساعد الخارج عليه ولا تعين طالب مكانه من الملك"(١).

لذلك كان هؤلاء الأتراك دائما رهن إشارة الخليفة يؤدون سلطانه، وينفذون أمره ويقاومون الأخطار التي تهدد الدولة في الداخل كالثورات أو في الخارج كالخطر البيزنطي الذي وقف بالمرصاد للقضاء على الدولة العباسية. وقد امتدح الجاحظ الأتراك بقوله :" فصاروا للإسلام مادة وجندا كثيفا، وللخلفاء وقاية وموئلا وجنة حصينة، وشعارا دون الدثار"(٢).

كما امتدح الجاحظ الخليفة المعتصم لموقفه في اصطناع الأتراك بقوله : " أشهد أن المعتصم كان أعرف بهم حيث جمعهم واصطنعهم ".(٣)

ومن أجل ذلك فتح المعتصم الطريق أمام الترك، ليتمكنوا من الوصول للانخراط في جيش الخلافة، حيث استقدمهم من بلاد ما وراء النهر. إما عن طريق النخاسة ، وإما عن سبيل الجزية التي كان على أمراء هذه البلاد أن يؤدوها. وبدأ المعتصم بإسناد أمر سلامته الشخصية لهؤلاء الأتراك، فجعل منهم حرسه الخاص، ثم أدخلهم في جيشه المحارب واستطاعوا بشجاعتهم أن ينالوا تقدير الخليفة... وأن يصلوا إلى القمة في أمور الحرب (٤) وحرصا منهم على مكانتهم، فقد عملوا على إسقاط أسماء الكثيرين من العرب وغيرهم من الجيش الإسلامي ليخلو لهم الجو(٥).

---

(١) محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ط٢، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٤٦.

(٢) عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، مناقب الترك، (واقع ضمن رسائل الجاحظ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط١، مكتبة الجاحظ، القاهرة، ١٩٧٩، ج١، ص ٧٥.

(٣) المصدر ذاته، ج١، ص ٦٢.

(٤) لمعرفة صفات الترك ومناقبهم ودورهم في قمع الحركات المعارضة للدولة، انظر : المصدر السابق.

(٥) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٤٩، ج٢، ص ٢٧.

William Muir, **The Galiphate : Its Rise, Decline and Fall.** Beirut, 1963. P. 516.

غير أن الدوري يرى أن " تقديم الترك كان عاملا مهما في زعزعة قواعد الخلافة العباسية، إذ سرعان ما استفحل نفوذهم بعد نقل مركز الخلافة من بغداد إلى سامراء التي بنيت معسكرا للترك،وساعدتهم الظروف على التلاعب بمقدرات الخلافة"[١].

أما فاروق عمر فيرى أن "وجود الترك في العاصمة العباسية الجديدة (سر من رأى) وفي الجيش والإدارة كان له سلبياته وإيجابياته، على أن إدخال هذا الدم الجديد إلى عناصر الجيش العباسي زاد من مقدرات هذا الجيش وفاعليته في الحرب الخارجية، وفي القضاء على التمردات الداخلية، بعد أن استنزفت العناصر الأخرى كل ما لديها من طاقة في الحروب السابقة"[٢]، أو أنها اتجهت إلى نشاطات أخرى في الحياة كالحرف والتجارة والزراعة وما إلى ذلك من الأعمال.

وبذلك يكون المعتصم قد فتح بابا لدخول الأتراك رغم أنه لم يكن يقصد اتساع نفوذهم إلى الدرجة التي حدثت بعد عهده. مما أفسح المجال أمامهم للمساهمة في السياسة والإدارة العباسية، إذ أشار السيوطي إلى أن المعتصم كان أول خليفة أدخل الأتراك إلى الديوان[٣]، فكثر عددهم حتى صار جل عسكر الخليفة من الصغد[٤] وفرغانة[٥] واشروسنة[٦] والشاش[٧] فقويت شوكتهم"

---

[١] الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ١٣. انظر: حسام الدين السامرائي، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة ٢٤٧-٣٣٤هـ/ ٨٦١-٩٤٥م، قدم له عبد العزيز الدوري، دار الفكر العربي، ص ١٢.

[٢] فاروق عمر، الخلافة العباسية (القوة والازدهار)، دار الشروق، عمان، ١٩٩٨، ج١، ص ١٣.

[٣] جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٣، ص ٣٩٣. انظر : أحمد بن علي المقريزي(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، (د.م.)، (د.ط.) لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٦، ج١، ص١٦.

[٤] الصغد : هي كورة قصبتها سمرقند. ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، (د.م.)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١، ج٣، ص ٤٠٩.

[٥] فرغانة: مدينة وكورة واسعة بما رواء النهر متاخمة لبلاد تركستان. الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق ج٤، ص٢٥٣.

[٦] اشروسنة: بلدة كبيرة بما وراء النهر من بلاد الهياطله بين سيحون وسمرقند. الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج١، ص ١٩٧.

[٧] الشاش: بلدة بما وراء النهر ثم ما وراء النهر سيحون متاخمة لبلاد الترك. الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج٣، ص٣٠٨.

وبذل فيهم الأموال وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب"[١].

توفي المعتصم سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤١م، فخلفه ابنه وولي عهده الواثق بالله ٢٢٧- ٢٣٢هـ/ ٨٤٢-٨٤٧م.[٢] الذي امتازت فترة حكمه بازدياد نفوذ القادة الأتراك مثل اشناس ووصيف وايتاخ وبغا الكبير.

سار الواثق سيرة أبيه في الاعتماد على الأتراك. فأعطى قوادهم الولايات، فولى أشناس "من بابه إلى آخر عمل المغرب". وولى ايتاخ خراسان والسند وكور دجلة[٣] ثم صار قائدا للجيش[٤]. كما خلع على أشناس لقب السلطان، وبذلك يكون قد اعترف له بحقوق تعدو نطاق المهام العسكرية. وقد علق السيوطي على ذلك بقوله " وأظن أنه – أي الواثق– أول خليفة استخلف سلطانا"[٥].

ويرى الدوري أن " ضعف وقلة إدراك الواثق مسئولان عن خطأ كبير وقع فيه، وهو عدم تعيينه ولي عهد بعده، مما فتح المجال للترك في التدخل في أعلى مراحل السلطة، وهو اختيار الخليفة فلم يترددوا في استغلال الفرصة، بل كانت لهم اليد الطولى في انتخاب المتوكل، فكانت هذه سابقة جرت الويلات على العباسيين"[٦].

توفي الواثق دون أن يعهد لأحد بالخلافة، بقوله : " لا يراني الله أتقلدها حيا وميتا"[٧]، وكاد الوزير وزعماء الأتراك والقاضي أن يبايعوا ابنه. لولا تدخل وصيف التركي – أحد قواد الأتراك– الذي اعترض عليهم بقوله :" ألا تتقون الله ؟ أتولون مثل هذا الخلافة وهو لا يجوز

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، مصدر سابق، ص ٢٩٤.

(٢) أحمد بن يعقوب اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ ٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، (د.م.) ، (د.ط.)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠، ج٢، ص ٤٧٩. محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، (د.ط.)، دار سويدان، (د.م.ن.)، (د.ت.)، ج٩، ص ١٢٣.

(٣) اليعقوبي، تاريخ، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٨١. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٣٦.

(٤) اليوزبكي، الوزارة، مرجع سابق، ص ١٢١.

(٥) السيوطي، تاريخ الخلفاء، مصدر سابق، ص ٤٠٠.

(٦) الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ١٣.

(٧) اليعقوبي، تاريخ، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٨٣. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٤١.

معه الصلاة ؟ »[1]، ثم لعب مع بقية القادة الأتراك دورا مهما في اختيار أخي الواثق – الذي لقب بالمتوكل– ومبايعته[2]. ويذكر السامرائي أن اشتراك رجال الإدارة –وعلى رأسهم الوزير ابن الزيات – في هذا الاختيار، قلل من خطر هذه التجربة[3]، أي انفراد المؤسسة العسكرية في اختيار الخليفة ومن ثم تحكمهم به.

ولما كان المتوكل على الله ٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٦-٨٦١م يتصف بالشجاعة والقوة [4] فقد بات أمر اصطدام القادة الأتراك معه أمرا حتميا.[5] وذلك لأن نفوذهم استفحل إلى درجة كبيرة ابتداء من هذا الوقت في كل مؤسسات الدولة.[6]

حاول المتوكل أن يعيد القوة لمؤسسة الخلافة، بفرض قوة الخليفة على سائر القادة الأتراك والقوى الأخرى. متبعا سياسة جديدة، قوامها كسب تأييد شعبي له، بتأييده مذهب أهل السنة والجماعة، والقضاء على الاعتزال، ومحاولة تقسيم الدولة بين أبنائه الثلاثة لتعزيز النفوذ العباسي المباشر على الأقاليم، ثم محاولة نقل العاصمة من سامراء إلى دمشق سنة ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م وعزمه على المكث بها [7] ليكون محاطا بالعرب. وأخيرا اتبع المتوكل سياسة المؤامرات والدسائس للتخلص من زعماء الأتراك. ورغم نجاحه في إبعاد القائد التركي ايتاخ – وكان إليه الجيش والمغاربة والأتراك والموالي والبريد والحجابة ودار الخلافة بالإضافة إلى الإشراف على

---

(١) الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج٩، ص ١٥٤.

(٢) الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٤١. فاروق عمر، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، ط٢، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٧، ص ٤٣.

(٣) السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص١٣.

(٤) اليعقوبي، تاريخ، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٨٤، الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٥) الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٤١. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ١٣.

(٦) Bowen, Harold, The Life and Times of Ali Ibn Isa, The Good Vizier, Cambridge, London, 1927, P.3.

(٧) الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ص ٤٦-٤٧. فاروق عمر، التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٥٨.

بيوت الأموال – عن سامراء ثم قتله إلا أن بقية القادة أجبروه على العودة إلى سامراء.[١]

أخفق المتوكل في مسعاه، لأن الأتراك رغم انقسامهم على أنفسهم كانوا يشعرون بالمصلحة المشتركة، وساعدهم على ذلك تخليط الخليفة في أمر العهد، وانقسام العائلة الحاكمة على نفسها. فاستغلوا ذلك لقتل خصمهم والتخلص منه[٢] "فوقع المتوكل صريعاً بيد حفنة من القادة العسكريين" [٣]على رأسهم وصيف وبغا الصغير، وكان ذلك كما يظهر باتفاق بين الترك والمنتصر[٤] ابن المتوكل.

"ويعد اغتيال المتوكل أول انقلاب عسكري ضد خليفة عباسي وبداية النهاية لسلطة الخليفة الذي أصبح صنيعة زمرة صغيرة من القادة العسكريين، كما يعد أول مؤامرة قتل مدبرة على خليفة عباسي"[٥].

ويصف الدوري حادثة مقتل المتوكل على أنها "كانت فاتحة بلاء على الخلافة. وإعلان لزوال حرمتها، فهي أول مرة يجرؤ فيها الجند البرابرة على سفك دم الخلفاء والتعدي عليهم وشجعتهم على اقتراف أنواع الجرائم ضدهم".[٦]

وبمقتل المتوكل ابتدأت فترة جديدة يمكن أن يطلق عليها اسم "عصر الفوضى العسكرية" أو " فترة فوضى الأتراك" وخلال هذه الفترة " انحطت هيبة الخلافة، واقترف الترك فيه أنواع الفظائع. وتشجع أمراء الأطراف على الانفصال ولاسيما في إيران ومصر، وتضاءلت أهمية

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٩١. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٤٦. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ٦٢. Muir, The Caliphate, op. cit., P. 527

(٢) اليعقوبي، تاريخ، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٩٢. علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر،تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، (د.ط.) المكتبة العصيرية، بيروت، (د.ت.)، ج٤، ص ١١٨. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ١٤.

(٣) فاروق عمر، التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٤) الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٥٦. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ٦٩.
Muir, The Caliphate, op. cit., P.P. 532-533.

(٥) فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ٦٦.

(٦) الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٥٦.

الوزارة. واختلت الإدارة وانفسح المجال للتيارات الثورية الاجتماعية المكبوتة أن تظهر بشكل عنيف. كما حصل في حركة الزنج والقرامطة التي زعزعت أركان الدولة وكادت تقضي عليها"[١]. كما استضعف القادة الأتراك الخلفاء حتى صار "الخليفة في أيديهم كالأسير، إن شاءوا أبقوه، وإن شاءوا خلعوه، وإن شاءوا قتلوه".[٢]

خلف المنتصر ٢٤٧-٢٤٨هـ/ ٨٦١-٨٦٢م أباه المتوكل في الخلافة بموجب عهد سابق منه، وبايعه عليها قتلة أبيه من القادة الأتراك، لذلك تسلط هؤلاء في عهده حتى أنه انقاد لإلحاحهم، فوافق على خلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد.[٣]

ولم تطل مدة حكم المنتصر، خاصة بعد أن جرّده القادة الأتراك من جميع صلاحياته، فنقم عليهم، وأخذ يتوعدهم بالقتل.[٤] عندها عزموا على التخلص منه، فدسوا له طبيبه فسمه بناء على طلبهم.[٥]

أعاد المنتصر الخطأ نفسه في عدم عهده بالخلافة لأحد، مما أفسح المجال أمام زعماء الأتراك التدخل مجدداً في اختيار الخليفة. وقد أشار المؤرخون إلى أن الأتراك " استخلفوا قواد الأتراك والمغاربة والأشروسنية على أن يرضوا بمن رضي به بغا الصغير وبغا الكبير واوتامش. وذلك بتدبير أحمد بن الخصيب. فحلف القوم"[٦]، وقد وقع اختيارهم على أحمد بن

---

[١] الدوري، دراسات، مرجع سابق ص ٥٩.

[٢] محمد بن علي بن الطقطقي (ت ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩م)، **الفخري في الآداب السلطانية**، (د.م.)، (د.ط.)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦، ص ٢٤٣.

[٣] اليعقوبي، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٩٣. الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٢٤٤. المسعودي، **مروج**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٣٦. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢٦٠. Muir, The Caliphate, op. cit., P. 534، فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٦٩.

[٤] المسعودي، **مروج**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٣٤.

[٥] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٢٥١. المسعودي، **مروج**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٣٤. السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، مصدر سابق، ص ص ٤٢٠-٤٢١. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٦٠. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٤٩.

[٦] اليعقوبي، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٩٢. المسعودي، **مروج**، مصدر سابق، ج٤، ص ١١٨. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٥٦. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٧.

محمد بن المعتصم. ولقبوه (المستعين بالله) سنة ٢٤٨-٢٥١هـ/ ٨٦٢-٨٦٦م. الذي اختار اوتامش وزيراً له. وبذلك تقلد منصب الوزارة قائد عسكري بعد أن كان بيد المدنيين.[١] فاستبدّ بالأمور. خاصة بعد أن أطلق المستعين يده في بيوت المال، فعمد إلى ما فيها واكتسحه[٢] مما أثار حفيظة بقية القادة الذين تآمروا ضده بقيادة وصيف وبغا وانتهى الأمر بقتله بموافقة الخليفة المستعين.[٣] غير أن قائد جديد حل محل أوتامش ويدعى (باغر) الذي كان من رؤوس المؤامرة ضد المتوكل. غير أن حزب وصيف وبغا وإلى جانبهم الخليفة المستعين كان أقوى من باغر. فتمكنوا من قتله.[٤]

يئس المستعين من محاولة إعادة سلطته، فهرب إلى بغداد ومعه وصيف وبغا. خاصة بعد ثورة أصحاب باغر، ومع ذلك بقي المستعين " لا أمر له والأمر لبغا ووصيف "[٥] ويرى السامرائي أن السبب وراء انتقال الخليفة إلى بغداد هو رغبته في الابتعاد عن مركز تجمع الأتراك. استمراراً لمحاولاته التخلص من تسلطهم على الخلافة. واستبدادهم في أمور الدولة الإدارية والمالية.[٦]

قرر زعماء الأتراك خلع المستعين من الخلافة ومبايعة ابن عمه (المعتز بالله) بالخلافة بعد رفضه العودة معهم إلى سامراء، مما أدخل الدولة في حرب أهلية جديدة، تعيد إلى الأذهان ما حدث في فتنة الأمين والمأمون، إذ أصبحت بغداد وتوابعها إلى جانب المستعين، وسامراء إلى

---

[١] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٢٥٦. المسعودي، **مروج**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٤٥. Muir, **The Caliphate**, op. cit., P. 535-536. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٧٠.

[٢] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٢٦٣. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٦١. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٧٠.

[٣] اليعقوبي، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٩٦. الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٢٦٤. المسعودي، **مروج**، مصدر سابق، ج٤، ص ٤٥. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٦١.

[٤] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٢٨٠. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٦٢. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٧٠.

[٥] المسعودي، **مروج**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٤٥. Muir, **The Caliphate**, op. cit., P. 537

[٦] السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ١٩.

جانب المعتز، وفي النهاية اضطر المستعين إلى عقد الصلح وخلع نفسه سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م.[١]

أصبح المعتز بالله خليفة (٢٥١-٢٥٢هـ/ ٨٦٥-٨٦٦م)، بفضل وقوف الأتراك إلى جانبه مما أعطاهم زمام الأمور، إذ سيطر (بايكباك) على الأمور. مستنداً على خبرة رجل من الكتاب هو الحسن بن مخلد بن الجراح[٢]، مما يدل على حاجة الدولة إلى الكتاب المدنيين لأنهم أقدر على تسيير الأمور المدنية بالإضافة إلى كتلة وصيف وبغا اللذين تجاوزا كل حد في علاقتهما بالخليفة.[٣] خاصة بعد أن حصلا على أكثر مما كانا يتوقعان جراء شروط الصلح التي تمت بين المستعين والمعتز.

أحس الأتراك بالخطر جراء محاولة المعتز التخلص منهم. إذ عمد إلى دعم المغاربة والفرغانيين لكرههم للأتراك لاستئثارهم بالسلطة دونهم. كما نجح في التخلص من بغا. وصودرت أمواله بأمر الخليفة.[٤] فتوحدت جهودهم واستمالوا إليهم المغاربة والفراغنة وحثوهم على الشغب للمطالبة بأرزاقهم المتأخرة، مما اضطر الخليفة للاستنجاد بأمه، غير أنها لم تنجده، رغم كثرة الأموال لديها، عندها قرر الأتراك خلعه. وأشهدوا على تنازله عن الخلافة ثم سجنوه إلى أن مات [٥]، "وقد كانت نهايته مؤلمة، تدل على طغيان الجند وقادتهم وسوء أدبهم وسلوكهم".[٦]

---

[١] اليعقوبي، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٤، ص ٤٩٩. الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٣٤٨، ٣٦٣. المسعودي، **مروج** ، مصدر سابق، ج٤، ص ١٤٤. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٦٥.

[٢] اليعقوبي، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٠٣. الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٣٨٠. المسعودي، **مروج**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٧٨. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٧٢.

[٣] فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٧٢.

[٤] اليعقوبي، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٠٣. الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٣٨٠. المسعودي، **مروج**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٧٨. Muir, **The Caliphate**, op. cit., P 540. ، الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٦٧.

[٥] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق،ج٩، ص ٣٨٩-٣٩٠. المسعودي، **مروج**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٧٨. ابن الطقطقي، **الفخري**، مصدر سابق، ص ١١٣. السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، مصدر سابق، ص ٤٢٦.

[٦] فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٧٣.

أحضر الأتراك محمد بن الواثق (المهتدي بالله)، لمبايعته على الخلافة غير أنه لم يقبل أن يتسلم الأمر إلا بعد أن يتم تنازل المعتز عنها علنا.[١] ويعزو بعض المؤرخين المحدثين ذلك الأمر إلى رغبة المهتدي في عدم اختراق الشرع الإسلامي في قبول البيعة على الخلافة مع وجود خليفة شرعي واحترام هيبة الخلافة. بالإضافة إلى رغبته في أن تكون بيعته موافقة للتقليد السائد دون أن يكون للقادة الأتراك فضل في تنصيبه.[٢]

اتبع المهتدي ٢٥٢-٢٥٥هـ/ ٨٦٦-٨٦٨م سياسة جديدة لإعادة هيبة الخلافة إلى سابق عهدها وتخليصها من سلطة القادة العسكريين، ولعل إدراك موسى بن بغا لخطط المهتدي وراء عدم اعترافه به كخليفة جديد.[٣] إذ بدأ المهتدي التقرب من العامة ورجال الدين وجمعهم حوله. كما اهتم بتقوية فرقة (الأبناء)[٤] ليحفظ بذلك التوازن مع الأتراك في الجيش، وجمع حوله فرق المغاربة والفراغنة وبعض الجند الأتراك المتذمرين.[٥] إذ أخذ موقف الجند الأتراك يتغير من قوادهم. لشعورهم أنهم يستغلونهم للحصول على امتيازات وأموال ومناصب لهم دون أن يلمس الجند أي تحسن في حالتهم.[٦] ومن جهة أخرى فقد حاول المهتدي توسيع شقة الخلاف بين القادة الأتراك بضرب بعضهم ببعض.[٧] إذ كاتب بايكبال – أحد قادة الأتراك – وأغراه بقتل موسى

---

(١) الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٣٩١. المسعودي، **مروج**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٧٨. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٢٧٣. السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ٦٨.
Muir, The Caliphate, op. cit., P. 542

(٢) انظر : فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٧٣. السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٣) الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٦٦. السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٤) الأبناء : أطلق هذا الاسم على الجيل الثاني من أبناء الفرس الذين امتزجوا بالعرب في اليمن قبل ظهور الإسلام، ولعل (الأبناء) في هذه الفترة إحدى فرق الجيش العباسي الذين يرجعون إلى أصل فارسي بدليل أنهم استخدموا كقوة مقابل الأتراك. السامرائي: **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٥) اليعقوبي، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٠٦. المسعودي، **مروج**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٥٩. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢٦٩.

(٦) المرجع ذاته، ص ٧٤. اليوزبكي، **الوزارة**، مرجع سابق، ص ١٢٦.

(٧) الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٦٩. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٧٤.

بن بغا ومفلح –وهما من زعماء الأتراك –مقابل أن يجعله أميراً على الأتراك غير أن بايكبال أدرك مرامي الخليفة في محاولته إضعاف شوكة القادة العسكريين الأتراك، فأنحاز إلى أبناء قومه، مما يؤكد على أنه رغم انقسام الأتراك على أنفسهم فإنهم كانوا يشعرون بالمصلحة المشتركة، فبدأت العلاقات العدائية بين الطرفين تمتاز بالعلنية. إذ أخذ القادة الأتراك يطعنون بشخص الخليفة وسياسته، فقابل الخليفة المهتدي تصرفهم هذا بقوة وحزم إذ أحضر جماعة منهم وفيهم بايكبال نفسه، وضرب أعناقهم.[١] وبلغ الخليفة المهتدي أن الأتراك قد تشاوروا على خلعه وقتله . فقابلهم بكل جرأة إذ استدعى موسى بن بغا وأصحابه وأنذره قائلاً : " قد بلغني ما تمالأتم عليه من أمري، وإني والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنط – أي منتظر الموت– وقد أوصيت أخي بولدي، وهذا سيفي والله لأضربن به ما استمسك قائمة في يدي، والله لئن سقط من شعري شعرة ليهلكن بدلها منكم أو ليذهبن بها أكثركم أما دين؟ أما حياء؟ أما تستحيون ؟ كم هذا الإقدام على الخلفاء والجرأة على الله عز وجل وأنتم لا تبصرون"[٢]، إلا أن الأتراك رغم ذلك استمروا يتآمرون ضد الخليفة، مما دفع الخليفة إلى استنفار العامة، وأباح دماء الأتراك وأموالهم، غير أن خوف العامة من قوة الأتراك، أدى إلى تفرقهم عن خليفتهم، فسقط المهتدي ضحية محاولة إبعاد القادة الأتراك عن السياسة، والسيطرة على الخلافة وذلك سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م.[٣]

بمقتل الخليفة المهتدي بدأت فترة جديدة يمكن أن يطلق عليها فترة (الانتعاش المؤقت) أو (فترة الاستقرار والهدوء النسبي ٢٥٦-٢٩٥هـ/ ٨٧١-٩٠٨م)، إذ توقف الأتراك عن إثارة الاضطرابات وذلك في أعقاب تولي المعتمد على الله الخلافة على أيديهم ٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٧٠-٨٩٢م. لأن موسى بن بغا هو الذي اختار المعتمد للخلافة، حيث لم يكن بين قادة الأتراك من

---

(١) الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ص ٤٥٦-٤٥٧. المسعودي، **مروج**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٨٧. ابن الطقطقي، **الفخري**، مصدر سابق، ص ٢٤٧. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٧٤.

Muir, The Caliphate, op. cit., P.545

(٢) أبو الفداء ابن كثير (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، (د.ط.) دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٣، ج١١، ص ٢٤.

(٣) اليعقوبي، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٠٦. الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٤٥٩. المسعودي، **مروج**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٨٦. ابن الطقطقي، **الفخري**، مصدر سابق، ص ٢٤٧. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٦٩. اليوزبكي، **الوزارة**، مرجع سابق، ص ١٢٦.

لم يتمكن من القضاء على ابن طولون في مصر، إلا أنه تمكن من كسب أمير سوريا (لؤلؤ) إلى جانبه – المعين من قبل ابن طولون الذي كان على عداء مع الموفق طلحة.(١)

توفي المعتمد على الله سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢ بعد أن عهد بولاية العهد إلى ابنه جعفر المفوض من بعده ثم إلى أخيه الموفق طلحة(٢). غير أن الموفق توفي قبل أخيه المعتمد سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م. كما انتقل المعتمد إلى بغداد، إذ أحس بوجود بوادر لتدخل المؤسسة العسكرية في مسألة ولاية العهد، إذ اجتمع القادة وأمراء الجيش على أخذ البيعة لأبي العباس بن الموفق، مما أجبر المعتمد على مبايعته مكان أبيه بعد ابنه المفوض، وأمر أن يلقب بالمعتضد بالله (٣). وأسند إليه من المسؤوليات ما كان لأبيه من قبل، غير أن طموح المعتضد كان أكبر من أن يرضى بذلك. إذ كان يطمح أن يتولى الخلافة بعد عمه المعتمد مباشرة بإزاحة المفوض عن طريقه. فبدأ بإضعاف نفوذ الخليفة المعتمد، يسانده الجيش على ذلك، ولم يلبث أن خلفه بعد وفاته بعد أن اجبره على خلع ولده جعفر من ولاية العهد.(٤)

استهل المعتضد ٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م عهده بالعمل على توطيد نفوذ الخلافة ورفع شأنها، وإضعاف سلطة الأتراك بقدر ما يستطيع، وكان شديد الوطأة. لذلك هابه الناس

وهدأت الفتن في أيامه. كما كان يتصف بالحزم والكفاية والعدل.(٥) مما أهله للقضاء على الفتن الداخلية، ومنع احتمال تدخل الجيش أو سيطرته في مقدرات الخلافة.

ويرى الدوري أن " للوئام بين القوة الإدارية والجيش أثر في استرجاع الخلافة عزها" (٦)، وبالرغم من توسع نفوذ بدر – غلام المعتضد – الذي يصفه المسعودي بقوله :" وكان صاحب

---

(١) الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ١٨٧. انظر : Muir, The Caliphate, op. cit., P. 548-553.

(٢) المسعودي، مروج، مصدر سابق، ج٤، ص ٢١١. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٣) اليعقوبي، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٥١. الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١٠، ص ٢٢.

(٤) الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١٠، ص ٢٨. المسعودي، **مروج**، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٢٩.

(٥) المسعودي، **مروج**، مصدر سابق،ج٤، ص ٢٣٢. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ١٨٩. السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٦) الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ١٨٩.

المملكة والقيم بأمر الخلافة .. وإليه جميع المعارف في جميع الآفاق، وإليه أمر الجيوش وسائر القواد"[١]، غير أن بدر المعتضدي "كان يخلص لخليفته ولا يتدخل في السياسة".[٢]

تولى المكتفي الخلافة بعد وفاة والده ٢٨٩-٢٩٥هـ/ ٩٠١-٩٠٧م، غير أنه لم يكن له نفس الحزم والجرأة التي كان يتمتع بها والده، ويشير السامرائي إلى أن العلاقة بين المكتفي ووزرائه كانت تعبر عن ثقة متبادلة، "وهي تشير إلى ارتفاع شأن الوزارة وتدل على استقرار جدي لها".[٣] مما أوقعه تحت تأثير وزرائه المقربين إليه بالإضافة إلى مولاه فاتك.[٤]

توفي المكتفي دون عهد صريح مدون بولاية العهد لأخيه جعفر الذي كان يرغب بتفويض أمر الخلافة إليه من بعده.[٥] مما أتاح الفرصة من جديد الكتاب والقادة العسكريين على السواء للتدخل في الشؤون السياسية والإدارية، خاصة بعد أن " أحسوا أن السلطة ستبقى خارج أيديهم إذا استمر تعاقب الأمراء والخلفاء الأقوياء.. فعادوا إلى سيرتهم الأولى في اختيار الخلفاء الضعفاء" [٦]. فتمت مبايعة (المقتدر بالله) خليفة بعد عناء.[٧]

---

[١] المسعودي، مروج، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٣٢.

[٢] الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ١٨٩. السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ٤٥.

[٣] السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ٤٨.

[٤] الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ١٨٩. Muir, **The Caliphate**, op. cit., P.568.

[٥] عريب بن سعيد القرطبي (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)، **صلة تاريخ الطبري**، (واقع ضمن نيول تاريخ الطبري)، ط١، دار الفكر، ١٩٨٧، ص ٢٧. أحمد بن محمد مسكويه (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تحقيق هـ. ف. أمدروز، (د.ط.) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت.)، ج١، ص ٣. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ص ٨٤-٨٥.

[٦] فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٨٥.

[٧] لمزيد من تفاصيل اختلاف الكتاب والقادة في تعيين المقتدر، انظر : عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٣١ وما بعد، مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣. وما بعدها. محمد بن عبد الملك الهمداني (ت ٥٢١هـ/ ١١٢٧م)، **تكملة تاريخ الطبري**، (واقع ضمن ذيول تاريخ الطبري) ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧، ص١٩١.

يرى فاروق عمر أنه بدأ عصر جديد عاد فيه الخليفة أضعف ما كان عليه في بداية نفوذ القادة العسكريين، ولم يبق للمؤسسة المدنية التي يرأسها الوزير ورؤساء الدواوين فعالية سياسية رئيسية، بل خضعت كافة المؤسسات لنفوذ العسكريين.(١)

كان الدور الأساسي في توجيه الدولة في عهد المقتدر بالله ٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٧-٩٣٢م بيد الوزراء والكتاب، إذ كانوا يتصرفون بأمور الدولة مستمدين إرشاداتهم وتوجيهاتهم من الحوم والحرس.(٢) ومع ذلك فقد كان هؤلاء الوزراء عرضة لسياسة المصادرة بسبب دسائسهم ضد بعضهم البعض، مما عمل على تدمير قوتهم، وإفساح المجال للمؤسسة العسكرية للتدخل ثانية في إدارة الدولة، مما أعاد للأذهان عصر الفوضى العسكرية من جديد.

ويرى الدوري أن " وجود مؤنس – قائد الجيش – والأزمة المالية العاملين الرئيسين في تدخل الجيش في السياسة" (٣)فبعد قضاء مؤنس على فتنة ابن المعتز، أصبح له الأثر الأكبر في توجيه الإدارة. إذ أخذ يعمل على تعيين الوزراء وعزلهم كيفما شاء. فتضاءلت هيبة الوزراء اعتباراً من هذا التاريخ معتمداً على قوة ودعم الجيش له.(٤)

استمرت المؤسسة العسكرية ممثلة بالقادة يتدخلون في أمور الدولة العباسية، فكانوا يطالبون الخلافة بتنفيذ رغباتهم وطلباتهم، مهددين بإثارة الفتنة والاضطراب في صفوف الجيش، ومن ذلك ما حدث أعوام ٣١٥هـ/ ٩٢٧م، و ٣١٦هـ/ ٩٢٨م(٥)

---

(١) فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ٨٤.

(٢) المسعودي، التنبيه والاشراف، تحقيق عبد الله صادق، (د.ط.) دار الصاوي، القاهرة، ١٩٣٨، ص ٣٧٧. ابن الطقطقي، الفخري، مصدر سابق، ص ٥٨. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ١٩٧.

(٣) الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

(٤) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق،ص ٦٠-٦٥. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ١٥٨-١٥٩.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٩،١٨٩. عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد بن عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ج٣، ص ٢٦١. ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ١٦٩، ١٨٠. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص٢٠٩. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص٦١.

ففي سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م اصطدم الخليفة المقتدر مع المؤسسة العسكرية ممثلة بقائدها مؤنس، بعد أن دُس لمؤنس أن الخليفة يدبر أمراً للخلاص منه عند دخوله دار الخلافة. بعد أن طلب الخليفة من مؤنس الذهاب لرد عدوان قوات الدولة البيزنطية على حدود الدولة الإسلامية، وهدمها المساجد في سميساط، فامتنع مؤنس عن السفر، كما امتنع عن دخول دار الخلافة وحده، بل اصطحب معه عدداً كبيراً من قادته وجنوده، مما أجبر الخليفة على أن يحلف لمؤنس على صفاء نيته تجاهه.[١] مما يدل على مدى فاعلية الجيش في هذه الفترة وسيطرته على الأمور في الدولة.

وفي سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م دس بعض قادة الجيش لمؤنس أن الخليفة عازم على إسناد قيادة الجيش إلى هارون بن غريب الخال، وإقصائه عنها.[٢] مما زاد في توتر العلاقات بين مؤسسة الخلافة والمؤسسة العسكرية، فغضب مؤنس وتنكر للخليفة، وانسحب بالجيش من بغداد إلى الشماسية[٣]، مما أجبر الخليفة إلى الإجابة إلى مطالب المتذمرين، ومنها طرد السيدة الوالدة وأختها وكل المحظيات من البلاط، وأن يقلل الخليفة من تبذيره للأموال. بالإضافة إلى نفي هارون بن غريب الخال، فأجابهم إلى مطالبهم غير أن بعض قادة الجيش (نازوك وأبو الهيجاء) لم يقتنعا بذلك فأثاروا الاضطراب ثم هاجموا البلاط وسيطروا على دار الخلافة، وبايعوا أخ المقتدر وهو (القاهر بالله) بناء على طلب قائد الجيش مؤنس.[٤]

---

[١] مسكوية، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٦٠-١٦١. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٢٦١. علي بن محمد ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٦٩. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢٠٩.

[٢] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٨٨-١٨٩. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٢٧٩. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٨٨. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٩١. السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ٦١.

[٣] الشماسية، محلة مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد، وهي أعلى من الرصافة ومحلة أبي حنيفة، الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٦١.

[٤] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٩٣. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص٢٨٠. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٠٠. Bowen. **Ali Ibn Isa**, op. cit., P. 284.

لم يكتب النجاح لهذا الانقلاب العسكري وذلك أن عدم ثقة القائد نازوك بفرقة المصافية[١]، أدى به إلى استبدالهم بثقاته لحراسة دار الخلافة، فحدث أن اتفق المصافية مع فرقة أخرى من فرق الحرس وهي الحجرية، فاضطربوا مطالبين بزيادة الرواتب، فأعطاهم نازوك المال، ولكنهم وبعد فترة دخلوا إلى البلاط يطلبون أرزاق سنة إضافية، فأرسل القاهر نازوك لتهدئتهم، ولكنه كان ثملاً فلما رأهم بالسلاح خاف منهم وهرب. إلا أن الجند أدركوه وقتلوه و تم خلع القاهر، وأعيد المقتدر مجدداً إلى الخلافة.[٢]

"ولما شعر الجند بأن جميع رغباتهم تجاب وجميع طلباتهم تلبى، أصبح تصرفهم لا يطاق، فالمصافية نصبوا أنفسهم حماة للخليفة، وضجوا في ساحة القصر، ورحبوا بالمنخرطين في صفوفهم حتى زاد عددهم كثيراً، ثم أدخلوا زوجاتهم وأطفالهم وحتى معارفهم في الديوان، وأعاقوا سير العدالة ثم طلب رؤساؤهم حق الدخول إلى الخليفة أو الوزير متى أرادوا، والخلاصة أنهم سيطروا على الدولة سيطرة تامة"[٣].

لذلك أدرك المقتدر أنه لا يمكن التهاون بمطالب الجيش لقوته فاتبع سياسة طالما استخدمها من سبقه من الخلفاء، وهي ضرب الفرق العسكرية ببعضها البعض.[٤] غير أن هذه السياسة لم تنجح " لأن الفرقة المنتصرة تشعر بأهميتها وتتبجح بدورها في إنقاذ الخليفة، وتطلب أرزاقاً إضافية وتسيطر على الأمور".[٥]

---

[١] المصافية : هي فرقة من الجند ملازمة لدار الخليفة المقتدر سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، بلغ عدد الرجالة منهم (٢٠،٠٠٠) جندي، وبلغت رواتبهم بالشهر (١٢٠،٠٠٠) دينار. وعدد الخيالة (١٢٠٠٠) خيال، يتقاضون في الشهر (٥٠،٠٠٠) دينار، نعمان ثابت، **العسكرية في عهد العباسيين**. راجعه حامد الورد، مديرية المطابع العسكرية، بغداد، ١٩٨٧، ص ١٨٠-١٨١.

[٢] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ١٢٣ وما بعدها. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٩٥ وما بعد. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٢٦١ وما بعدها. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ص٢٠٣ وما بعدها. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ٩١.

[٣] الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢١١.

[٤] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ١٢٨-١٢٩. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٢.

[٥] فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٢٩٢. للتفاصيل انظر : مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٢٨.

سيطر القائد مؤنس على الأمور وأخذ يتحكم بالإدارة وفي اختيار الوزراء، وبدأ ينتظر من الخليفة مشاورته في كل المسائل باعتباره الرجل الأول في الدولة معتمداً على قوة الجيش، كما كان يراقب الخليفة باستمرار.(١)

بدأت التكتلات السياسية تنشأ داخل البلاط، فعمد الخليفة المقتدر إلى تقريب بعض الأشخاص إلى جانبه ليكونوا في وجه مؤنس وجيشه، فاعتمد المقتدر على حاجبه الجديد ياقوت وابنه محمد، فعين محمد على شرطة العاصمة وضم إليه الحسبة مكان ابني رائق اللذين عينهما مؤنس. فكان هذا أول صدام بين الخليفة ومؤنس، غير أن مؤنس رد على تصرفات الخليفة بأن انسحب بجيشه إلى الشماسية مغاضباً وثار الفرسان على أثره، وقدم مؤنس مطالبه للخليفة بأن يتم عزل محمد بن ياقوت عن الشرطة والحسبة وعزل والده ياقوت عن الحجابة، فاضطر المقتدر للإجابة إلى مطالب مؤنس، فهدأت الحال في بغداد.(٢)

عاد الصدام مجدداً بين الخليفة ومؤنس على إثر عزم الخليفة المقتدر عزل الوزير واستيزار الحسين بن القاسم ليكون من حلفه ويثق به ويعتمد عليه، والجدير بالملاحظة أن مؤنس لم يعترض على استيزار الحسين بن القاسم ولكنه ندم فيما بعد على ذلك عندما بدأ الوزير الجديد يوهن من قوة مؤنس بضرب الجيش بعضه ببعض. كما عزل علي بن عيسى بن الجراح صديق مؤنس من ديوان المظالم، وعزل أيضاً القائد يلبق. فطلب مؤنس من الخليفة عزله عن الوزارة، غير أن الخليفة رفض مما اضطر مؤنس إلى ترك بغداد بجيشه متوجهاً إلى الموصل. حتى قوى مركزه والتحق به أنصاره وبعض فرق الجيش.(٣)

نجح مؤنس في قطع الميرة والموارد عن بغداد، كما قطعها القرامطة عن الشام. ومع فشل محاولات الوزير لمنع التصادم بين الجيشين. إلا أن الخليفة أمر بمباشرة القتال والذي كان من

---

(١) الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢١٢.

(٢) مجهول (ت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، **العيون والحدائق في أخبار الحقائق** : تحقيق عمر السعيدي (د.ط.) نشره المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٧٢، ج٤، ق١، ص٢٥٢. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢٠٩-٢١٠.

(٣) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ١٤١. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢١٢. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٩٢.

أهم نتائجه قتل الخليفة المقتدر سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م[١]. ويذكر الدوري أن الخلافة العباسية "طعنت في الصميم ولم يلتئم جرحها بعد ذلك".[٢]

شعر مؤنس بالخوف نتيجة قتل المقتدر، إذ كان يرى أن سلطانه مرتبط ارتباطا وثيقا ببقاء المقتدر[٣] على الرغم من العداء القائم بين الطرفين، وقد عبر عن خوفه من الخطر المحدق بقوله: "قتلتموه، والله لنقتلن كلنا"[٤].

أراد مؤنس اختيار أبي العباس بن المقتدر خليفة بعد المقتدر، لتقواه وعلاقته الحسنة به، غير أن جماعة قد عارضت هذا الاختيار، ثم عرض مؤنس الأمر على محمد بن المكتفي، ولكنه رفض قبوله، وأخيرا وقع الاختيار على محمد بن المعتضد (القاهر بالله) وبايعه مؤنس وجماعته بعد أن أخذوا منه العهود والمواثيق على عدم الفتك بهم.[٥] لأنه كان متقلب ومتلون وشديد البطش بأعدائه.[٦] ويشير الدوري إلى أن "مؤنسا لم يرتح لهذا الاختيار لأن القاهر كان فقيرا جدا "[٧]، إذ عجز عن تنفيذ ما اشترطه عليه مؤنس بمنح أرزاق البيعة للجند كما هي العادة.[٨]

---

[١] مجهول، العيون الحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ص ٢٥٥-٢٥٦. عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ١٤٩ وما بعدها. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٣٦-٢٣٧. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢١٨.

[٢] الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢١٨. انظر : السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص٦٧.

[٣] الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

[٤] مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٦١. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٤١.

[٥] مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٥٣، ص ٢٦٢. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٤٢.

[٦] المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٤، ص ٣١٣.

[٧] الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢٣٠. انظر : السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ص٦٨-٦٩.

[٨] عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ص ١٥٥-١٥٦. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢٤٣-٢٤٤.

وبعد اختيار الخليفة القاهر بالله ٣٢٠-٣٢٢هـ/ ٩٣٢-٩٣٣م، أراد مؤنس اختيار وزير يرضاه ويخدم مصالحه، فرشح علي بن عيسى بن الجراح للوزارة، غير أنه وجد معارضة من يلبق وابنه ، بسبب تخوفهما من سياسته الاقتصادية، ورشحا أبا علي بن مقله، فاسندت الوزارة إليه.[١] مما يدل على أن السلطة أصبحت بيد الجيش صاحب اليد الطولى في كل صغيرة وكبيرة.

أراد القاهر بالله استعادة هيمنة الخلافة على الأمور، وإبعاد المؤسسة العسكرية عن التحكم بإدارة الدولة العباسية، وخاصة بعد أن اكتشف مؤامرة تحاك في الخفاء ضده لخلعه عن العرش يدبرها مؤنس ويلبق وابنه علي مع الوزير ابن مقلة، إذ كان الوزير ابن مقلة على عداء مع محمد بن ياقوت، فأوقع في نفس مؤنس ويلبق أن ابن ياقوت يتآمر مع الخليفة ضدهم للتخلص منهم، فعمل الخليفة على تقريب فرقة الساجية إليه وجعلهم حرساً للقصر. وعند دخول الثلاثة إلى دار الخلافة أمر الخليفة بالقبض عليهم وقتلهم جميعاً. وهرب ابن مقله واختفى فعجز الخليفة عن القبض عليه.[٢]

وقد نجح القاهر في استعادة هيبة الخلافة مؤقتاً، وخاصة بعد أن استوزر محمد بن القاسم برغبته، ثم قتله ابن المكتفي الذي أراد مؤنس وكتلته ترشيحه للخلافة بعد عزل القاهر، إلا أنه بدأ يغير من سياسته معتمداً على شخصه فقط. إذ نسي أن ابن مقله مازال مختبئاً ويدبر ضده، كما أهمل الساجية الذين وقفوا إلى جانبه، ثم عزل محمد بن القاسم عن الوزارة واستوزر الخصيبي.[٣]

تجمعت فرق الجيش المتذمرة من تصرفات الخليفة، بالإضافة إلى دسائس ابن مقله الذي أوقع في نفس قادة الساجية ومنهم (سيما) أن الخليفة يعمل على سجنه، فأحاطوا القصر وتمكنوا

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٤٢. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

(٢) مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٦٨-٢٦٩. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٥٩. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ٩٤.

(٣) مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٦٨-٢٦٩. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٥٩. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢٣٢. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ٩٤.

من أسر القاهر، وأعلنوا خلعه ثم سملت عيناه، وأودع السجن وذلك سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م.[١]

ومرة أخرى كان الفضل للمؤسسة العسكرية في إخراج أبي العباس بن المقتدر من السجن وسلموا عليه بالخلافة، واختار لنفسه لقب (الراضي بالله) ٣٢٢-٣٢٩ هـ/ ٩٣٤-٩٤٠م[٢]. كما عين الجيش ابن مقله وزيراً له بعد تعهده بدفع نصف مليون دينار عطايا للبيعة[٣] إرضاءً للجيش.

لم يتمكن الوزراء في عهد الراضي من النهوض بالأعباء الموكلة إليهم وخاصة التخلص من الأزمة المالية المستحكمة، فضلاً عن استقلال البويهيين في فارس، والبريديين في خوزستان، فانحصرت سلطة الخليفة في بغداد وما جاورها، وكذلك ازدياد شغب الجند بسبب تأخر أرزاقهم ولهذا فقد اضطر الراضي إلى أن يراسل ابن رائق – الذي كانت إليه قيادة الجيش، والشرطة بواسط – ويقلده " الإمارة ورئاسة الجيش وجعله أمير الأمراء ورد إليه تدبير أعمال الخراج والضياع وأعمال المعاون في جميع النواحي، وفوض إليه تدبير المملكة، وأمر أن يخطب له على جميع المنابر في الممالك، وأن يكنى وأنفذ إليه الخلع اللواء..."[٤] ومنذ هذا الوقت طغى أمير الأمراء على شخصية الخليفة، وسلب منه أهم اختصاصاته وهي تعيين ولي العهد، بالإضافة إلى بطلان أمر الوزارة " فلم يكن الوزير ينظر في شيء من أمر النواحي، ولا الدواوين ولا الأعمال ولا كان له غير اسم الوزارة".[٥]

---

[١] مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٧٥. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٨٦.

[٢] مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٧٧. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢٨٩-٢٩٠. الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ٢٨٤. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢٣٣.

[٣] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٩٢. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص٧٤.

[٤] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص٣٥١.

[٥] مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٩٠. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص٣٥٢.

واستمر أمير الأمراء على هذه الحال حتى تمكن البويهيون من الوصول إلى قصر الخلافة العباسية، وسيطرتهم على الأمور، إذ ساد الاتجاه العسكري البحت في مؤسسات الدولـــة وذلــك سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م.

ثم أسند الراضي إمرة الأمراء إلى بجكم الذي أخذ الراضي يلتزم برأيه في كـــل صغـــيرة وكبيرة من أمور الدولة.(١) لدرجة أن طغى نفوذ بجكم على نفوذ الخليفة إذ طلب الراضي – لمـــا أحس بقرب نهايته في مرضه- من بجكم أن يعقد ولاية العهد لابنه الأصغر أبا الفضل، غـــير أن بجكم أهمل طلب الراضي، فبقي منصب الخلافة شاغراً انتظاراً لرأي بجكم فوقع الاختيار علـــى إبراهيم بن المقتدر الذي اختار لنفسه لقب (المتقي لله) ٣٢٩-٣٣٣هـ/ ٩٤٠-٩٤٤م.(٢)

وبعد وفاة بجكم ظهرت شخصية أمير الأمراء توزون على المسرح السياســـي، إذ انفـــرد بالسيطرة على مرافق الدولة، وأخذ يصرف الأمور من مقره بواسط، حتى أنه أوعز إلى جنـــده بالقبض على الخليفة المتقي وخلعه من الخلافة وسمل عينيه، ثم أحضر عبد الله بـــن المكتفـــي، وبايعه بالخلافة، الذي لقب (المستكفي بالله). ٣٣٣-٣٣٤هـ/ ٩٤٤-٩٤٥م (٣)

استمر أمير الأمراء توزون يصرف شؤون الدولة في عـــهد المســـتكفي لأنـــه صنيعتـــه ولضعفه حتى سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م، وهي سنة دخول البويهيين إلى بغداد وسيطرتهم عليها.

لم يكن منصب الوزارة أفضل حالاً من منصب الخلافة فيما يتعلق بصلة القـــادة الأتـــراك بها، لأن قوة الأول مرتبط ارتباطاً وثيقاً بقوة الثاني.

فقد خضعت الوزارة العباسية في الفترة بيـــن ٢٤٧-٢٥٦هـ/ ٨٦١-٨٧٠م مـــن حيـــث الترشيح والتعيين لرغبة القادة الأتراك، ولم يكن للخليفة سوى تنصيبهم الشـــكلي فقـــط، وكـــان اختيار القادة العسكريين للوزراء لا يتم لخبرتهم وكفاءتهم لتعارض ذلك مع مصالحهم الشخصية، وإنما كانوا يختارون للوزارة من يحقق مصالحهم وأطماعهم المادية. مثلما حـــدث فـــي تعييـــن

---

(١) المسعودي، مروج، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٣٧. مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٣٤٤. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٤١٩.

(٢) مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق٢، ص ٣٥١. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج٢، ص٣. ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج١٣، ص ٢٠٣.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج١٤، ص ٣٩.

الوزير أحمد بن الخصيب وزير المنتصر والمستعين. والوزير جعفر الإسكافي وزير المعتز. ولما كان الخليفة يحاول استعادة بعض سلطاته بتعيين وزيراً يرضاه، كان القادة العسكريون يرفضون ذلك، كما كانوا يعارضون تعيين الخلفاء لوزراء أكفياء مما أدى إلى ضعف مركز الوزير في هذه الفترة، مما أسقط هيبته.(١)

أما (عهد الانتعاش المؤقت) ٢٥٦-٢٩٥هـ/٨٧٠-٩٠٧م، الذي استمر نحو أربعين عاماً، فقد تم التمهيد له بجهود الخليفة المهتدي الذي عمد إلى تقليص نفوذ القادة الأتراك. وشهدت خلافة المعتمد ٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢م بعد ذلك فترة من الانتعاش بالنسبة للخلافة والوزارة، خاصة بعد أن استعان الخليفة بأخيه الموفق طلحة صاحب الشخصية القوية، وعهد إليه قيادة الجيش، فاستطاع أن يسترد نفوذ العباسيين من القادة الأتراك بأن أعاد الجيش إلى عمله الحقيقي وشغله دائماً في حروب ومعارك وركز جميع أمور الدولة بيده وذلك لاستعادة كيان الخلافة وسلطانها، وزاد من انتعاش الوزارة تولي وزراء أكفاء خلال هذه الفترة، وأصبح الوزير بذلك منذ خلافة المعتضد مقدماً على جميع القادة وعاد ليحتل مركزه الطبيعي ممثلاً للسلطة الثانية بعد الخليفة.(٢)

وتلت مرحلة الانتعاش المؤقت مرحلة جديدة عاد الضعف فيها ليدب في أوصال الدولة العباسية، بدأت منذ عهد الخليفة المقتدر بالله ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م، وانتهت بوفاة الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م.

بدأت هذه المرحلة بوفاة الخليفة المكتفي بالله، وعدم عهده الصريح بالخلافة إلى أحد من بعده، مما أعاد تدخل القادة الأتراك والوزراء السابقين والكتاب في اختيار الخليفة المقتدر بالله، وهو صبي لا يتجاوز الثالثة عشرة من عمره لأول مرة وذلك حتى يضمنوا استمرار نفوذهم والاحتفاظ بمناصبهم، واستئثارهم بالأموال في ظل خليفة صغير وضعيف. ومما ساعد على

---

(١) انظر : اليعقوبي، تاريخ، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٩٤. المسعودي، مروج، مصدر سابق، ج٢، ص ١٣٢. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ص ٥٩-٧١. آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد أبو ريدة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥، ج١، ص ١٣٤. البوزبكي، الوزارة، مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٢) ابن الطقطقي، الفخري، مصدر سابق، ص ص ٢٥١-٢٥٢. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ص ٨٨-٩٢، ١٢٣-١٥٦.

ضعف الوزارة وتدهورها في هذه الفترة، تبذير المقتدر معظم أموال الدولة على ملذاته، حتى بلغ مجموع ما أنفقه على ذلك أكثر من (٧٠) مليون دينار، وزيادة رواتب الجند والكتاب ورجال القصر على حساب بيوت الأموال، وتدخل نساء القصر وخاصة أم المقتدر في الوزارة، وشيوع ظاهرة الرشوة وشراء معظم الوزراء مناصبهم بأموال طائلة، وقيامهم بتصديع أركان الوزارة عن طريق استيفاء أموال أكثر مما بذلوه في شراء مناصبهم عن طريق اتباع سياسة المصادرة بحق الوزراء السابقين. وزيادة الضرائب دون الالتفات إلى مصلحة الدولة والعامة، فضلاً عن التنافس والتحاسد فيما بينهم على منصب الوزارة مما أدى إلى عدم استقرارها حتى وليها في خلافة المقتدر (١٢) وزير، بينهم عدد كبير من الوزراء الضعاف، لا دراية لهم بأمور الإدارة. فعجزوا عن معالجة الأمور الإدارية والمالية باستثناء الوزير علي بن عيسى بن الجراح الذي بذل جهوداً كبيرة لإصلاح تلك الأوضاع، لكن فسادها كان أكبر من جهوده في النهاية، وساعدت جميع هذه العوامل على تدخل قائد الجيش مؤنس وسيطرته على أمور الدولة عام ٣١٩هـ/ ٩٣١ م، واصبح يتحكم في الإدارة واختيار الوزراء، وظهرت في هذه المرحلة أحياناً ظاهرتان، إحداهما تعيين شريك أو مساعد للوزير كما فعل الوزير الخاقاني بإشراك ابنه معه في الوزارة، وتعيين علي بن عيسى بن الجراح مساعداً للوزير حامد بن العباس، أما الظاهرة الثانية فهي تنصيب وزيرين معاً في الوزارة، كما حدث بالنسبة للوزير علي بن الفرات الذي عين المقتدر ابنه المحسن وزيراً معه.[١]

استمر تدهور وضع الوزارة في عصر إمرة الأمراء ٣٢٤-٣٣٤هـ/ ٩٣٥-٩٤٦م، وعجز الوزراء فيه عن معالجة الأزمة المالية المستحكمة التي كانت تعاني منها الدولة، مما اضطر الخليفة الراضي إلى تفويض الأمور الإدارية والمالية إلى ابن رائق – والي واسط والبصرة – الذي تعهد للخليفة بسد جميع نفقات الجيش والحاشية والإدارة ولقبه أمير الأمراء، وعينه قائداً للجيش في عام ٣٢٤هـ/٩٣٥م، وصار ابن رائق وكاتبه ينظران في جميع الأمور، مما أفقد الوزير جميع مهامه، وتلاشت أهمية منصبه، حتى قال ابن الطقطقي أنه:"لم يبق للوزير سوى

---

(١) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٢٧ وما بعد، مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢٣٨-٢٣٩. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٢٤، ٢٣٢. متز، **الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٤٢ وما بعد. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ص ١٩٨-١٩٩، ٢٠٢-٢٠٤، ٢٠٦، ٢٢١-٢٢٩. السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ص ٥٦-٥٩، ٩٣-٩٨.

الاسم من غير حكم ولا تدبير"[١]. ما عدا أمور الخليفة المالية، وحضوره الشكلي مواكب المناسبات، وظل الحال كذلك إلى أن انتزع البويهيون إمرة الأمراء من القادة الأتراك سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م.[٢]

ج- أصل آل الجراح وظهورهم على مسرح الأحداث:

- نسب آل الجراح

آل الجراح – أو كما يسميهم صاحب (جمهرة أنساب العرب) بنو الجراح[٣] -بيت من بيوتات الفرس، الذي اشتهر بالحكم والرئاسة منذ فترة قبل الإسلام في فارس موطنهم الأصلي[٤]. إذ كان فيهم (البيت والشرف). فجدهم الأكبر هو دارا بن دارا من ملوك الفرس القدماء المشهورين، كان يتولى الحكم في فارس حتى مجيء الإسكندر المقدوني وسيطرته على فارس، فحاربه الملك دارا بن دارا، غير أن قائدين من قواده خاناه مقابل مال دفعه الاسكندر لهما، ثم قتلهما، ثم قال " ليس لقتلة الملوك أن يستبقوا إلا بذمة لا تخفر " [٥]. وفي هذا إشارة صريحة إلى أن دارا بن دارا كان من ملوك الفرس.ويؤكد صاحب (جمهرة أنساب العرب) ذلك

[١] ابن الطقطقي، الفخري، مصدر سابق، ص ٢٨٢.

[٢] محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)، أخبار الراضي والمتقي (مأخوذ من كتاب الأوراق) تحقيق هيوث (د.ط.) مطبعة الصاوي، القاهرة، ١٩٣٥ ص ص ٨٥-٨٦، ١٠١ مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ص ٣٥٠-٣٥٢. ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ص ٣٢٢-٣٢٣. أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار فراج، (د.ط.) وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٥، ج١، ص ص٢٨٧-٢٨٨. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ص ٢٣١-٢٣٦. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ص ٩٩-١٠٠. ١٤٠، ١٥٠-١٥١.

[٣] علي بن أحمد بن حزم (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٥٤م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون (د.ط.) دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢، ٥١٢. انظر : Bowen, **Ali Ibn Isa**, op. cit., P.33.

[٤] أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١٢، ص ١٤. محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١٠هـ/ ١٣١١م)، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق أحمد راتب ومحمد العمر، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨، ج١٨، ص ١٤١. الخليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، اعتناء وداد القاضي، (د.ط.) ، فرانز شتايز، فيسبادن، ١٩٨٢، ج١٣، ص ٤٦٥.

[٥] محمد بن الحسن بن حمدون (ت ٣٠٩هـ/ ٩٢١م)، التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦، ج١، ص ٤٠٦. الطبري، تاريخ،مصدر سابق ج١، ص ٥٧٥، مسكويه،

أن دارا بن دارا كان من ملوك الفرس.ويؤكد صاحب (جمهرة أنساب العرب) ذلك بقوله : " إن من ملوك الفرس ... دارا بن دارا، ومن ولده بنو الجراح رهط الوزير علي بن عيسى بن الجراح" [١]. وهنا لابد من الإشارة إلى أن العديد من المتميزين والذين أظهروا كفاءة من الذين ظهروا من أصول فارسية في العهد الإسلامي ترجعهم الروايات التاريخية إلى أصول كسروية وملكية قبل الإسلام، وإن اختلاف الروايات في نسبهم إلى هذا الملك أو ذاك لا بد أن تثير الشكوك حول صحة هذا النسب.

وقد وصف الشاعر البحتري آل الجراح بقوله : [٢]

ملوك لهم عادة في القرى   توارثها حسب عن حسب

وقال أيضا يمتدح بعض أسرة آل الجراح وهو الحسن بن مخلد بن الجراح :[٣]

المفتدى وملوك العجم خاضعة   لفرعه في الجدوى وعوده

والمرتقي شرف العلياء ممتثلا   مكان جراحه منه ومخلده[٤]

كما أشار صاحب (جمهرة أنساب العرب) في رواية أخرى إلى أن آل الجراح (بنو الجراح) يمتون بصلة قرابة إلى الملك الفارسي كسرى أنو شروان، وذلك عندما أورد نسب آخر ملوك الفرس، إذ ذكر أن اسمه هو يزدجرد بن شهريار – ولعل شهريار هذا من أجداد آل الجراح الأوائل[٥]– ابن كسرى أبرويز بن كسرى آنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الأثيم بن بهرام بن سابور بن سابور بن سابور ذي الأكتاف بن هرمز

= تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٣٦. ابراهيم بن علي الحصري (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م)، زهر الآداب وثمر الألباب، شرح زكي مبارك، ط٤، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢، ج٣، ص ٦٤٠.

(١) ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، مصدر سابق، ص ٥١٢. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، تحقيق أبو القاسم أمامي، دار سروش، طهران، ١٩٨٧، ج١ ص ٣٥.

(٢) الوليد بن عبد الله البحتري (ت ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)، **ديوان البحتري**، تحقيق كامل الصيرفي، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣، ج١، ص ١٢٤.

(٣) المصدر ذاته، ص ٤٩٩.

(٤) جراح ومخلد هما جد الحسن بن مخلد بن الجراح ووالده، انظر : ملحق رقم (١).

(٥) انظر : ملحق رقم (١).

بن نرسى بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بابك وهو من بني ساسان بن بهمن – أخي دارالأكبر – بن بهمن بن اسفنديار بن بستاشب.[١]

كما أكد البحتري ذلك في مدحه لآل الجراح بقوله :[٢]

قوم أشاد بعلياهم وورثهم	كسرى بن هرمز مجدا واضح السنن
أيام جلى أنو شروان جدكم	غيابة الذل عن سيف بن ذي يزن

عرف آل الجراح (بنو الجراح) بهذا الاسم نسبة إلى جدهم الجراح، ولا يعرف عن ماضيه شيء لأن المصادر – مع الأسف- لم تذكر شيئا عن حياته أو مقتطفات من سيرته سوى ما أورده الصفدي من إرجاع نسبه إلى عدة أجيال . فيذكر أن اسمه هو الجراح بن مهاجر حسنبس بن صبار بخت بن شهريار.[٣]

وتؤكد أسماء سلسلة نسب آل الجراح الأصل الفارسي لهذه الأسرة. ويبدو أن الجراح هو أول من خالط العرب المسلمين وعاش بينهم. وقد يكون هو أول من أسلم من هذه الأسرة. وذلك لتغير نمط الأسماء من فارسية إلى عربية ابتداء من اسمه ثم أسماء سلالته من بعده.

وإذا كان آل الجراح فرسا نسبا فقد استعربوا بمرور الزمن، وتوالي الأجيال، وذلك لتواجدهم في الدولة العربية الإسلامية، واختلاطهم بالعرب المسلمين، وتحدثهم باللغة العربية.

-مكانة آل الجراح الاجتماعية ومؤهلاتهم الإدارية.

كان للجراح أربعة من الأبناء هم : داود، إبراهيم، محمد ومخلد.[٤] وقد خدم هؤلاء الأبناء الدولة الإسلامية ككتبة ومستشارين غير أنهم لم يكونوا مشهورين.[٥] بحيث تسطر المصادر

---

(١) ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، مصدر سابق، ص ٥١١. انظر : الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٧٢. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، طهران، ج١ ص ٣٥.

(٢) البحتري، **ديوان البحتري**، مصدر سابق، ص ص ٢١٥٨-٢١٥٩. أحمد بن سهل البلخي (ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م)، **فارس نامة**، تحقيق كاي ليسترنج ورينولد نيكلسون، دار الفنون، كمبريدج، ١٩٢١، ص ٥٥ وما بعد.

(٣) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٤٦٥. انظر : Bowen, Ali Ibn Isa, Op.cit., P.33.

(٤) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٤٦٥. انظر : ملحق رقم (١).

(٥) Bowen, Ali Ibn Isa, Op.cit., P.36.

أسماءهم كما هو حال أبنائهم فيما بعد، فداود بن الجراح كان من وجوه الكتاب.[١] وكان يكنى بأبي محمد[٢]. عمل – في بداية حياته العملية الإدارية – كاتبا لإبراهيم بن العباس الصولي [٣]. ويبدو أن عمله ككاتب لدى الصولي أهله لأن يصبح كاتبا في الديوان فيما بعد في عهد الخليفة المتوكل على الله. ثم تقلد ديوان الزمام رئاسة[٤] ليس هذا وحده إنما أصبح أيضا في عهد المستعين كاتبا ينظر في التوقيعات الخطيرة ذات الشأن وما يأمر به من حضرته ومن غيرها إلى أصحاب الدواوين[٥]، وقد صنف داود بن الجراح مجموعة من الكتب عكست ميوله واهتماماته التاريخية ومن هذه الكتب : كتاب (التاريخ)، وكتاب (أخبار الكتاب)، وكتاب (الرسائل)[٦]، وكتاب (الأمم السالفة) ويصف الصفدي هذا الكتاب بأنه جامع كبير.[٧] ويذكر اسماعيل باشا البغدادي أن وفاة عيسى بن داود بن الجراح كانت سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م[٨]

أعقب داود بن الجراح اثنين من الأبناء هما عيسى بن داود بن الجراح الذي عمل في الكتابة بالدواوين كأبيه.[٩] ويذكر التنوخي أن الخليفة المستعين احتاج الى كاتب بين يديه عندما

---

[١] الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٤. ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق**، مصدر سابق، ج١٨، ص ١٤١.

[٢] يكنيه البغدادي وابن حمدون بأبي سليمان، انظر : الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مصدر سابق، ج٨، ص٣٦٥. ابن حمدون، **التذكرة الحمدونية**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٥١.

[٣] الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٤٦٥.

[٤] المحسن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، **الفرج بعد الشدة**، تحقيق عبود الشالجي، (د.ط.)، دار صادر، بيروت، ١٩٨٧، ج١، ص ٢١٢. Bowen, Ali Ibn Isa, Op.cit., P.35.

[٥] غرس النعمة، الهفوات النادرة، مصدر سابق، ص٦٤. ابن النديم، الفهرست، مصدر سابق، ص١٢٨.

[٦] محمد بن إسحاق بن النديم (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، **الفهرست**، تحقيق رضا تجدد، (د. ط.)، (د.د. ن.)، (د.م. ن.) ، (د.ت)، ص ٢٠٦. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق،ج١٣، ٤٦٥.

[٧] الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٤٦٥.

[٨] اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، المجلد الأول، طبع باستانبول سنة ١٩٥٥، من منشورات مكتبة المثنى، بغداد، ص٣٥٩.

[٩] الخطيب، البغدادي، **تاريخ بغداد**، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٤. ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق**، مصدر سابق، ج١٨، ص ١٤١.

عزل الوزير محمد بن الفضل الجرجائي فسمي له جماعة كان من بينهم عيسى بن داود.[1] ومحمد بن داود بن الجراح– صاحب ابن المعتز في فتنته– وهو عم الوزير علي بن عيسى بن الجراح. كان محمد بن داود بن الجراح يكنى بأبي عبد الله وهو من علماء الكتاب. كان فاضلا عارفا بأيام الناس وأخبار الخلفاء والوزراء، وله في ذلك مصنفات[2]، تقلد ديوان الجيش في وزارة العباس بن الحسن.[3]

حدث محمد بن داود بن الجراح عن عمر بن شبه النميري، وعبيد الله بن سعد الزهري وأبي يعلى زكريا بن يحيى المنقري، كما روى عنه أحمد بن عبد الله بن عمار والقاضي عمر بن الحسن بن الأشناذي وغيرهما.[4] وقد ذكر الخطيب البغدادي أن محمد بن داود بن الجراح "كان في عصره أوحد في العلم بالأخبار"[5]. كان مع عبد الله بن المعتز ووزر له يوم خلافته سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م ولما انحل أمر ابن المعتز، قتل محمد بن داود بن الجراح سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م. كما ذكر ابن النديم أنه كتب بخطه ما لايحصى كثره، وجميع ما يقع بخطه قد قرأه وأصلحه.[6]

---

(١) التنوخي، جامع التواريخ، مصدر سابق، ج٨، ص٣٣.

(٢) انظر : ابن النديم، **الفهرست**، مصدر سابق، ص ٢٠٦. مصطفى عبد الله حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، (د.م.)، (د.ط.)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢، ج٦، ص ٢٠٢. أيضا الفصل الثالث من هذه الأطروحة

(٣) الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ص ١٠٩-١١٠

(٤) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٢٠. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٦١.

(٥) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٢١.

(٦) انظر : الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٤٠. عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٣٤. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢-٣. الهلال بن المحسن الصابئ (ت ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م)، **الوزراء**،تحقيق عبد الستار فراج (د.ط.)، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨، ص ١٤٣. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ص ١٩٢-١٩٥. حمدان الكبيسي، **عصر المقتدر بالله ٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٧-٩٣٢م**، دراسة في أحوال العراق الداخلية، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٤، ص ٣٦.

تقلد محمد بن داود بن الجراح مناصب عديدة، منها توليه ديوان المشرق في خلافة المعتضد بالله سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م[١] كما تولى الكتابة أيضا في خلافة المكتفي بالله، وتقلد بالإضافة الى دواوين الخراج والضياع في المشرق، ديوان الجيش ايضا في وزارة العباس بن الحسن[٢] إذ كلف بالخروج للكوفة سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م والمقام بها لإنفاذ الجيوش لمحاربة القرامطة.

وقد انفرد صاحب (خلاصة الذهب المسبوك) في أن محمد بن داود بن الجراح كان من وزراء المعتمد على الله[٣] ثم أصبح من وزراء المعتضد بالله .[٤]

وأرى أن هذا غير صحيح، إذ أن محمد بن داود بن الجراح ولد سنة ٢٤٣هـ/ ٨٣٨م وتولى المعتمد الخلافة سنة ٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٦٩-٨٩٢م، مما يعني أن محمد بن داود بن الجراح كان لا يزال حدثا، لم تمكنه التجارب ليتولى منصب الوزارة، وخاصة وأن الموفق هو الذي كان يعين الوزراء، كما أن المصادر التاريخية لا تذكر أن محمد بن داود الجراح تولى الوزارة للمعتضد بالله أيضا، سوى إشارة الإربلي وإشارة عريب القرطبي إذ أورد عريب أن المكتفي "ندب محمد بن داود بن الجراح الوزير للخروج إلى الكوفة والمقام بها وإنفاذ الجيوش إلى القرمطي"[٥]، علما بأن الوزير العباس بن الحسن هو الذي كان يتولى الوزارة للمكتفي.

وأما محمد بن الجراح فقد بدأ حياته الإدارية كأخيه داود، إذ عمل كاتبا لدى إبراهيم بن العباس الصولي[٦]. وتكاد تكون هذه الإشارة الوحيدة والتي أوردها الصفدي عن محمد بن الجراح.

---

(١) الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج١٠، ص٧٣. التنوخي، نشوار، مصدر سابق، ج٤، ص٧٢. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص١٤٨.

(٢) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص١٠٩.

(٣) عبد الرحمن سنبط الاربلي (ت ٧١٧هـ/ ١٣١٧م)، خلاصة الذهب المسبوك، تصحيح مكي السيد جاسم، ط٢، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٤، ص ٢٣٤.

(٤) المصدر ذاته، ص ٢٣٧.

(٥) عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٢٣. انظر : متز، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٣٣.

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر سابق، ج١٣، ص ٤٦٥.

ولم تسعفنا المصادر في معرفة ولو النذر اليسير عن حياة كل من إبراهيم ومخلد ابنا الجراح، ولا عن مؤهلهما الإداري، ولكن يبدو أنهما كانا يعملان كتبة في الدولة العباسية، حالهم كحال أخوتهم، كما يشير Bowen إلى ذلك.(١)

أعقب مخلد بن الجراح ولدا واحدا هو الحسن بن مخلد بن الجراح الذي كان يكنى بأبي محمد، بالإضافة إلى بنتا واحدة هي مريم بنت مخلد بن الجراح.(٢) وقد كان حظ الحسن بن مخلد بن الجراح أوفر من حظ الده، إذ كان من المقدمين في الدولة العباسية.(٣)

وهنا وقع المستشرق Bowen في خلط عندما ذكر أن مخلد أعقب أربعة من الأبناء هم الحسن ومريم وأضاف إليهما عبدون وصاعد.(٤) غير أنه لا يذكر مصدره الذي اعتمد عليه لتأكيد أن عبدون وصاعد هما من أبناء مخلد بن الجراح، ولعله اجتهد في ذلك لأن اسم والد صاعد وعبدون هو مخلد، وهنا حدث الخلط لدى المستشرق غير أن الروايات لا تذكر أن صاعد وعبدون ينتسبا إلى آل الجراح، بل إنها تؤكد أنهما بقيا على نصرانيتهما حتى العصر العباسي الثاني. إذ أسلم صاعد بن مخلد على يد الموفق طلحة، وبقي عبدون ابن مخلد على نصرانيته.(٥)

بدأ الحسن بن مخلد بن الجراح حياته الإدارية كاتبا في ديوان الخليفة المتوكل على الله ٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٦٩-٨٩٢م . إذ تولى ديوان الضياع(٦) رئاسة.(٧) وقد وصف الذهبي الحسن بن

---

(١) Bowen, Ali Ibn Isa, Op.cit., P.36.

(٢) انظر : ملحق رقم (١).

(٣) الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج٩، ص ص ٣٤٢-٣٤٩.

(٤) Bowen, Ali Ibn Isa, Op.cit., P.34.

(٥) علي بن محمد الشابشتي (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) ، الديارات، تحقيق كوركيس عواد، ط٣، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦، ص ص ٢٧٠-٢٧٣. المسعودي، مروج الذهب، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٠٨. ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج١٢، ص ٢٧٥. ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٧، ص ٣٢٧، ٤١٩. ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج١١، ص ٦١. خير الدين الزركلي، الأعلام، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤، ج٣، ص ١٨٧. Sourdeal, Ibn Makhlad, E.I. op. cit, V III, P. 859.

(٦) ديوان الضياع: هي الضياع العائدة للخليفة والأفراد من أهل بيته. التنوخي، نشوار، مصدر سابق، ج٨، ص٢٤.

(٧) التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، (د.ط.)، دار الغرب الإسلامي، ١٩٧١، ج٨، ص ٢. علي بن الحسن ابن عساكر (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) ، تهذيب تاريخ دمشق، هذبه ورتبه عبد

مخلد بن الجراح بأنه " الوزير الأكمل ... أحد رجال العصر سؤددا ورأيا وشهامة وكتابة وبلاغة وفصاحة ونبلا ، ولد سنة ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م، ووزر للمعتمد نوبتين، فصادره، ثم وزر له ثالثا ... فسخط عليه، فتسلل إلى مصر، فأقبل عليه ابن طولون، وجعل إليه نظر الإقليم والتزم له بنحو ألف ألف دينار في السنة مع العدل. فخافه العمال. وتفرغوا له. وقالوا: هذا عين عليك - للموفق ولي العهد- فتخيل فسجنه، فقالوا : ما الرأي في حبسه في جوارك فربما حدث به موت، فينسب إليك، فأرسل به إلى نائبه بأنطاكية، وأمره أن يعذبه، فتلف تحت العذاب، وكان - مع ظلمه شاعرا جوادا ممدحا، امتدحه البحتري وغيره، عمل الوزارة مع كتابة الموفق، وكان آية في حساب الديوان، كان تام الشكل مهيبا... مات سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م، وقيل ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م"[1] وقد انفرد صاحب (عيون المعارف) بذكر أن الحسن بن مخلد بن الجراح تولى القضاء للخليفة المعتمد على الله .[2]

كما انفرد المستشرق متز في ذكر أن الحسن بن مخلد بن الجراح تقلد الوزارة للخليفة المعتضد، وأنه خلع منها سنة ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م،[3] وهذا غير صحيح لأن المعتضد تولى الخلافة سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، كما أن الحسن بن مخلد بن الجراح توفي سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م على أغلب الروايات.

أما محمد وإبراهيم ابنا الجراح فلم تذكر المصادر أنه كان لهما أبناء، ويبدو أنهما لم يعقبا أبناء. أو كان لهم أبناء. غير أنه لم يكن لهم دور أو إسهام في الدولة الإسلامية ولذلك أغفلت المصادر ذكرهم.

= القادر بدران، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩،، ج٤، ص ٢٥٢. يوسف بن تغري بردى (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ج٣، ص ٥٧.

[1] محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط (د. ط.) مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤،، ج١٣، ص ص ٧-٨. انظر : ابن عساكر، **تهذيب تاريخ دمشق**، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٥٣.

[2] محمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)، **عيون المعارف وفنون أخبار الخلائق**، تحقيق عبد الرحيم علي، (د. ط.) دار الينابيع، (د. م. ن.)، ١٩٩٧، ص ٢٣١.

[3] متز، **الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ج١، ص ١٣٣.

الجراح سنة ٣٠١هـ/٩١٣م[١] وأسهم في بعض المهام الاقتصادية للدولة منها عمله في إصلاح أحد البثوق المعروفة باسم أبي الأسود على نهر الملك وأنفق عليه ٧٠٠ ألف درهم[٢]. وأما محمد بن عيسى بن داود بن الجراح فقد قلده أخوه علي بن عيسى بن الجراح ديوان الحرم في وزارته الثانية.[٣] بالإضافة إلى علي وعبد الرحمن وهما من برع من أبناء عيسى بن داود بن الجراح، إذ عملا كتاباً في الديوان، ثم ترأسا بعض الدواوين وأخيراً انتهى بهما الأمر أن توليا الوزارة العباسية، كما كان لعيسى بن داود بن الجراح بنتاً واحدة هي أسماء زوج علي بن محمد بن داود بن الجراح.[٤] والتي من ولدها أبو القاسم عبدالله بن علي المعروف بابن أسماء. ألف كتابين تحت عنوان (الاستفادة من التاريخ) و (البيان وتقويم اللسان)[٥].

سطر علي بن عيسى بن داود بن الجراح حياته بجملة من الإصلاحات الإدارية والمالية عكست ثقافته والتزامه الديني الذي فرض عليه أداء واجبه العملي بإخلاص دون أن تأخذه لومة لائم في الحق، ولد علي سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م، وكان يكنى أبا الحسن سمع الحديث عن أحمد بن بديل الكوفي، والحسن بن محمد الزعفراني، وحميد بن الربيع، وعمر بن شبه. كما روى عنه ابنه عيسى وسليمان بن أحمد الطبراني، والقاضي أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن بجير الذهلي.[٦] وقد وصفه الخطيب البغدادي أنه : " كان صدوقاً ديّناً فاضلاً عفيفاً في ولايته، محموداً في وزارته، كان كثير البر والمعروف، وقراءة القرآن الكريم، والصلاة والصيام، ويحب أهل العلم ويكثر مجالستهم ومذاكرتهم... ولم يزل من حداثته معروفاً بالستر والصلاح والديانة"[٧]،

---

(١) غُريب، الصلة، مصدر سابق، ص٤٤. ننون، آل الجراح، مرجع سابق، ص١٢٧.

(٢) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص٢٨٠. ننون، آل الجراح، مرجع سابق، ص١٢٧.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص١٥٢.

(٤) Bowen, **Ali Ibn Isa**, Op.cit., P.34. انظر : ملحق رقم (١).

(٥) اسماعيل البغدادي، هدية العارفين، مصدر سابق، المجلد الأول، ص٤٤٥.

(٦) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٤. ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق محي الدين العمروي، (د. ط.)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ج٤٣، ص ١٢٠. الذهبي، سير، مصدر سابق، ج١٥، ص ٢٩٨. عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٦، ج٤، ص ١٨٦.

(٧) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٤. انظر : ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق**، مصدر سابق، ج١٨، ص ١٤١.

وقال فيه صاحب (العيون والحدائق) أنه " كان كاتبا نبيلاً كبير المعروف على أهل الحاجة، قليل التبذخ والإسراف في حق نفسه، وسلم من فتن بغداد وتغلب العجم وغيرهم، فلم تنهب له دار ولا هتكت له حرمة" [١]، كما وصفه الصفدي بقوله :" كان على الحقيقة غنيا شاكرا صدوقا خيراً، صالحا عالما، من خيار الوزراء، وهو كثير البر والمعروف والصلاة والصيام ويجالس العلماء ... خدم السلطان سبعين سنة لم يُزل فيها نعمة من أحد، وأحصى له أيام وزارته نيف وثلاثون ألف توقيع من الكلام السديد، ولم يقتل أحد ولا سعى في دمه"[٢].

وقد أكد كل من الذهبي والحنبلي على هذه الصفات، فقال الذهبي أنه :"كان على الحقيقة غنيا شاكراً، ينطوي على دين متين، وعلم وفضل، وكان صبوراً على المحن، ولله به عناية وكان كثير الصدقات والصلوات، ومجلسه موفور بالعلماء"[٣]. وقال الحنبلي أنه : " كان محدّثاً عالماً، ديناً، خيّراً، كبير الشأن، عليّ الإسناد".[٤]

تولى علي بن عيسى بن الجراح الوزارة للخليفة المقتدر دفعتين، كانت أولاهما سنة ٣٠١-٣٠٤هـ/٩١٣-٩١٦م وكانت الثانية سنة ٣١٤-٣١٦هـ/ ٩٢٦-٩٢٨م كما عرضت عليه الوزارة أكثر من مرة في عهود كل من الخليفة القاهر بالله والخليفة الراضي بالله.

وتجمع كتب التراجم على أن علي بن عيسى بن داود بن الجراح، تولى الوزارة العباسية لكل من الخليفة المقتدر بالله والقاهر بالله [٥]، غير أن كتب التاريخ لا تتفق مع كتب التراجم في أن يكون علي بن عيسى بن الجراح قد تولى الوزارة للخليفة القاهر بالله .[٦] بل أن الوزارة

---

(١) مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق ٢، ص ٤٥١.

(٢) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج٢١، ص ٣٦٨.

(٣) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مصدر سابق، ج١٥، ص ٢٩٩.

(٤) الحنبلي، **شذرات الذهب**، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٩٩.

(٥) انظر : الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٢. ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، مصدر سابق، ج٤٣، ص ١٢٠. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مصدر سابق، ج١٥، ص ٢٩٨. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج٢١، ص ٣٦٨. ابن كثير، **البداية والنهاية**، مصدر سابق، ج١١، ص ٢٣٠. الحنبلي، **شذرات الذهب**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٨٦.

(٦) انظر : مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص٢٧٨. عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص١٥٤ وما بعد. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص٢٤١ وما بعد. الصابئ، **الوزراء**، مصدر

عرضت عليه عندما أراد مؤنس أستيزاره للقاهر، غير أن علي بن عيسى بن الجراح رفض قبولها. كما انفرد الأربلي في ذكر أن علي بن عيسى بن داود بن الجراح تولى الوزارة للخليفة المعتضد بالله إذ يورد اسمه ضمن قائمة وزراء المعتضد[١] على خلاف ما تذكره كتب التاريخ والتراجم.

ألف علي عيسى بن داود بن الجراح مجموعة من الكتب عكس من خلال أسمائها التزامه الديني، إذ أن معظمها يتعلق بالعلوم الدينية.[٢]

وكانت وفاة علي بن عيسى بن داود بن الجراح يوم الجمعة من ذي الحجة سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م.[٣]

أما عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح - شقيق علي بن عيسى- فقد كان من الكتاب أيضاً وكان يكنى بأبي علي، حيث وصف بأنه كاتب سديد.[٤] تولى الوزارة للخليفة الراضي بالله بعد عزل أبي علي بن مقله في جمادى الأولى سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م. وعُزل عنها في رجب من نفس السنة [٥] ثم تولى الوزارة للخليفة المتقي بالله سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م. وقد ألف

= سابق، ص٣٨٦. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص٢٧٣ وما بعد. راجع الفصل الثاني من هذه الأطروحة.

[١] الأربلي، **خلاصة الذهب المسبوك**، مصدر سابق، ص ٢٣٧. انظر : متز، **الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص ١٣٣.

[٢] انظر : ابن النديم، **الفهرست**، مصدر سابق، ص ٢٠٦. محمد بن علي بن أحمد الداوودي (ت ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م)، **طبقات المفسرين**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣٢٣. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج٢١، ص ٣٧٠. الذهبي، **سير**، مصدر سابق، ج١٥، ص ٣٩٩. عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣، ج٢، ص ٤٨٣. انظر الفصل الثالث من هذه الأطروحة

[٣] الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٧. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق٢، ص ٤٥١. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٩٦. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٠٤.

[٤] الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج١٨، ص ٢١٤.

[٥] الصولي، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ٨٤. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ط١، ص ٣٣٨. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٣١٥. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢٣٥.

مجموعة من الكتب معظمها في التاريخ جعلت منه مؤرخـــا.[1] كــانت ولادتــه ســنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م[2] وتوفي سنة ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م.[3]

ظهر الجيل الأخير من أسرة آل الجراح، الذي لم يكن اقل شأناً عن جيل الأبناء من حيــث توليهم المناصب الإدارية وصولاً إلى منصب الوزارة، مع وجود التفاوت في القـــدرة والكفــاءة بينهم، فظهر سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح، وكان يكنى بأبي القاســم. أصبــح وزيــراً للخليفة المقتدر بالله سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م. ونظراً لأنه لم يكن مؤهلاً لمثل هذا المنصب فقــد تــم عزله بسرعة، ولكنه وصل إلى منصب الوزارة أيضاً في أيام خلافة الراضي بالله ســنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م. ولما تولى المتقي لله الخلافة جعل سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح وزيراً له مــرة أخرى سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م.[4] ويذكر ابن الطقطقي أنه لم يكن لسليمان بن الحسن بن مخلــد بــن الجراح " سيرة تؤثر وتروى، ولم يكن من ذوي اللب، وإنما نال ما نال بالجد والنحــت... ولــم تحمد سيرته في وزارته"[5]. توفي في رجب سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م.[6]

أعقب سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح عدداً من البنين هم – كما يذكرهـم Bowen– الحسن ومحمد وعبد الله والجراح والفضل وأحمد بالإضافة إلى عدد من البنات.[7]وقـــد أغفلـت المصادر الحديث عن أي منهم، ويبدو أنه لم يكن لهم أي دور أو سيرة في الدولة الإسلامية.

كما ظهر من الأبناء الأربعة لعلي بن عيسى بن داود بن الجراح[8] اثنان كانا من الكتــاب، ثم ترقى أحدهما حتى وصل إلى منصب الوزارة هو إبراهيم بن علي بن عيســى بــن داود بــن

---

(1) ابن النديم، الفهرست، مصدر سابق، ص ٢٠٧. راجع الفصل الثالث من هذه الأطروحة.

(2) المقريزي، المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، (د.ط.) دار الغرب الإســـلامي، بـيروت، ١٩٩١، ج٤، ص٤٥.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣٤١-٣٥٥هـ، ص ٢٣. الصفدي، الوافي بالوفيــات، مصدر سابق، ج١٨، ص ٢١٥. Bowen, Ali Ibn Isa, Op.cit., P.397.

(4) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، مصدر سابق، ص ١٩١. الذهبي، سير، مصدر سابق، ج١٥، ص ٣٢٨.

(5) ابن الطقطقي، الفخري، مصدر سابق، ص ٢٧٠.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج١٤، ص٣٨.

(7) Bowen, Ali Ibn Isa, Op.cit., P.34. انظر : الملحق رقم (١).

(8) المرجع ذاته، والملحق ذاته.

الجراح –وكان يكنى بأبي نصر–وقد انفرد صاحب (معجم الأدباء) في ذكر أنه تولى الوزارة للخليفة المطيع في ربيع الأول سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م، وتوفي سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م فجأة".[١]

ولم أعمد إلى ذكره ضمن وزراء آل الجراح لعدم الاتفاق على تقلده الوزارة، ولقلة المعلومات المتوفرة عنه، بالإضافة إلى عدم وجود إشارات بقيامه بأعمال سواء كانت إدارية أو مالية تسطر اسمه ويعرف من خلالها.

وأما الابن الآخر لعلي بن عيسى بن داود بن الجراح فهو عيسى وكنيته أبو القاسم، وقد وصف بأنه :" الشيخ الجليل العالم المسند"[٢] ولد سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م. وكان من الكتاب في عهد الخليفة الطائع بالله[٣] إذ عمل في ديوان الرسائل.[٤] وقد استخلف على الحضرة سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م من قبل أبي القاسم بن أبي عبدالله البريدي بعد أن تسلم الأخير ضمانة واسط من معز الدولة البويهي وعاد إليها[٥]. سمع الحديث الكثير عن أبي القاسم البغوي وأبي بكر بن أبي داود، وابن صاعد، وبدر بن الهيثم، وأبي حامد الحضرمي، وأبي بكر بن دريد ومحمد بن نوح الجنديسابوري، وأبي بكر بن مجاهد، وأبي بكر بن زياد، وأبي جعفر بن بهلول، وأبي عمر بن يوسف القاضي، وقيل عنه أنه كان صحيح السماع، حدث وروى عنه فيما كان يمليه من أماليه، أبو القاسم الأزهري، وأبو محمد الخلال، وعلي بن المحسن التنوخي، وعبد الواحد بن شيطا وأبو جعفر بن المسلمة، وأبو الحسين أحمد بن محمد النقور وآخرون،[٦] إذ كان يحدث في دار

---

(١) الحموي، **معجم الأدباء**، (د. م)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١، ج٤، ص ١٨٠. انظر :
Bowen, **Ali Ibn Isa**, Op.cit., P.397.

(٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مصدر سابق، ج١٦، ص ٥٥٠.

(٣) التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٦، ص ١٧٥.------، **الفرج**، مصدر سابق، ج١، ص٢٠٦. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٥، ص ٣٠. الحموي، **معجم الأدباء**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٩٠. ابن كثير، **البداية والنهاية**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٥٤.

(٤) علي بن محمد التوحيدي (ت ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م)، **الامتاع والمؤانسة**، تحقيق زكي نجيب محمود، (د.ط.) دار المعارف ، تونس، ١٩٨٥، ج١، ص ٣٢.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج٢، ص٨٨.

(٦) ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٥، ص ٣١. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٩، ص ١٦٨. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) ، **لسان الميزان**، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ج٤، ص ٤٧٥. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ٣٨١-٤٠٠هـ، ص ٢٥٨. ------، سير، مصدر سابق، ج١٦، ص ٥٥٠. -----

عبد الله بن سليمان بن الأشعث.[١] كما وصف عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح بأنه كثير العلوم، بالإضافة إلى معرفته بالمنطق وعلم الأوائل.[٢] إذ وصفه ابن النديم أنـــه :" أوحـد زمانه في علم المنطق والعلوم القديمة"[٣]، غير أن الذهبي عاب عليه تعمقه في هذه العلوم بقولـه : "لقد شانته هذه العلوم وما زانته ولعله رحم بالحديث"[٤]، ويرجع السبب في ذلـك لأنـه رمـي بشيء من آراء الفلاسفة.[٥] غير أن البعض برّأه مما نسب إليه ومما رمي به.[٦]

قال عنه صاحب (الإمتاع والمؤانسة) أنه " كان عالماً فاضلاً، اقرأ المنطق على يحيى بـن عدي، كما درس الفقه والأدب على علماء عصره، وعمل في ديوان الرســائل... ولـه الـذرع الواسع، والصدر الرحيب في العبادة، وحجة في النقل والترجمة والتصرف فـي فنـون اللغـات وضروب المعاني والعبادات، وقد تصفح ما لم يتصفح كثير من هذه الجماعة، وقلـب بخزائـن الكبراء والسادات، وأعين بالعمر الطويل والفراغ المديد، ولكنه مع هذا الفضل الكثـير، بخيـل بكلمه واحدة، وينصح على ورقة فارغة لسودائه الغالبة عليه، ومزاجه المتشيط بها"[٧].

= ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد معوض وعادل عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلميـــة، بيروت، ١٩٩٠، ج٥، ص ٤٧٥.

(١) ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج١٣، ص ٢٧٥.

(٢) التنوخي، الفرج، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٦. ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج١٥، ص ٣١. ابـن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٩، ص ١٦٨. الذهبي، سير، مصدر سابق، ج١٦، ص ٥٥٠. ابـن كثـير، البداية والنهاية، ج١١، ص ٣٥٤.

(٣) ابن النديم، الفهرست، مصدر سابق، ص ٢٠٧. انظر : Bowen, Ali Ibn Isa, Op.cit., P.387.

(٤) الذهبي، سير، مصدر سابق، ج١٦، ص ٥٥٠.

(٥) التنوخي، الفرج، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٦. ابن الجوزي، المنتظـم، مصـدر سـابق، ج١٥، ص ٣١. العسقلاني، لسان الميزان، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٧٠. الذهبي، ميزان الاعتدال، مصدر سابق، ج٥، ص ٣٨٤. -----، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر زغلول، ط١، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ١٩٨٥، ج٢، ص ١٨٢. ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سـابق، ج١١، ص٣٥٤. الحنبلـي، شـذرات الذهب، ج٤، ص ٤٨٩.

(٦) العسقلاني، لسان الميزان، مصدر سابق، ج٤، ص ٤٧. الذهبي، ميزان الاعتـدال، مصـدر سـابق، ج٥، ص٣٨٤.

(٧) التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، مصدر سابق، ج١، ص ٣٢-٣٦. انظـر: Bowen, Ali Ibn Isa, Op.cit., P.397.

وقال عنه ابن القفطي " إنه إمام في فنون متعددة قيم بعلم الأوائل، كان خطه أشبه بخط ابن مقله في القوة والجريان والطريقة، وذكر عنه أنه تقدم في الدولة"[١] .

كان مولده سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م، وتوفي سنة ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م ودفن في داره في بغداد.[٢] ويضيف صاحب (الإمتاع والمؤانسة) شخصية أخرى من أسرة آل الجراح لم تذكرها المصادر، وهي شخصية (أبو طالب الجراحي)، إذ يقول عنه أنه " من آل علي بن عيسى، كتب للمرزبان ملك الديلم، بعدما انتجع فناء ابن العميد أبي الفضل، فحسده وطرده, وعض بعد ذلك على ناجذه ندماً على سوء فعله، ولقي منه ابن أبي طالب الأمرين، ورسائله مبثوثة".[٣]

وهنالك شخصية أخرى من آل الجراح ذكرتها بعض المصادر وهي شخصية أحمد بن محمد بن الفضل بن جعفر بن محمد الجراح، أبو بكر الخزاز، إذ سمع الحديث عن محمد بن هارون الحضرمي، وأحمد بن القاسم، أخي أبي الليث الفرائضي، وإبراهيم بن حماد بن إسحاق القاضي وأحمد بن عبد الله بن النميري، وأبي بكر بن دريد، وروى عن أبي بكر بن الأنباري قطعة من مصنفاته، وكان ثقة صدوقاً، فاضلاً ديناً ، كثير الكتب، حسن الحال، ظاهر الثروة، وحدث عنه أبو العلاء الواسطي، وابوعبد الله الصميري، وأبو القاسم التنوخي وأبو بكر بن بشران، والحسن بن علي الجوهري، وغيرهم، توفي سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م.[٤] ويصفه صاحب (نشوار المحاضرة) أنه " كان أحد الفرسان ، يلبس أداته، ويركب فرسه، ويخرج إلى الميدان، فيطارد الفرسان فيه" [٥].

---

(١) نقلا عن التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٦، ص ١٧٥.

(٢) المصدر ذاته، ـــــ، **الفرج**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٦. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٥، ص ٣١. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٩، ص ١٦٨. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ٣٨١-٤٠٠هـ، ص٢٥٨. ـــــ، **العبر**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٨٢. ـــــ، **سير**، مصدر سابق، ج١٦، ص٥٥٠. ابن كثير، **البداية والنهاية**، مصدر سابق، ج١١، ص ٣٥٤. الحنبلي، **شذرات الذهب**، مصدر سابق، ج٤، ص٤٨٩. Bowen, **Ali Ibn Isa**, Op.cit., P.397.

(٣) التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**، مصدر سابق، ج١، ص ٦٨. انظر : ابن حمدون، **التذكرة الحمدونية**، مصدر سابق، ج٤، ص١٢٢.

(٤) الخطيب، **البغدادي**، تاريخ بغداد، مصدر سابق، ج٥، ص ص ٢٨٦-٢٨٧. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٤، ص ص ٣٥٧- ٣٥٨. التوحيدي، **الرسالة البغدادية**، تحقيق عبود الشالجي، (د.ط.)، منشورات الجمل، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٤٧.

(٥) التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٤، ص ٤٠.

الفصل الأول

تولي آل الجراح الوزارة العباسية في

الفترة ما بين ٢٦٣-٣٢٩هـ/٨٧٦-٩٤٠م

١- وزارة الحسن بن مخلد بن الجراح للخليفة المعتمد على الله.

٢- وزارة محمد بن داود بن الجراح لعبد الله بن المعتز سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م ودوره في الفتنة.

٣- وزارة علي بن عيسى بن الجراح للخليفة المقتدر بالله :

أ- الأعمال والوظائف الإدارية التي تولاها قبل الوزارة.

ب- دوره في فتنة ابن المعتز سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م.

ج- وزارته الأولى سنة ٣٠١-٣٠٤هـ/ ٩١٣-٩١٦م.

د- الأعمال الوظائف الإدارية التي تولاها بين الوزارتين.

هـ- وزارته الثانية سنة ٣١٤-٣١٦هـ/ ٩٢٦-٩٢٨م.

و- الأعمال والوظائف الإدارية التي تولاها بعد وزارته الثانية.

٤- وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح.

أ- وزارته للخليفة المقتدر بالله سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م.

ب- وزارته للخليفة الراضي بالله.

- *وزارته الأولى سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م.*
- *وزارته الثانية سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م.*

ج- وزارته للخليفة المتقي بالله سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م.

٥- وزارة عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح.

أ- وزارته للخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م.

ب- وزارته للخليفة المتقي بالله سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م.

١- وزارة الحسن بن مخلد بن الجراح للخليفة المعتمد على الله:

تولى المعتمد على الله[١] الخلافة سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م بعد وفاة الخليفة المهتدي[٢] بالله[٣] وبتقلده الخلافة انتهت فترة التسع سنوات وأثبتت الخلافة أنها لا تزال تنطوي على قوة كبيرة وذلك راجع إلى كفاح الخلفاء المستمر والوئام الحاصل بين القوة الإدارية والجيش أكبر الأثر في انتعاش الهيئة الإدارية وعودة هيبة الوزراء وتمكنهم من توجيه السياسة العامة للدولة، ومع أن قائد الجيش –الموفق– قد تحكم بالخليفة حتى وفاته إلا أن ذلك لا يعني إلا أنه كان حريصاً على الخلافة إذ قام بأعمال الدولة[٤] حيث قام بها أحسن قيام إذ "كان له الأمر والنهي وقيادة العسكر ومحاربة الأعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والأمراء[٥]، ولأنه كان عادلاً حسن السيرة يجلس للمظالم وعنده القضاة وغيرهم، فينصف الناس بعضهم من بعض"[٦]. لذلك أحبه الناس ومالوا إليه.[٧]

---

[١] أحمد بن المتوكل العباسي، ولد بسامراء، وولي الخلافة سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م، بعد مقتل المهتدي، وطالت أيامه، وكانت مضطربة وكثيرة العزل والتولية، تغلب عليه الأتراك، ثم ولي عهده الموفق طلحة مما حدا بالناس إلى إنتقاصه لإنشغاله بلذاته، مات مسموماً ودفن بسامراء سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م. انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، مصدر سابق، ج١١، ص ص ١٩-٧٠. الحنبلي، **شذرات الذهب**، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٢٦.

[٢] محمد بن الواثق العباسي، بويع بالخلافة سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م، بعد خلع المعتز، انتقض عليه الأتراك ببغداد فخرج لقتالهم فتفرق من كان معه من الجند الأتراك، وانضموا إلى أبناء جلدتهم، فأصيب بطعنة مات على أثرها، كان يأخذ أخذ عمر بن عبد العزيز في الصلاح، مات سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م. انظر: ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٢، ص ٢٠٢. الذهبي، **العبر**، مصدر سابق، ج١، ص ٣١٧.

[٣] الطبري، **تاريخ الأمم**، ج٩، ص ٤٧٤. القضاعي، **عيون المعارف**، ص ٢٣١. مجهول، **العيون والحدائق**، ج٤، ق١، ص ١١.

[٤] مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٢. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٦، ص٤٩.

[٥] ابن الطقطقي، **الفخري**، مصدر سابق، ص ٢٢٠-٢٢١.

[٦] ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٧، ص ٤٤٣.

[٧] القضاعي، **عيون المعارف**، مصدر سابق، ص ٢٢٩. محمد بن علي بن العمراني (ت ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، **الأنباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق محمد قاسم السامرائي، (د.ط.)، لايدن، ١٩٧٣، ص ١٣٩. السيوطي، **تاريخ الخلفاء**مصدر سابق ص ٣١٢.

وقد كان للموفق محاولات للتخلص من الأتراك بابعادهم عن السياسة وتوجيههم إلى عملهم الحقيقي بإشغالهم قمع الحركات والانتفاضات التي قامت في أرجاء قريبة من مركز الخلافة كحركة الزنج في جنوبي العراق وثورة الخوارج في شماله، وخطر الصفار والطاهريين وحركات الاسماعيلية وانفصال ابن طولون في مصر. وقد نجح الموفق حيث فشل القادة الاتراك وخاصة بالقضاء على حركة الزنج وضرب الصفاريين. كما عمل على التخفيف من سيطرتهم على مرافق الدولة وكان كشريك لأخيه المعتمد في الخلافة، فهو إن لم يكن تولى الخلافة اسماً فقد تولاها من الناحية العملية فعلاً، فضلاً عن قيامه بالأعمال الحربية والإشراف على الأمور الإدارية بنفسه، فارتفع بذلك شأن الخلافة، وخاصة بعد إخضاع الموفق لحركة الزنج سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م.(١)

كان الحسن بن مخلد بن الجراح ثاني شخصية تتولى الوزارة للخليفة المعتمد بعد عبيد الله بن يحيى بن خاقان الذي تقلد الوزارة سنة ٢٥٦-٢٦٣هـ/ ٨٦٩-٨٧٦م.(٢) وعند وفاته كان الأتراك قد تغلغلوا وسيطروا على مرافق الدولة لذلك عمد المعتمد إلى استيزار الحسن بن مخلد بن الجراح في ذي القعدة سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م.(٣) وقد امتدحه الشاعر البحتري عند توليه الوزارة بقوله:(٤)

---

(١) الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٨، ص ٦٦٣. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٥٨. انظر : فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ص ٧٩-٨٠. (سيتم الحديث عن الزنج في فصل لاحق).

(٢) الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٥٣٢. المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٢٠. ابن العمراني، **الأنباء**، مصدر سابق ص ١٣٩. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٨٩. (ورد فيه اسم الحسين بن مخلد بدل الحسن بن مخلد ولعله خطأ مطبعي). مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٧٤٠ (يذكر أن الحسن بن مخلد أول شخص يتولى الوزارة للمعتمد في أول ولايته ثم يذكر وزارة عبيد الله الخاقاني).

(٣) الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٥٣٢. عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، **تاريخ ابن خلدون**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ج٣، ص ٣٧٣ (وقد ورد فيه أن الذي تولى بعد الخاقاني هو محمد بن مخلد، وبعد عزل سليمان بن وهب تولى الحسن بن مخلد)، المقريزي، **المقفى** مصدر سابق، ج١، ص٣٠٩. Sourdel, Ibn Makhlad, **E.I.** op. cit., VIII, P. 859.

(٤) ابن حمدون، **التذكرة الحمدونية**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٥٣. البحتري، **ديوان البحتري**، مصدر سابق،ج١، ص ١٧٥.

ولي السياسة واسطا بين التسهل والتشدد

كالسيف يقطع وهو مسلول ويرهب وهو مغمد

وقال في مدحه أيضاً : [١]

وزر الخلافة حيث يعضل حادث وشهابها – في الظلمات – الواقد

وقال بعض الشعراء مادحاً الحسن بن مخلد بن الجراح:[٢]

أبا محمد المسعود طالعه فُتَّ البرية طرّاً أيما فوت

زهت بك الخلعة الميمون طائرها كزهو خلعة بيت الله بالبيت

وقد مثل استيزاره خطوة جريئة من قبل المعتمد مثلما كانت خطوته في تعيينه الموفق ولياً للعهد للتخلص من السيطرة التركية. ثم التفرغ لقمع الحركات والانتفاضات قرب مركز الخلافة وخاصة حركة الزنج. وبذلك بدأت لعبة الخليفة السياسية مع الأتراك. إذ لم تكن علاقة الحسن بن مخلد بن الجراح مع الأتراك حسنة، وخاصة مع القائد التركي موسى بن بغا[٣]، الذي لم يتح للخليفة المعتمد الفرصة لتنفيذ رغبته، إذ سرعان ما عمد إلى عزل الحسن بن مخلد بن الجراح عن الوزارة، واستوزر مكانه سليمان بن وهب[٤] في ذي الحجة سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م.[٥] وفي هذا إشارة واضحة لمدى القوة والنفوذ التي وصل إليها بعض القادة الأتراك وسيطرتهم على أمور

---

(١) البحتري، ديوان البحتري، مصدر سابق، ج٢، ص ٦٠٢.

(٢) الثعالبي، ثمار القلوب، تحقيق إبراهيم صالح، ط١، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٤، ج١، ص ٦٨.

(٣) هو أحد قواد المتوكل، ندب سنة ٢٥٠هـ/ لحرب أهل حمص عندما قاتلوا واليهم، فأوقع بهم، ثم تولى حرب الزنج في البصرة، وانتصر عليهم، كذلك تولى حرب الحسن بن أحمد الكوكبي الحسني الذي استولى على قزوين وزنجان فهزمه، توفي سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م. انظر : الذهبي ، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات سنة ٢٦١-٢٧٠هـ، ص ١٩٢.

(٤) وزير من كبار الكتاب، ولد ببغداد وكتب للمأمون وهو ابن ١٤ سنة ، ولي الوزارة للمهتدي بالله ثم المعتمد، ثم نقم عليه الموفق طلحة، فحبسه فمات في حبسه سنة ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م. انظر : الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج١٥، ص ٤٤٠.

(٥) الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٥٣٢. المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٩٩. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٨٩. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٦، ص ١٥.

الدولة السياسية والعسكرية حيث أضافوا لأنفسهم الحق في عزل وتولية الوزراء الذي كان على الدوام – ولو من الناحية النظرية – من اختصاص وصلاحيات الخلفاء.

ونظرا للعلاقة السيئة بين الحسن بن مخلد بن الجراح والقائد التركي موسى بن بغا، فقد استتر الوزير الحسن بن مخلد بن الجراح بعد دخول موسى إلى (سر من رأى) ثم هرب إلى بغداد، وبقي فيها حتى قبض عليه عبيد الله بن سليمان بن وهب بعد ما ولي أبوه الوزارة، وبذلك استمرت وزارة الحسن بن مخلد بن الجراح هذه لمدة تسعة وعشرين يوما فقط.(١)

وقد ذكر المقريزي " أن عبيد الله بن سليمان بن وهب قبض على الحسن بن مخلد بن الجراح بعدما ولي أبوه – سليمان بن وهب– لست خلون من المحرم سنة ثلاث وستين ومائتين. وظفر به بعد ثلاثة أيام وعذبه وطالبه بالأموال، وأخذ خطه بألف ألف دينار، فأكبر جميع الكتاب ذلك وعدوه من عظم خطأ سليمان وابنه إذ سنا مطالبة الكتاب بمثل هذه الأموال وابتدأ الحسن بن مخلد بن الجراح بأداء المال شيئا فشيئا".(٢)

وبعد عزله ومصادرته أنشد الحسن بن مخلد بن الجراح قائلاً : (٣)

من صادر الناس صادروه ... وكابر الناس كابروه
وباهتوه الحقوق بهتا ... وبالأباطيل ناظروه
بمثل ما راح من قبيح ... أو حسن منه باكروه

ثم أصبحت المصادرة بعد ذلك سياسة متبعة في العصر العباسي الثاني، حتى أصبحت شبه ضريبة، فقد حدثت مصادرات في أيام الواثق والمتوكل ولكنها كانت بشكل متقطع، وكانت مدفوعة بعامل الرغبة في الحصول على الأموال. إذ اعتبرت أموال المصادرات موردا من موارد بيت المال في أوقات الأزمات، فقد كان الهدف منها هو الاستيلاء على أموال الوزراء وكتابهم بعد عزلهم من مناصبهم. وكان الوزير الجديد هو الذي يستولي على الأموال المصادرة

(١) المقريزي، المقفى، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٥٤.

(٢) المصدر ذاته، ص ٤٥٤.

(٣) التنوخي ، نشوار المحاضرة، مصدر سابق، ج٨، ص ١٤٦.

بعد أن يدفع للخليفة جزءً ا من هذا المال.[١] ويعزو فاروق عمر السبب في إنتهاج سياسة المصادرة بحق الوزراء المعزولين وكتابهم إلى " فراغ بيت المال من الأموال بسبب عدم تدفق الواردات من الولايات، وإسراف الطغمة العسكرية والبلاط، والحاجة إلى المال لإخماد الثورات، بالإضافة إلى استخدام هذه السياسة للانتقام من بعض الشخصيات الوزارية لأسباب شخصية عدائية، أو لاستغلالهم مناصبهم في اكتناز الثروات والاستيلاء على الضياع والأملاك".[٢]

تعرض الحسن بن مخلد بن الجراح للعديد من المحن من سجن وتعذيب ومصادرة أثناء خدمته في دار الخلفاء ككاتب، ففي سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م كان الحسن بن مخلد بن الجراح يعمل كاتباً لأم الخليفة المعتز –والتي تسمى قبيحة– [٣] فقبض عليه القائد التركي صالح بن وصيف بأمر من الخليفة المعتز الذي أخذ يلجأ إلى مصادرة الكتاب وحبسهم، وذلك على إثر مطالبة الجند الأتراك بأرزاقهم، وخلو خزينة الدولة من الأموال ، فقيده وطالبه بالأموال، وقبض على أملاكه وضياعه، ثم ضربه بالسوط، وحرقه بكوانين الفحم، ثم أثقله بالحديد وحمله إلى داره.[٤] وكان مقدار ما صودر عليه نيف وثلاثين ألف دينار، ولما لم يكن الحسن بن مخلد بن الجراح يملك هذا المال دفعه واحدة، فقد قسطه صالح عليه ولكنه لم يحصل منه شيء، وكان الحسن بن مخلد بن الجراح قد نجا من القتل على يد صالح بن وصيف على عكس ما حدث لصاحبيه – أحمد بن إسرائيل وأبي نوح عيسى بن إبراهيم – وكان جملتهم من خاصة المعتز وكتاب دار الخلافة.[٥] ويعود سبب نجاته إلى توسط الخليفة المهتدي لدى صالح بإطلاق سراحه ثم وعود

---

[١] الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ١٩٢. اليوزبكي، الوزارة، مرجع سابق، ص ١٤٤.

[٢] فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ١٢٠. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٢٤١.

[٣] من ربات السياسة والدهاء والنفوذ والسلطان، عرضت ابنها المعتز للقتل مقابل خمسمائة ألف دينار بحجة أنها لا تمتلك المال، ولما قبض عليها صالح بن وصيف وجد عندها خزائن فيها ألف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار بالإضافة إلى الزمرد واللؤلؤ والياقوت، رحلت إلى مكة وبقيت فيها إلى أن توفيت سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م. انظر : ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٧، ص ص ١٩٩–٢٠٠. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج٢٤، ص ص ١٨٦–١٨٧. عمر رضا كحالة، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ط٤، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢، ج٤، ص ص ١٨٤–١٨٧.

[٤] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٣٩٦. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٢، ص ٧٩.

[٥] لمزيد من تفاصيل حادثة قتلهما، انظر : الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات، ٢٥٠–

صالح نفسه له بالعفو عنه إن هو صدقه فيما يريد، ففعل الحسن ذلك.[١]

كانت علاقة الحسن بن مخلد بن الجراح مع الموفق طلحة حسنة، إذ جمع بين وزارة المعتمد وكتابة الموفق.[٢] إلا أنه عند تضارب المصالح فإن مثل هذه العلاقات لا يتم أخذها بعين الاعتبار ولا يلتفت إليها لأنه كما يقول المثل (الحكم عقيم) فهو لا يعرف قريب ولا صديق، فعند وفاة القائد التركي موسى بن بغا غضب المعتمد على سليمان بن وهب – لأنه لم يكن يرغب في استيزاره بل أجبر على ذلك من قبل موسى بن بغا – وعزله عن الوزارة وصادر أمواله، ثم انتهب داره وداري ابنيه وهب وإبراهيم، ثم عمد المعتمد إلى استرجاع الحسن بن مخلد بن الجراح للوزارة مرة ثانية في ذي القعدة سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م [٣]بعد أن أخرجه من السجن وأسقط عنه ما كان عليه من أموال المصادرة التي وضعها عليه عبيد الله بن سليمان بن وهب، ثم أمر برد جميع ضياعه وأملاكه التي صودرت إليه.[٤]

إن إصرار الخليفة المعتمد على استرجاع الحسن بن مخلد بن الجراح إلى الوزارة يحمل في طياته معان عديدة، فمن جهة فهو اعتراف من المعتمد على مقدرة الحسن بن مخلد بن الجراح وصلاحه للوزارة، ومن جهة أخرى فهو محاولة من المعتمد للحد من نفوذ القادة الأتراك بسبب علاقة الحسن بن مخلد بن الجراح السيئة معهم. ومن جهة ثالثة أراد المعتمد استرجاع بعض صلاحياته المسلوبة. وقد أشار المعتمد إلى ذلك بقوله : "ما استوزرت بعد عبيد الله بن يحيى وزيراً أرضاه غير الحسن بن مخلد، وإبراهيم هذا – يعني ابن المدبر "[٥].

= ٢٦٠هـ، ص ١٤. ــــــ، العبر، ج١، ص ٣٦٦ (وفيه يذكر أن الحادثة وقعت سنة ٢٥٦هـ).

[١] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٣٩٩.

[٢] المقريزي، **المقفى**، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٥٤. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٨.

[٣] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٥٤٠. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٩١. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٧، ص ٣١٦. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٢٦٠–٢٦٠هـ، ص ١٤. المقريزي، **المقفى**، مصدر سابق، ج٣، ص٤٥٤. Sourdeal, Ibn Makhlad, E.I. op. cit., VIII, P. 859.

[٤] المقريزي، **المقفى**، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٥٤.

[٥] المصدر ذاته، ص ٣٠٩.

وقد أشار ابن عبد ربه إلى أن الحسن بن مخلد بن الجراح تولى الوزارة مرة واحدة، وكانت بعد وزارة سليمان بن وهب، إذ يذكر في معرض حديثه عن وزراء المعتمد قوله: "ووزر له – أي المعتمد– عبد الله بن يحيى بن خاقان، ثم سليمان بن وهب، ثم الحسن بن مخلد..." [١]، وفي هذا وهم إذ أكدت بعض المصادر التاريخية الأولية أن الحسن بن مخلد بن الجراح تولى الوزارة بعد وفاة الخاقاني وقبل سليمان بن وهب.

وقد أشار عبد الكريم حتاملة إلى أن استرجاع الحسن بن مخلد للوزارة من قبل المعتمد قد مثل محاولة لاسترجاع بعض صلاحياته في استيزار الوزراء وعزلهم، [٢] خاصة بعد أن سلبه القادة الأتراك هذه الصلاحيات والحقوق. إلا أن هذه المحاولة عادت للاصطدام من جديد بقوة جديدة غير قوة الأتراك وهي شخصية الموفق طلحة، الذي كان يتمتع بشخصية قوية لدرجة أنه ركز جميع أمور الدولة بيده. [٣] لذلك فقد عارض تعيين الحسن بن مخلد بن الجراح كوزير. [٤] كما أنه أنكر ذلك على أخيه المعتمد، حتى توترت العلاقة بينهما لدرجة الصدام المسلح، عندها اضطر المعتمد وللمرة الثانية إلى قبول الصلح، وإعادة سليمان بن وهب إلى الوزارة، وعزل الحسن بن مخلد بن الجراح مجدداً عنها، الذي كان في الأصل قد هرب إلى الموصل بعد دخول الموفق إلى سامراء بجيشه، وأمر بمصادرة جميع أمواله وأموال خواصه من الكتاب، وذلك سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م. [٥]

---

(١) ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، **العقد الفريد**، حققه أحمد الزين وإبراهيم الأنباري، (د.ط.)مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، ج٥، ص ١٢٦.

(٢) عبد الكريم عبده حتامله، **البنية الإدارية للدولة العباسية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي**، ط١، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٨٥، ص ١١٥.

(٣) اليعقوبي، **مشاكلة الناس لزمانهم**، تحقيق وليم ملورد، ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٠ ص٦٤. المسعودي، **مروج**، مصدر سابق، ج٤، ص ٢١١. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص١٢. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٤) المقريزي، **المقفى**، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٥٤. ابن خلدون، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٧٣.

(٥) الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٥٤٠. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ص ٣٦-٣٧. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٧، ص ٣١٦. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث سنة ٢٦٠-٢٧٠هـ، ص ١٤. ابن كثير، **البداية والنهاية**، مصدر سابق، ج١١، ص ٤٠.

أما إنجازات الحسن بن مخلد بن الجراح خلال وزارته فإن مجريات الأمور قد سارت على غير المتوقع، إذ لم يتمكن الوزير من القيام بأعباء الوزارة والنهوض بها على أكمل وجه. لا لعدم مقدرته وكفاءته – لأنه كان يعرف أمور السياسة والإدارة ذلك أنه كان يعاون القائد التركي بايكبال الغالب على أمر الخليفة المعتز ٢٥٢-٢٥٥هـ/ ٨٦٦-٨٦٩م[١]- ولكن بسبب الظروف السيئة والتدخلات غير المناسبة من قبل القادة الأتراك في أمور السياسة وكذلك سيطرة الموفق طلحة وحجره على أخيه المعتمد، لذلك لم يجد الحسن بن مخلد بن الجراح غير الهرب ليسلم من السجن والتعذيب التي كانت سمة غالبة على ذلك العصر، فهرب إلى بغداد ونجا بنفسه من الأذى والتعذيب، غير أنه تم القبض على جميع أملاكه وضياعه ومن ثم مصادرتها، وأوكلت الوزارة إلى أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الذي لم يتولها إلا مدة يسيرة.[٢]

تولى الحسن بن مخلد بن الجراح الوزارة مرة ثالثة سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م[٣] وإشارة إلى سبب التركيز على ابن مخلد في تولي الوزارة لثلاث دفعات وللخليفة المعتمد، يذكر المقريزي : "أن المعتمد تذكر كفاية الحسن بن مخلد، فاستفتى الفقهاء في اليمين التي حلفها للموفق أن لا يستعمل الحسن بن مخلد، فرخص له في ذلك..وعزل ابن بلبل وجرت أحوال من القواد، وغلت الأسعار، فأشاروا على المعتمد أن يولي الحسن، فقبل منهم وقلده مره ثالثة، وخلع عليه في جمادى الأولى سنة خمس وستين" [٤]. وفي هذا دليل على مقدرة الحسن بن مخلد بن الجراح وصلاحه لمنصب الوزارة.

عاد العداء بين القادة الأتراك والحسن بن مخلد بن الجراح للظهور من جديد، إذ قاموا باضطرابات اعتراضاً على تولية الحسن بن مخلد بن الجراح الوزارة، هذا العداء الذي أخذ

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ٥٠٣. فاروق عمر، الخلافة العباسية، (السقوط والانهيار) ج٢، ص ص ٢٧-٢٨.

(٢) الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج٩، ص ٥٤٤. المقريزي، المقفى، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٥٤. ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٧، ص ٣٢٨.

(٣) القضاعي، عيون المعارف، مصدر سابق، ص ٢٣١. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج١٣، ص ٣٩. الذهبي، سير، مصدر سابق، ج١٣، ص ٨. ------، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٢٦٠-٢٧٠هـ، ص ٨١.

(٤) المقريزي، المقفى، مصدر سابق، ج٣، ص ص ٤٥٤-٤٥٥.

القادة الأتراك يناصبوه ليس فقط للحسن بن مخلد بن الجراح بل لكل من يتولى الوزارة ويقلب لهم ظهر المجن، ويلتفت إلى تحقيق المصلحة العامة، ويحد من قوة ونفوذ القادة العسكريين.

بادر الحسن بن مخلد بن الجراح – بمجرد أن تسلم مقاليد الوزارة – إلى القبض على سليمان بن وهب وابنه عبيد الله، انتقاماً منهما لما فعلاه به بعد عزله عن وزارته الأولى. ثم إن من سمة ذلك العصر أن يقبض الوزير الجديد على الوزير المعزول ويعمل على سجنه وتعذيبه ومن ثم مصادرة أملاكه وضياعه، وأخذ خطة بأموال يؤديها، حيث طالب الوزير الحسن بن مخلد بن الجراح آل وهب بالأموال، وأخذ خطهم بسبعمائة ألف دينار.(١)

ولم يلق الناس ولا حتى الكتاب باللائمة على الوزير الحسن بن مخلد على هذا التصرف، كما لاموا من قبل سليمان بن وهب وابنه عندما فعلوه، وذلك لأنهم قالوا :" هذه سنتهم – أي آل وهب– التي سنوها على الحسن بن مخلد.(٢)

يخلط بعض المؤرخين المحدثين في بعض الأحيان بين الأسماء، فينسبون بعض الأعمال والألقاب لأشخاص لا تمت لهم بصلة، ويعزون ذلك إلى المصادر التاريخية وهي براء من ذلك، لكن عدم الدقة في ضبط الأسماء قد يوقع الباحث في التاريخ في مثل هذا الخلط، ومن ذلك أن (عبد الكريم حتاملة) ذكر ما نصه :" وقد لقب الموفق الحسن بن المخلد بـ: (ذي الوزارتين) تقديراً لخدماته للدولة "(٣). كما يذكر اليوزبكي العبارة نفسها فيقول :" ولقب الموفق الحسن بن مخلد (ذا الوزارتين) تقديراً لخدماته"(٤). وكلاهما يرجع مصدر هذه المعلومة إلى كتاب (تاريخ الخلفاء) للسيوطي، ويؤكد اليوزبكي ذلك بقوله إن هذا اللقب وجد على دينار المعتمد سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م.(٥)

---

(١) مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٣٨. المقريزي، **المقفى**، مصدر سابق، ج٣، ص٤٥٥.

(٢) المقريزي، **المقفى**، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٥٥.

(٣) حتاملة، **البنية الإدارية**، مرجع سابق، ص ١١٥.

(٤) اليوزبكي، **الوزارة**، مرجع سابق، ص ١٣٨.

(٥) المرجع ذاته، ص ١٣٨. وقد اعتمد اليوزبكي على كتاب (العملة الإسلامية في العصر الأتابكي) في إثبات اللقب للحسن بن مخلد بن الجراح، غير أن مؤلف هذا الكتاب عرف صاحب اللقب على أنه صاعد بن مخلد -

ولعل الدافع في هذه المؤامرة هو المصلحة الشخصية وطمع ماجور في ولاية مصر، وقد تـأكدت هذه السعاية لدى المعتمد عندما سعى كل من أحمد بن محمد بن مدبر – وكـان يتولـى ديـوان الخراج بمصر – وشقير الخادم– وكان يتولى ديوان البريد بمصـر – ووشـوا بـابن طولـون أيضا.(١)

وفي ظل هذه الظروف ورد كتاب من دار الخلافة إلى ابن طولون يطلب منـه الحضـور إلى بغداد، وقد ورد فيه أن المعتمد قرر تولية ابن طولون تدبير أمور الدولة وأمر دار الخلافـة، -ولعله يقصد توليته الوزارة-، بالإضافة إلى بقاء مصر باسمه وتحت حكمه، إلا أن ابن طولـون كان من الدهاء والفطنة ما جعله يدرك القصد من وراء طلب المعتمد منه القدوم إلى بغداد.(٢)

لم تنطل المؤامرة على ابن طولون ولذلك بادر بالكتابة إلى الوزير الحسن بن مخلـد بـن الجراح قبل كل شيء لأنه يدرك مدى حظوة الحسن لدى المعتمـد، فسـأله أن تشـمله رعايتـه وتوصيته به لدى المعتمد ، كما طلب منه التوسط له في بقائه بمصر، ثم أرسل له أموالا كثـيرة وهدايا، وأخيرا سأله أن يرفق بأهله وحرمه في بغداد، فما كان من الوزير إلا أن أجابه إلى مـا طلب.(٣)

توسط الوزير الحسن بن مخلد بن الجراح لدى المعتمد بشأن أحمد بن طولون، لدرجة أنـه صغر من قيمة السعاية التي حيكت ضده، حتى نجح في وساطته بإقناع المعتمد إبقاء ابن طولـون في مصر، عندها أمر المعتمد تثبيت ابن طولون على حكم مصر.(٤) فحفظ ابن طولون للحسـن بن مخلد بن الجراح صنيعته.

خطر في بال الحسن بن مخلد بن الجراح التوجه إلى صديقه ابن طولون في مصر بمجـرد أن سقط في محنته. فقد كان ابن طولون الشخص الوحيد القادر على حماية ابن مخلد، كما اعتـبر الحسن بن مخلد بن الجراح مصر ملاذا له وملجأ، لذلك أرسل إلى ابن طولـون وطلـب منـه

---

(١) المقريزي، المقفى، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٥٦.

(٢) المصدر ذاته، ص ص ٤٥٥-٤٥٦.

(٣) المصدر ذاته.

(٤) المصدر ذاته، ص ٤٥٥.

السماح له بدخول مصر.[1] إضافة للعداء بين الموفق طلحة وابن طولون.

رحب ابن طولون بقدوم الحسن بن مخلد بن الجراح إلى مصر ، إذ وجدها فرصة مناسبة لرد الجميل، فقربه إليه وجعله من خاصته، بعد أن وجد فيه من الفهم والدراية والمعرفة بأمور الدنيا، ثم ما لبث أن ولاه ديوان الخراج بمصر، وقد ضمن الحسن بن مخلد بن الجراح لابن طولون زيادة دخل الخزينة من خراج مصر بقيمة ألف ألف دينار، مقابل شروط اشترطها عليه منها إفشاء العدل والعمل على رضا الناس.[2]

كانت السعاية والوشايات لدى أصحاب الجاه والسلطان ضد بعضهم البعض الآخر من سمات ذلك العصر، وكل ذلك خوفا من فقد المصالح الشخصية المالية والإدارية، فقد خاف كتلب الدواوين في مصر أن يصبح الحسن ابن مخلد بن الجراح الرجل الثاني بعد أحمد بن طولون في مصر، وبدافع الحسد والغيرة بدأوا بإحاكة المؤامرات والدسائس ضده، إذ سعوا لدى ابن طولون أن الحسن بن مخلد بن الجراح ما هو إلا عين للموفق طلحة عليه، وقد تأكدت لدى ابن طولون هذه الوشاية لأنه كان على عداء شديد مع الموفق طلحة، فقد قامت بينهما حروب ومعارك يطول شرحها، إذ أمر الموفق بلعن ابن طولون على منابر بغداد، فبادر ابن طولون بقطع الخطبة عن الموفق في مصر، وخلعه من ولاية العهد.[3]

نجح السعاة في مسعاهم، وصدق ابن طولون الوشاية، فأمر بالقبض على الحسن بن مخلد بن الجراح وسجنه وأمر بتعذيبه، ثم أرسله إلى أنطاكية[4] حيث سجن فيها عند واليها – وكان تابعا لابن طولون – وبقي في السجن إلى أن مات سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م. ويبدو أنه مات مسموما وقيل أنه تلف تحت العذاب.[5]

---

[1] المقريزي، المقفى، مصدر سابق، ج٣، ص٤٥٥.

[2] المصدر ذاته.. Sourdeal, Ibn Makhlad , E.I. op. cit., VIII, P. 859.

[3] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق ، ج٣، ص ٢٤.

[4] انطاكية: هي بلدة من الثغور الشامية، تبعد عن حلب مسيرة يوم وليلة، محاطة بسور فتحت على يد ابي عبيدة بن الجراح، واسترجعها الفرنج سنة ٤٩١هـ. الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢٦٦-٢٦٩.

[5] التنوخي، الفرج، مصدر سابق، ج١، ص ٢١١. الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، تخريج وحواشي محمد -

وقد كتب البحتري للحسن بن مخلد بن الجراح وهو في السجن يشكو إليه فراقه:[١]

يعز علينا أن نزورك في الحبس ولم نستطع نفديك بالمال والنفس
فقدنا بك الأنس الطويل وعطلت مجالس كانت منك تأوي إلى أنس
فإن حجبتك الجدر عنا فربما رأينا جلابيب السحاب على الشمس

اختلف المؤرخون حول تحديد سنة وفاة الحسن بن مخلد بن الجراح، فمنهم من ذكر أنه توفي سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م في مصر.[٢] وبعضهم ذكر أنه توفي في سجن إنطاكية سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م، وقيل أن أحمد بن طولون خرج إلى الشام، فحمل الحسن بن مخلد بن الجراح معه وهو مقيد، فمات في الطريق.[٣] والراجح أنه توفي سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م.

٢- وزارة محمد بن داود بن الجراح لعبد الله بن المعتز سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م ودوره في الفتنة:

يذكر عريب أن الخليفة المكتفي " ندب محمد بن داود بن الجراح الوزير للخروج إلى الكوفة والمقام بها، وإنفاذ الجيوش إلى القرمطي (زكرويه القرمطي)".[٤] وهذه إشارة إلى أن محمد بن داود بن الجراح كان يتقلد ديوان الجيش في وزارة العباس بن الحسن وزير المكتفي بالله.

بويع الخليفة المقتدر بالله بالخلافة سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م بعد وفاة أخيه المكتفي[٥]، وكان

= التونجي، ط١، دار النفائس، بيروت، ، ١٩٩٢، ص ٦٦. الذهبي، سير، مصدر سابق، ج١٣، ص ٨. المؤيد بن محمد الجاجرمي، نكت الوزراء، تحقيق نبيه عبد المنعم داود (د.ط.)، مركز إحياء التراث العلمي العربي، بغداد، ١٩٨٤م، ص ٧٠. Sourdeal, Ibn Makhlad , E.I. op. cit., VIII, P. 859.

(١) المقريزي، المقفى، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٦٠. (لم أجد هذه الأبيات في ديوان البحتري).

(٢) الذهبي، سير، مصدر سابق، ج٣، ص ٨.

(٣) المقريزي، المقفى، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٥٨.

(٤) عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٢٣.

(٥) الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٣٩.ابن مسكويه، تجارب الأمم مصدر سابق، ج١، ص ٣. ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج١٣، ص ٦٠.

عمره لما بويع له ثلاث عشرة سنة [١]، ولم يلِ الخلافة قبله أصغر منه.[٢]وما أن تسلم الأمر حتى ضعف مركز الخلافة بسبب صغر سنه، وتدخل الجيش في السياسة، ثم ظهور قوة الحرم وتسلطهن على الخلافة[٣]، مما أثر على منصب الوزارة الذي كان مرتبطاً في القوة والضعف مع قوة وضعف منصب الخلافة.[٤]

كان الكتّاب وأصحاب النفوذ ومراكز القوى – بادئ الأمر – قد انقسموا إلى كتلتين في أمر ولاية العهد أثناء مرض الخليفة المكتفي، – كما يشير إلى ذلك الدوري– كتلة تضم جماعة آل الفرات وعلى رأسهم علي بن الفرات، والذي لم يكن يرغب في تولية خليفة قوي كابن المعتز. لذلك اقترح ترشيح (المقتدر) لصغر سنه أولاً، ثم لتحقيق مصالحه الشخصية ثانياً، ويذكر مسكويه قول ابن الفرات لما أشار على الوزير العباس بن الحسن بتولية (المقتدر) الذي استصباه بقوله:" ... لمَ تجيئ برجل – كابن المعتز– يأمر وينهى ويعرف مالنا وبمن يباشر التدبير بنفسه ويرى أنه مستقل، ولمَ لا تسلم هذا الأمر إلى من يدعك تديره أنت"[٥]، أما الكتلة الثانية فتضم جماعة آل الجراح وعلى رأسهم محمد بن داود بن الجراح الذي رشح وبقوة عبد الله بن المعتز لأنه وجد فيه الصلاح والقدرة على تولي أمور الخلافة لكونه رجل سياسة وحرب وأكثر تجربة وخبرة [٦]، فضلاً عن أن علاقة آل الجراح بابن المعتز كانت

---

(١) الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٣٩. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٨٨. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٦٠.

(٢) المسعودي، **التنبيه والأشراف**، ص ٣٢٨. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٦٠. السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، مصدر سابق، ص ٤٤٧. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٤٣.

(٣) المسعودي، **التنبيه**، مصدر سابق،ص ٣٢٨. القضاعي، **عيون المعارف**، مصدر سابق، ص ٢٣٦. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ١٩٠.

(٤) فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ١١٩.

(٥) مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣. الصابئ، **الوزراء** مصدر سابق، ص ١٤٤. متز، **الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ج١، ص ١٥.

(٦) عن انقسام الكتاب على أنفسهم، انظر : مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢-٣. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ١٤٣. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ص ١٩٤-١٩٥. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مصدر سابق، ص ٣٤.

حسنة[١]. أما علي بن عيسى بن الجراح فقد امتنع عن ترشيح أحد وفضل أن يُراعي الدين وتقوى الله في الاختيار.[٢]

مال الوزير العباس بن الحسن في نهاية الأمر لرأي ابن الفرات، ونصب المقتدر في الخلافة وهو كاره لذلك بسبب صغر سنه وذلك سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م.[٣]

ولكن بعد مضي سنة أو أقل أي سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م اجتمع جماعة من القواد والكتاب والقضاة – الذي كان بيدهم تدبير أمور الدولة – على خلع المقتدر بالله، فتناظروا بينهم على من يتولى الخلافة بدلاً منه، فكان اجتماع رأيهم على عبد الله بن المعتز.[٤] وكان على رأسهم محمد ابن داود بن الجراح، والحسين بن حمدان، وواطأ على ذلك مجموعة من الكتاب والقادة والقضاة أمثال علي بن عيسى بن الجراح وابن عبدون من الكتاب، وأحمد بن يعقوب القاضي من القضاة، وبدر الأعجمي ووصيف بن صوارتكين من القادة.[٥]

ويذكر ابن تغري بردي أن السبب في اجتماعهم على خلع المقتدر راجع إلى " صغر سنه – أي المقتدر – وقصوره عن تدبير الخلافة، واستيلاء أمه والقهرمانة[٦] على الخلافة" [٧].

---

(١) الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٣. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ص ١٤٣-١٤٤. ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ١٠.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٣. متز، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ج١، ص ١٥. الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٤) الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٤٠، عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٣٢.

(٥) الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٤٠. المسعودي، التنبيه، مصدر سابق، ص ٣٢٦. ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ١٤.

(٦) القهرمانة : القهرمان هو من أمناء الملك وخاصته، كالخازن والوكيل الحافظ لما تحت يده، أو أمين الدخل والخرج أو مدير البيت، واصل عمل القهرمانه في بلاط الخليفة أن تؤدي الرسائل عن الخليفة ، ولكن ضعف الخلفاء واحتجابهم في قصورهم وتسلط النساء أدى إلى سيطرة القهرمانة. ابن منظور، لسان العرب، (د. ط)، دار صادر، بيروت، (د. ت)، مجلد ١٢، ص ٤٩٦. انظر : التنوخي، الفرج بعد الشدة، مصدر سابق، ج٤، ص٣٧٠.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج٣، ص ١٨٢. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ١٩٧. الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص ص ٨١-٨٢.

خاطب المتآمرون عبد الله بن المعتز بالأمر، وأخبروه أنهم اتفقوا على توليته الخلافة بدل المقتدر، فأجابهم بالقبول، غير أنه اشترط عليهم أن يتسلم الأمر عفواً دون تدخل منه شخصياً، وأن لا يكون فيه حرب أو سفك دماء.(١)

تواطأ محمد بن داود بن الجراح مع الحسين بن حمدان (٢) على قتل الوزير العباس بن الحسن، وعزل المقتدر وتسليم الأمر لابن المعتز، بعد تخلي الوزير عنهم وانضمامه إلى جانب المقتدر، إذ علم المقتدر بما يدبره وزيره والكتاب والقادة فعمد إلى استرضائه بدفع الأموال إليه، فرجع الوزير عما كان اتفق عليه مع القادة والكتاب.(٣)

وأشار الذهبي إلى أن القادة والكتاب " اتفقوا على قتل المقتدر والوزير والأمير فاتك المعتضدي".(٤)

رأى الوزير العباس بن الحسن أن أمره أصلح ما يكون مع المقتدر.(٥) لذلك خالف الكتاب والقادة، ونقض ما كان عقده معهم من عزل المقتدر وتولية ابن المعتز، ويذكر عريب القرطبي

---

(١) الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٤٠. عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٣٢. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٧٩. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات، ٢٩١-٣٠٠، ص ٢٣.

(٢) الحسين بن حمدان بن حمدون التغلبي، أحد الأمراء المقدمين في العصر العباسي، وهو عم سيف الدولة الحمداني، وأول من ظهر أمره من ملوك بني حمدان، انتدبه المعتضد سنة ٢٨٣هـ/ لقتال هارون بن عبد الله الخارجي، فأسره، ثم قدم الشام لقتال الطولونيين من قبل المكتفي كان من أنصار ابن المعتز ثم تحول عنه، ثم قدم دمشق لحرب القرامطة أيام المقتدر، فولاه ديار ربيعه فأقام بها إلى أن عزله الوزير علي بن عيسى بن الجراح، فخرج على الطاعة، فحاربه ابن رائق وأسره، فسجن سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م ثم قتل سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج١٢، ص ٣٦٠. الذهبي، **العبر**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٥١.

(٣) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٣٢. غريغورس بن العبري (ت ٤٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، **تاريخ مختصر الدول**، تصحيح وتعليق انطوان صالحاني، دار الرائد اللبناني، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٥٥. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٢٩١-٣٠٠هـ، ص ٢٤.

(٤) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات، ٢٩٠-٣٠٠ هـ، ص ٢٣. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ص ١٨٢-١٨٣.

(٥) الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٤٠. ابن العبري، **مختصر الدول**، مصدر سابق، ص ١٥٥.

أن الوزير العباس بن الحسن أحب " أن يختبر أمر المقتدر، وإن كان فيه محمل للقيام بالخلافة مع حداثة سنه، وكيف يكون حاله معه، وعلم أن تحكمه عليه سيكون فوق تحكمه على غيره"[١].

وبهذا يكون الوزير العباس بن الحسن قد أخذ بمشورة علي بن الفرات الذي أشار عليه بتولية المقتدر،[٢] لذلك كان الدافع الوحيد وراء تخلي الوزير عن أمر ابن المعتز هو تحقيق المنافع والمصالح الشخصية، إلا أنه بالمقابل دفع حياته ثمناً لتحقيقها. إذ وثب عليه الحسين بن حمدان وقتله. وشارك في قتله كل من بدر الأعجمي ووصيف بن صوارتكين، كما قتل فاتك المعتضدي الذي كان قد أنكر على الحسين قتله الوزير، فبادره الحسين بسيفه فقتله أيضاً.[٣]

اضطربت العامة في بغداد لقتل الوزير وفاتك لأنهم تعودوا حياة الشغب والاضطراب بسبب كثرة التعدي على الخلفاء بالعزل والسجن ، فعمت الفوضى في بغداد.

يذكر ابن الأثير أن الحسين بن حمدان " ندم حيث لم يبدأ بالمقتدر"[٤]، لأنه أفلت من قبضته وبعدها عمد الحسين بن حمدان ومن معه إلى إحضار ابن المعتز من داره، وبايعوه بالخلافة، ثم أخذت له البيعة من الناس والقواد وأصحاب الدواوين ومن بينهم علي بن عيسى بن الجراح، وخلع المقتدر عن الخلافة سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م، ولم يحضر البيعة كل من علي بن الفرات – لأنه لم يكن يرغب في خلافة ابن المعتز– وخواص المقتدر.[٥]

اختلف المؤرخون حول اللقب الذي تلقب به ابن المعتز، فمنهم من قال أنه لقب (المرتضي

---

(١) عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٣٢.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٣. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ١٤٤. الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٣) الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٤٠. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٥. ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج١٣، ص ٨٠. الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص ٣٥٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ١٥.

(٥) الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٤٠. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٥. ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج١٣، ص ٨٠. الذهبي، دول الإسلام، عني بطبعه ونشره عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (د.ط.)، إدارة إحياء التراث الإسلامي، ج١، ص ١٨٠. ———، العبر، مصدر سابق، ج١، ص٤٣٠.

بالله[١]) وقال آخرون (الغالب لله [٢])، وقيل (المنتصر بالله [٣]).

لقد حقق المتآمرون ما كان يصبون إليه من مبايعة ابن المعتز بالخلافة وعزل المقتدر، والأهم من ذلك هو نجاحهم في تحقيق مصالحهم الشخصية، إذ تولى معظم المشاركين في هذه الفتنة المناصب الإدارية المختلفة، ويذكر الصابئ بقوله :" وجدتُ العباس بن الحسن قد قلد محمد بن داود ديوان الجيش، فطمع في الوزارة وسعى على العباس حتى قتله"[٤].

ومهما يكن من أمر– وبقدر تعلق الأمر بموضوع بحثنا عن آل الجراح – فقد استوزر ابن المعتز محمد بن داود بن الجراح الذي كان على رأس المدبرين لخلافته بالإضافة إلى تعيينه قائداً عاماً للجيش، فقد سبق له وتقلد ديوان الجيش رئاسة في وزارة العباس بن الحسن.[٥] ولعل ذلك عائد إلى صلاح ومقدرة ابن داود على النهوض بأعباء الوزارة من جهة، بالإضافة إلى أنه رد للجميل مقابل منصب الخلافة، كما قلد ابن المعتز كل من علي بن عيسى بن الجراح الإشراف على الدواوين والأصول، ومحمد بن عبدون الإشراف على دواوين الأزمة، ثم جعل يمن الخادم حاجباً له، وكُتب بهذا الأمر إلى الأقاليم المختلفة التابعة للدولة العباسية.[٦]

ورد في رواية أن المؤرخ محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) – الذي كان معاصراً لأحداث هذه الفترة– سمع بخبر فتنة ابن المعتز، فقال : ما الخبر ؟ قيل : بويع ابن المعتز، قال فمن رشح للوزارة؟ قيل : محمد بن داود، قال : فمن ذكر للقضاء؟ قيل : أبو المثنى

---

(١) التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٥. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٥. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ١٩٠.

(٢) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، ص ٢٣. عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م). **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، وضع حواشيه خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ج٢، ص ٢٦٩.

(٣) التنوخي، **الفرج**، مصدر سابق، ج٣، ص ١٩٩.

(٤) الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ص ١٠٩-١١٠.

(٥) المصدر زاته.

(٦) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٣٢. التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٥. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٥–٦ . الثعالبي، **ثمار القلوب**، ج١، ص ٣١٩. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ١٥٤. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٣٦١

أحمد بن يعقوب[١]، فأطرق ثم قال : هذا الأمر لا يتم، قيل له : وكيف ؟ قال : كل واحد ممن سميتم متقدم في معناه، عالي الرتبة، والزمان مدبر والدنيا مولية، وما أرى هذا الأمر إلا إلى اضمحلال، وما أرى لمدته طولا.[٢]

إن المتبصر في طيات هذه الرواية التاريخية لابد وأن يلاحظ أنها تحوي بعض الحقائق حول شخصية محمد بن داود بن الجراح – وإن كانت هذه الحقائق غير ظاهرة للعيان – فمن جهة فهي تشير إلى المستوى الرفيع والشأن الكبير الذي يتمتع به محمد بن داود بن الجراح بين الكتاب[٣]، وهذا عائد بطبيعة الحال إلى انتمائه إلى أسرة آل الجراح العريقة بالعلم والكفاية الإدارية. كذلك اتصاله بالخلفاء ومساهمته بالتنظيمات الإدارية والمالية.[٤] ثم إن قراءة ما بين سطور هذه الرواية تشير أن ابن داود وغيره ممن يمتلك الكفاءة والقدرة والصلاح في تسيير أمور الدولة – بغض النظر عن أسباب مشاركته بالفتنة – لا بد وأن تصطدم بنزعات معارضة لكل حركة إصلاح إدارية أو مالية في الدولة، وخاصة نزعة المؤسسة العسكرية، متمثلة بزمرة من قادة الجيش الأتراك، التي ما فتئت تحبط كل محاولة للإصلاح حفاظا على مصالحها، بالإضافة إلى الدسائس والمؤامرات التي يقوم بها بعض الوزراء والكتاب الذين يتعارض الإصلاح الإداري والمالي مع مصالحهم الشخصية.[٥] كل هذا وغيره دفع المؤرخ الطبري إلى أن يتنبأ باضمحلال الأمر وقصر عمره ، ويبدو أن الطبري كان يتحرج من ذكر ذلك صراحة

---

(١) أحمد بن يعقوب: أبو المثنى القاضي، كان محمد سعى في بيعة ابن المعتز سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م، فأخذه المقتدر وقتله صبرا، بضرب عنقه، وهو أول قاض قتل صبرا في الإسلام سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م . الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج٨، ص ص ٢٧٥-٢٧٦. الذهبي، **العبر**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٣.

(٢) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق،حوادث ووفيات ٢٩٠-٣٠٠هـ، ص ص ٢٤-٢٥. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ١٨٣. السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، مصدر سابق، ص ص ٤٤٧-٤٤٨. محمد بن سعيد المقدسي (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق علي الزواوي ومحمد محفوظ، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٦٥. وأضاف فيه (ولا مناسبة لأحد ممن ذكرت برئاسة في مثل هذا الزمان). الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٣٦٢.

(٣) الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ١٩٥.

(٤) الزهراني، **الوزير علي بن عيسى** مرجع سابق، ص ص ١٥-١٦.

(٥) الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ١٩٩.

بسبب حساسية موقفه كونه معاصراً للأحداث، فهو لا يريد جلب الأنظار لنفسه أو خلق أعداء له.

لم يبق مع المقتدر من القادة إلا مؤنس الخادم، ومؤنس الخازن، وغريب الخال، بالإضافة إلى حاشية وحرس دار الخلافة من الخدم والغلمان والرجالة.[١] ففي صبيحة اليوم التالي لمقتل الوزير ومبايعة ابن المعتز، عاد الحسين بن حمدان إلى دار الخلافة، وهو يبيت النية للفتك بالمقتدر وكل من يعارضه، ولكنه فوجئ بمقاومة شديدة أبداها الخدم والغلمان والرجالة، حيث استمر القتال معهم حتى آخر النهار، حينئذ انصرف الحسين بن حمدان عن بغداد، متوجهاً إلى الموصل بعد أن حمل معه أهله وماله.[٢]

ولا يعرف السبب المباشر وراء هروب الحسين بن حمدان إلى الموصل- مقره ومكانه ومكان أسرته- فابن الأثير يستغرب هذا التصرف بقوله " لا يدرى لم فعل ذلك"[٣]. وخاصة أنه لم يبق مع المقتدر إلا طائفة يسيرة ، حيث كان بالإمكان التغلب عليهم بيسر. ويبدو أن الحسين بن حمدان قد خاف عاقبة هذه الحركة خاصة بعد أن رأى شدة المقاومة من قبل خدم القصر واستمرارها يوماً كاملاً ففضّل الانسحاب أو أن المقتدر تمكن من إستمالة الحسين بن حمدان ورشوته تماماً كما فعل مع الوزير العباس بن الحسن، ومما يؤكد ذلك أنه بعيد انتهاء الفتنة، أمن المقتدر ابن حمدان، وخلع عليه الخلع السلطانية ثم عينه والياً على قم وقاشان.[٤]

ومن هنا يأتي اتهام ابن الأثير للحسين بن حمدان بالخيانة والغدر لأنه عرف ما كان سيجري، فذكر "إن الحسين بن حمدان عرف ما يريد أن يجري فهرب من الليل، وهذه مواطأة بينه وبين المقتدر، وهذا كان سبب هروبه"[٥].

---

(١) مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٦. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ١٩١. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٥.

(٢) مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٦. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٣٦٣.

(٣) ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٥.

(٤) الطبري، **تاريخ** ، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٤١. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، ج٢٧. اليافعي، **مرآة الجنان**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٦٩.

(٥) ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٦.

ويشير الذهبي إلى مثل ذلك بقوله : " وأما الحسين بن حمدان فأصلح أمره، وبعث إلى ولاية قم وقاشان".[١]

أرسل ابن المعتز – بعد مبايعته بالخلافة – إلى المقتدر يأمره بترك دار الخلافة، وينصرف إلى دار محمد بن طاهر لكي ينتقل هو إلى دار الخلافة، فوافق المقتدر وطلب أن يمهله إلى الليل.[٢] إلا أن الطائفة اليسيرة التي وقفت مع المقتدر في محنته وعلى رأسهم مؤنس الخادم، ثبتوه وقووا عزيمته، وصمدوا للثائرين.[٣]وكان من جملة ما قالوه " يا قوم لا نسلم هذا الأمر – أي الخلافة – و لا نجرب نفوسنا في دفع ما نزل بنا؟".[٤]

تحصن المقتدر وأنصاره بدار الخلافة، وأصابتهم النخوة، فصعدوا في الشذاوات – أي المراكب الصغيرة– ثم توجهوا إلى المخرم حيث كان يقيم ابن المعتز وأنصاره.[٥] ورموهم بالنشاب، فوقع الرعب والهلع في قلوب أنصار ابن المعتز، وانفضت الجموع التي جمعها محمد بن داود بن الجراح وهرب من كان مع ابن المعتز من القواد والكتاب والجند.[٦] ويذكر التنوخي أن سبب هلعهم وخوفهم عائد إلى " أن العامة انقلبت مع المقتدر "[٧] فكثر عددهم. ويضيف

---

[١] الذهبي، **العبر**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٣١. اليافعي، **مرآة الجنان**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٤٩.

[٢] التنوخي، **الفرج**، مصدر سابق، ج٣، ص ١٩٩. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٦. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٨٠. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٥.

[٣] الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ١٩٧.

[٤] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٦. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٨١. ابن الأثير ، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٥.

[٥] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١٠، ص ص ١٤٠-١٤١. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص٦. ابن الأثير ، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٥.

[٦] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٤١. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٦، ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٦.

[٧] التنوخي، **الفرج**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٠٠. انظر : مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٧. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٧.

الطبري أن "بعض الذين بايعوا ابن المعتز لحقوا بالمقتدر"[١].

أيقن ابن المعتز ومن معه أنه لا حيلة لهم ولا قوة، بعد أن رأى انهزام أتباعه، فسلم بالأمر الواقع، وهرب هو الآخر، وهرب معه وزيره محمد بن داود بن الجراح وقاضيه أحمد بن يعقوب إلى سامراء. على أمل أن يجتمع شملهم من جديد. إلا أن الأمل قد خاب عندما لم يتبعه أحد من الجند.[٢]

اختبأ ابن المعتز في دار ابن الجصاص، واستجار به، كما اختفى الوزير محمد بن داود بن الجراح في بيته، وكذلك فعل معظم من شارك في الفتنة، فقد اختبأ علي بن عيسى بن الجراح ومحمد بن عبدون في بيت أحد باعة الحبوب حيث أخبر عنهما بعض العامة، وألقي القبض عليهما وسلما إلى خدم المقتدر.[٣]

تعرضت بغداد من جديد للسلب والنهب بسبب الفتنة.[٤] حيث كانت الفتن مرتعاً خصباً للنهابة واللصوص وقطاع الطرق، فقد ثار العيارون في بغداد، وأخذ اللصوص وقطاع الطرق ينهبون البيوت ويروعون السكان، وكانت دار الوزير محمد بن داود بن الجراح إحدى الدور التي تعرضت للسلب والنهب.[٥]

سعى أحد خدم ابن الجصاص على ابن المعتز فكبست داره، وأخرج ابن المعتز منها، ثم حمل إلى دار السلطان ببغداد، وسجن هناك إلى الليل حيث تم قتله سراً وفي ظروف غامضة، ثم لفّ في كساء وسلم إلى أهله.[٦]

---

[١] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٤١.

[٢] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٦. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ١٨١. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٦. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٣٦٤.

[٣] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٧.

[٤] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٤١. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٨١. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق،حوادث ووفيات ٢٩٠-٣٠٠هـ، ص ٢٦.

[٥] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٤١. عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٣٢.

[٦] المسعودي، **التنبيه**، مصدر سابق، ص ٣٢٨. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص٨. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٨. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٨.

قبض المقتدر على الكتاب والقضاة الذين شاركوا في الفتنة، وأمر بتسليمهم إلى مؤنس الخازن، الذي نفذ بهم حكم الإعدام بتهمة الخيانة والتآمر على الشرعية، إلا أربعة منهم وهم علي بن عيسى بن الجراح ومحمد بن عبدون والقاضي أحمد بن يعقوب، والقاضي محمد بن خلف بن وكيع، حيث سلم علي بن عيسى بن الجراح ومحمد بن عبدون إلى الوزير ابن الفرات – وزير المقتدر بعد انتهاء الفتنة – حيث تكفل بهما، فعمل على مصادرتهما، فخفف المصادرة على علي بن عيسى بن الجراح وأثقلها على ابن عبدون لعداوة بينهما. ثم نفى ابن عبدون إلى الأهواز، ونفى علي بن عيسى إلى واسط.(١)

كان الوزير ابن الفرات يقدر محمد بن داود بن الجراح ويحترمه لمكانة أسرته، ولذلك قرر التوسط لدى المقتدر للعفو عنه، فأرسل إلى ابن داود يطلب منه أن يتريث ويبقى مستتراً فترة من الوقت، حتى يتسنى له أن يدبر الفرصة المناسبة لمخاطبة المقتدر بأمره. متعذراً منه بأن جرمه كبير.(٢) وكان من جملة ما قاله ابن الفرات لمحمد بن داود بن الجراح:" ليس جرمك يسيرا، والعهد به قريب، والاستتار صناعة، فينبغي أن تصبر على استتارك أربعة أشهر حتى ينسى قصتك ثم دعني والتدبير في أمرك، فإني بإذن الله أشعربعد هذه المدة في صلاحك وآخذ لك أمان الخليفة بخطه، وأقول إنه دخل فيما دخل فيه من القواد وكتابهم، وقد دعت الضرورة إلى الصفح عنهم ولهذا بهم أسوة وأشير عليه بما يصلح أمرك".(٣) إلا أن محمد بن داود بن الجراح تعجل الأمر وخرج من مخبأه فألقي القبض عليه.

كانت علاقة محمد بن داود بن الجراح مع حاشية المقتدر والقادة الأتراك سيئة " خاصة مع سوسن الحاجب وصاف الحرمي، اللذين أوغرا صدر المقتدر للجد بالبحث عن ابن داود، وأخبراه أن علي بن الحسين القنائي يعرف مكان استتاره، فأمر المقتدر بالقبض عليه وهدده بالقتل إن لم يخبرهم عن مكان استتار ابن داود. وكان القنائي يراسل ابن داود بواسطة امرأة تحمل إليه الرسائل من و إلى ابن داود، فدبر القنائي مع المقتدر مكيدة للإيقاع بابن داود، فراسله يخبره أنه توسط له لدى سوسن الحاجب لخلاصه، وأخبره أن الأمر لا يحتمل التأجيل بعد أن

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ص ٧-٨. الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ١٩١. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٩٠-٣٠٠هـ، مصدر سابق، ص ٢٦.

(٢) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٠. الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ١٩١.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٠. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٠.

نصحه ابن الفرات بالاستتار فترة من الوقت وطلب منه أن يسمح له بمقابلته في مكان استتاره، فحدد له موعد لقاءه به، فأخبر القنائي سوسن وصافي بما اتفق عليه مع ابن داود، فرصدا له الطرق وحاصراه، وما إن خرج من مخبأه حتى ألقي القبض عليه وسلم إلى مؤنس الخازن، الذي ما توانى عن قتله، ورميه في الطريق حتى أخذه أهله ودفنوه وذلك سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م.(١)

ذكر الصفدي في رواية عن محمد بن يوسف القاضي عن مقتل محمد بن داود بن الجراح أنه قال :"لما جرت واقعة ابن المعتز، حبست أنا – أي القاضي– والقاضي أبوالمثنى أحمد بن يعقوب ومحمد بن داود بن الجراح– وكلهم اشتركوا في فتنة ابن المعتز ضد المقتدر– وكنا في دار في ثلاثة أبيات متلاصقات، وبيتي في الوسط، وإذا جننا الليل تحدثنا من وراء الجدر، وأوصى بعضنا إلى بعض، فلما كان في بعض الليالي دخل أناس بشموع إلى بيت محمد بن داود وأخرجوه، وأضجعوه للذبح، فقال : يا قوم ذبحاً كالشاة، أين المصادرات، أين أنتم من الأموال؟ أنا أفدي نفسي بكذا وكذا، فلم يُسمع منه، وذبحوه، وأخذوا رأسه وألقوا جثته في البئر...."(٢).

أما ابن خلكان فيذكر أن وفاته كانت بإشارة من علي بن الفرات لخوفه منه لما ظهر فقال " ثم ظهر – أي ابن داود– لمؤنس الخادم المذكور، وخافه أبو الحسن علي بن الفرات المذكور فاشار على مؤنس بقتله، فقتل وطرح في سقاية عند المأمونية، فحمل إلى منزله"(٣). أما الصابئ فينفي أن يكون لعلي ابن الفرات يد في مقتل ابن داود فيشير إلى أن ابن الفرات لما عرف بخبر مقتل ابن داود " غمه ذلك وقال : كان على عداوته لي فاضلاً راجحاً ومتقدماً في الصناعة بارعاً "(٤).

ويعلق ابن الأثير على هذه الفتنة أن جميع العامة والقادة والكتاب اتفقوا في بادئ الأمر على خلع المقتدر من الخلافة لصغر سنه – بالمشاركة أو التأييد – وعقد البيعة لابن المعتز، إلا

---

(١) مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٩-١٠. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٠. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ص ١٩١-١٩٢.

(٢) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج٣، ص ص ٦١-٦٢.

(٣) احمد بن محمد بن خلكان، (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د. ت)، ج٣، ص ٤٢٧.ابن النديم، **الفهرست**، مصدر سابق، ج١، ص ١٤٢.

(٤) الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٠.

أن هذا الأمر لم يتم[1]، ونفذ قضاء الله وقدره واستتب الأمر للمقتدر واستقام وانفرجت تلك المحنة وهدأت الفتنة.

٣- وزارة علي بن عيسى بن الجراح للخليفة المقتدر بالله :

تولى علي بن عيسى بن الجراح منصب الوزارة أكثر من مرة للخليفة المقتدر، ولم يقف الأمر عنده بل تعداه إلى من جاء بعده من الخلفاء. إذ استدعاه الخليفة الراضي ليتولى وزارته كما عرض عليه الخليفة المتقى أمور وزارته، وسنستعرض فيما يلي سيرته الإدارية قبل توليه الوزارة:

أ- الأعمال والوظائف الإدارية التي تولاها قبل الوزارة.

قبل البدء بالحديث عن كيفية تولي علي بن عيسى بن الجراح وزارته الأولى للمقتدر لا بد من معرفة المؤهلات والخبرات الإدارية وثقافته الواسعة التي تمتع بها، مما أهله بالتالي لتولي منصب الوزارة، وعدم استغناء الخلفاء عنه، حتى استحق بحق لقب (الوزير الصالح)[2].

نشأ علي بن عيسى بن الجراح في بيت علم وأدب ومعرفة، عمل أفراده في خدمة الدولة العباسية، وكان لتربية علي الإسلامية، واهتمامه بالعلوم الشرعية وتمتعه بثقافة كتاب الدواوين أثر مهم في صقل كفاءته الإدارية والكتابية، مما أهله للانخراط في سلك الإدارة العباسية في دواوين الدولة.[3]حيث اكتسب بذلك العمل خبرة واسعة في مجال الكتابة الديوانية، إذ "عمل في الدواوين، وتقلد كثيراً منها رئاسة"[4]. وأصبح بذلك من أجلّ الكتاب وأكفائهم، إذ وصفه ابن عساكر أنه " كان من وجوه الكتاب"[5]، ويؤيد ياقوت الحموي ذلك بقوله :" كانت منزلته من الرياسة – أي رئاسة الدواوين – ومعرفته بالعدل والسياسة تجل عن وصفها".[6]

---

[1] ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ص ١٧-١٨.

[2] Bowen, Ali Ibn Isa, The good Vizier. الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص ١٦٩. (سماه الوزير المصلح).

[3] الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٢٤. الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص ١٧٠.

[4] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٠٥.

[5] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٣، ص ١٢١.

[6] الحموي، معجم الأدباء، مصدر سابق، ج٤، ص ١٨٨.

وقد جاء في (بدائع السلك في طبائع الملك) أن من الشروط الضرورية التي ينبغي توفرها في الوزير " العلم ... بسياسة الرياسة، وأدب الخدمة، ومعرفة الخط والكتابة والحساب"[١]. وقد اتصف علي بن عيسى بن الجراح بهذه الصفات قبل وأثناء عمله في الدواوين، بالإضافة إلى الكفاءة العملية وحسن الإدارة والصلاح، فقد وصفه الحموي بأنه :" لم يزل من حداثته معروفا بالستر والصيانة والصلاح و الديانة"[٢].

ابتدأت السيرة العملية لعلي بن عيسى بن الجراح في الدواوين منذ خلافة المعتضد بالله ٢٧٩-٢٨٩هـ/ ٨٩١-٩٠١م، فقد أثبت جدارته في توليه لعمله في الدواوين، مما حدا بالخليفة إلى تقليده ديوان المغرب أو مايسمى (ديوان مجلس ما فتح من أعمال المغرب)[٣]، ومن هنا بدأت حياة علي بن عيسى بن الجراح العملية في رئاسة الدواوين، وقد امتدح علي بن عيسى بن الجراح المعتضد بقوله:" نحن جميعا صنائع المعتضد بالله رحمة الله عليه"[٤].

ولما تولى المكتفي الخلافة ٢٨٩-٢٩٥هـ/ ٩٠١-٩٠٧م، أراد تولية علي بن عيسى بن الجراح الوزارة وذلك سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٣م، بعد معرفته بدنو أجل وزيره القاسم بن عبيد الله الذي كان قد رشح هو الآخر علي بن عيسى بن الجراح للوزارة، فقد كان الوزير قد لاحظ "كفاية وسداد وكتابة ونفاذ علي بن عيسى ما أعظم به في عينه، وجعل إليه رئاسة مجلس المغرب في ديوان الدار"[٥]. إذ كتب للمكتفي يوصيه بتوليته. وحمل علي بن عيسى بن الجراح كتاب الوزير للمكتفي.[٦]. ويقول علي بن عيسى بن الجراح أن المكتفي " التفت إلي وجعل يخاطبني مخاطبة من قد رد الأمر إلي واعتمد فيه علي".[٧] ولعل المكتفي فهم من حمل علي بن عيسى بن الجراح

---

[١] محمد بن علي بن الأزرق (ت ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م)، **بدائع السلك في طبائع الملك**، تحقيق علي سامي النشار، (د.ط.)، منشورات وزارة الإعلام، العراق، ١٩٧٧، ص ١٨٣.

[٢] الحموي، **معجم الأدباء** ، مصدر سابق، ج٤، ص ١٨٨.

[٣] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١٠، ص ٧٣. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ١٤٨، ٣١٥. ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٧، ص ٤٩٦. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٢٤.

[٤] الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ١٤٣. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ١٨.

[٥] الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٢٥.

[٦] الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٨٩.

[٧] المصدر ذاته.

كتاب الوزير أنه راغب في تولي منصب الوزارة، إذ خاطبه المكتفي بقوله :"أنت يا علي في نفسي مذ كنت بالرقة[١]، وأنا أعرف أخبارك وأشاهد آثارك، وقد آل الأمر إليك الآن ووقع اختياري عليك، فتجرد للقيام به وإزالة الخلل عنه".[٢]

اعتذر علي بن عيسى بن الجراح عن قبول منصب الوزارة للمكتفي، وذلك بأن قال له "أنا يا أمير المؤمنين رجل ضيق العطن، وفيّ استقصاء وشدة لا يصلحان لمتولي هذا الأمر، وشغلي بما أخدم فيه طويل عريض، وإن نقلت إلى ما هو أكبر منه بعلت – أي تحيرت– ووقفتُ ".[٣]إلا أن المكتفي أصرّ على توليته، فراجعه أكثر من مرة في الأمر، وكان علي مصمماً على الاستعفاء.[٤]

يتضح أن إصرار المكتفي على تولية علي بن عيسى بن الجراح الوزارة فيه تأكيد على كفايته وخبرته ومقدرته على النهوض بأعباء الوزارة، خاصة وأن المكتفي كان من الخلفاء الذين نجحوا إلى حد ما في المحافظة على هيبة الخلافة.

أشار علي بن عيسى بن الجراح على المكتفي، بعد استعفائه، بتولية العباس بن الحسن الوزارة، وأبدى استعداده بمساعدته أن تولاها.[٥] فما كان من المكتفي إلا أن أخذ بمشورته، واستوزر العباس بن الحسن، ووافق علي بن عيسى بن الجراح على العمل في الدواوين المالية،[٦] ثم أوكل إليه المكتفي مهمة الإشراف على الدواين جميعها، إذ أوصاه "بالضبط والاحتياط"[٧]، بالإضافة إلى أنه كان إليه زمام ديوان الجيش.[١]

---

[١] كان علي بن عيسى يراسل المكتفي بالله من الرقة ليخبره بأخبار القرمطي، انظر : مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ص ١١٠-١١١.

[٢] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٨٩.

[٣] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٨٩.

[٤] المصدر ذاته.

[٥] المصدر ذاته، الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ١٨.

[٦] الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ١٨.

[٧] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٩٠.

تولى علي بن عيسى بن الجراح رئاسة ديوان الخاصة في أثناء وزارة العباس بن الحسن،، إذ كان يشرف على الضياع التابعة لهذا الديوان، ولما تقلد ابن الفرات الوزارة سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م بعد العباس بن الحسن، ترك علي بن عيسى بن الجراح ديوان الخاصة، بعد أن استطاع أن يوفر فيه مبلغ ضخم قدر بـ (١٧) مليون دينار.[٢]

امتدح الخليفة المقتدر بالله علي بن عيسى بن الجراح بقوله :" أنت عندي بمنزلة المعتضد بالله – أي والده– "[٣].

ازداد ارتباط علي بن عيسى بن الجراح بالعمل الديواني والإداري في الدولة العباسية في عهد الخليفة المقتدر بالله ٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٧-٩٣٢م، إذ كان أحد المستشارين الأربعة –وهم رؤساء الدواوين – في مسألة الخلافة بعد موت المكتفي، والذي لم يعهد لأحد بولاية العهد من بعده، وكان القائم على هذا الأمر الوزير العباس بن الحسن الذي بادر إلى جمع رؤساء الكتاب ليستشيرهم فيمن يصلح للخلافة، وهنا بدأت الانقسامات والتكتلات بين الكتاب.[٤]فرشح كل واحد منهم من يرى أنه يستطيع معه تحقيق المصالح الشخصية، إلا أن علي بن عيسى بن الجراح امتنع عن ترشيح أحد بالاسم، ومع إصرار الوزير على سماع رأيه أجاب أنه ينبغي أن يتقي الله وينظر من يصلح للدين والدنيا.[٥] وفي هذا إشارة إلى ميل علي بن عيسى بن الجراح لترشيح عبد الله بن المعتز للخلافة.[٦] إذ كان ابن المعتز يتصف بالقدرة على النهوض بأعباء الخلافة بحكم تجربته وخبرته بالإضافة إلى أنه رجل سياسة وحرب.[٧]

يشير الزهراني إلى أن علي بن عيسى بن الجراح تولى رئاسة ديوان المغرب سنين عديدة

---

(١) الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٢) التنوخي، الفرج بعد الشدة، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٥. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣١٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ٦٢.

(٤) عن انقسامات الكتاب، انظر : الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ص ١٩٤-١٩٥. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ١٢٤.

(٥) ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ١٠.

(٦) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ١٣٠. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ١٩٦.

(٧) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ١٣١. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ١٩٥.

في خلافة المقتدر.[١] ويستشهد على ذلك فيما أورده الصابئ على لسان الوزير ابن الفرات سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م قوله :" أنت يا أبا الحسن تعمل أعمال الدواوين منذ نشأت، وقد وليت ديوان المغرب سنين كثيرة، وقد تقلدت الوزارة..."[٢]، ويبدو أن الأمر قد اختلط على المؤلف، فابن الفرات تدرج في ذكر الوظائف الإدارية التي تولاها علي بن عيسى بن الجراح حتى وصل إلى الوزارة في عهد المقتدر، وفي هذا دليل على أن ابن الفرات يقصد توليه الديوان في أيام المعتضد، فقد ذكر الأعمال بالترتيب توليه الديوان أولاً ثم الوزارة ثانيا، مما يعني أن علي بن عيسى بن الجراح لم يتقلد رئاسة ديوان المغرب في خلافة المقتدر.

ب- دوره في فتنة ابن المعتز سنة ٢٩٦ هـ/ ٩٠٨م.

قامت محاولة انقلابية ضد المقتدر سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م على يد جماعة من وزراء سابقين وبعض رؤساء الدواوين وبعض القضاة والقادة العسكريين وعلى رأسهم محمد بن داود بن الجراح والحسين بن حمدان [٣]، -من بني حمدان أمراء الموصل وحلب- ولما كان علي بن عيسى بن الجراح من الكتاب في تلك الفترة، فقد اشترك في هذه الفتنة، إلا أن اشتراكه اكتنفه الغموض نوعاً ما، فلم يكن له دور بارز كبقية المشتركين فيها، إذ كان علي بن عيسى بن الجراح يميل إلى استخلاف ابن المعتز بدل المقتدر لصغر سنه، ولكنه لم يظهر ميله علانية وخاصة بعدما استشاره الوزير فيمن يصلح للوزارة، وامتناعه أول الأمر عن ترشيح شخص بالاسم. فاشتراك علي بن عيسى بن الجراح في هذه الفتنة لا يمثل في الأعم الأغلب رغبته في تحقيق مصالحه الشخصية، ولكنه كان ينصب لتحقيق المصلحة العامة بتولية الخلافة رجل كفؤ وذو مقدرة إدارية وخبرة سياسية وحربية كابن المعتز.[٤] وقد تأكد ذلك من قوله للوزير العباس

---

[١] الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٢٥.

[٢] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣١٥.

[٣] المسعودي، التنبيه، مصدر سابق، ص ص ٣٢٦-٣٢٧. القضاعي،عيون المعارف، مصدر سابق، ص ٢٣٧. الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ١٩٠. ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج١٣، ص ٧٩. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ١٢٤.

[٤] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢-٣. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ١٤٣، الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ص ١٩٤-١٩٥. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٣٧.

ابن الحسن عندما أصر على سماع رأيه في أمر الخلافة : ينبغي أن يتقى الله وينظر من يصلح للدين والدنيا".[١]

نجح المتآمرون بادئ الأمر في عزل المقتدر عن الخلافة، وتنصيب ابن المعتز مكانه، فبادر إلى التخلص من حاشية المقتدر وأعوانه، فاستوزر محمد بن داود بن الجراح،[٢] وقلد علي بن عيسى الإشراف على الدواوين والأصول جميعها.[٣]

لم يمض ابن المعتز في الخلافة إلا يوماً واحداً، إذ تمكن أعوان المقتدر من إعادته إلى سدة الحكم ، عندها بدأ المقتدر بمحاسبة المتآمرين، وكان علي بن عيسى بن الجراح قد اختبأ في بيت أحد بائعي الحبوب، فوشى به بعض العامة فألقي القبض عليه وسلم إلى خدم المقتدر، كما ألقي القبض على بقية الكتاب والقضاة الذين شاركوا في الفتنة وسلموا إلى مؤنس الخازن الذي بادر إلى إعدامهم باستثناء أربعة منهم ومن بين الذين سلموا من القتل علي بن عيسى بن الجراح، إذ سلم إلى الوزير ابن الفرات، فعمد إلى مصادرته ولكنه خفف عليه المصادرة.[٤]ويبدو أن ابن الفرات كان يقدر علي بن عيسى بن الجراح ويحترمه، ثم نفاه إلى واسط، ثم سمح له الذهاب إلى مكة " لتزول عنه التهم" [٥]، فلم يرغب الوزير في تعريض علي بن عيسى بن الجراح للقتل أو السجن، فقد توسط ابن الفرات بشأن بعض من اشترك بالفتنة لدى المقتدر" إذ عرّفه أنه متى عاقب جميع من دخل في أمر ابن المعتز فسدت النيات"[٦].

---

[١] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ص ١٤٣-١٤٤. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص١٠. حسام الدين السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص٥٠.

[٢] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٣٢. التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٥. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٥-٦. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ١٥٤.

[٣] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٥. Bowen, Ali Ibn Isa, E.I. op. cit., New ed, V.I. P.386.

[٤] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٧-٨. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ١٩١. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٢٩٠-٣٠٠هـ، ص٢٦.

[٥] الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ١٩١. Bowen, Ali Ibn Isa, E.I. op. cit., New ed, V.I. P.386 -

[٦] ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٨١.

كاتب علي بن عيسى بن الجراح – بعد سماعه بقتل صديقه أحمد بن عبدون – ابن الفرات طالبا منه الصفح والعفو ظنا منه أنه سيلاقي نفس المصير، فأجابه ابن الفرات "…. أنت تعلم ما يلزمني من حقك، وما أنا عليه لك، ولن أدع ممكنا في تخليصك واستنقاذك وردك إلى أفضل ما كنت عليه إلا أتيته وبلغته وقضيت حقك به".[١] فشعر علي بن عيسى بن الجراح عندها بالأمان.

لم يقتصر عدم الاستغناء عن علي بن عيسى بن الجراح على الخلفاء فحسب، بل تعدى ذلك إلى رؤساء الكتاب أمثاله، إذ كان أبو محمد الحسين بن روح يتولى ديوان الضياع الخاصة في وزارة الخاقاني، ولما ضعف أمر الخاقاني حاول ابن روح أن يضمن تحصيل الأموال من الخاقاني وخاصته، مقابل أن يتولى الوزارة وتولية علي بن عيسى بن الجراح الإشراف على الدواوين، إذ قال للمقتدر "أنا اقتصر على الوزارة، وتكون الدواوين إلى علي بن عيسى، فتمشي الأمور، وتستقيم الأعمال"، أي أن يكن اسم الوزارة لابن روح ويقتصر عمله على المثول أمام الخليفة وعلية السواد وتلقي الأوامر ويكون العمل والإشراف على الدواوين لعلي بن عيسى بن الجراح، ويمتثل لأوامر الوزير وينفذها.

يتضح مما سبق مدى الإصرار على تعيين علي بن عيسى بن الجراح الأعمال الكبيرة كالوزارة وتوكيل المهام إليه كالإشراف على الدواوين، ورئاستها، كل ذلك نظرا لمقدرته وصلاحه ومعرفته بأمور الرئاسة والدواوين.

ج- وزارته الأولى سنة ٣٠١هـ-٣٠٤هـ/٩١٣-٩١٦م.

" إن أفضل الوزراء من يدين بحياة الملك وطاعته، ويسخط العالم في سبيل مرضاته، ويذهب نفسه وماله في إرادته".[٢]

كانت الدولة قبل عهد المقتدر دولة قوية سياسيا واقتصاديا وإداريا، أرسى أركان قوتها والده المعتضد وأخوه المكتفي، وما أن تسلم هو أمور الخلافة حتى تدهورت بسبب صغر سنه، وعدم قدرته على إدارة الدولة، لذلك قام الوزراء ورؤساء الكتاب بالإدارة والسياسة، وزاد الحالة

---

[١] الصابي، الوزراء، مصدر سابق، ص ١٥٥.

[٢] قدامة بن جعفر (ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق محمد حسين الزبيدي، (د.ط.)، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١، ص٤٨٠.

كان الوزير محمد بن عبيد الله الخاقاني يتولى الوزارة للمقتدر من سنة ٢٩٩-٣٠١هـ/ ٩١١-٩١٣م. وفي عهده اضطربت أحوال الدولة السياسية، وفسدت أمورها الإدارية، والأهم من ذلك التدهور الاقتصادي متمثلاً في فراغ الخزينة من الأموال. وتدهور الزراعة وأحوال المزارعين.(١) وقد ولى الخاقاني العمال على الولايات بطريق الرشوة فمن كان يدفع مالاً أكثر كان يحظى بالوظيفة لذلك وجد في عهده أكثر من عامل على نفس الولاية وفي وقت واحد. وقد وصفه بعض الشعراء بقوله :(٢)

وزير ما يفيق من الرقاعة　　يولي ثم يعزل بعد ساعة

إذا أهل الرشا صاروا إليه　　فأحظى القوم أوفرهم بضاعة

وليس بمنكر ذا العقل منه　　لأن الشيخ أفلت من مجاعة.

لما رأى المقتدر دولته على هذه الحال استشار مؤنس الخادم في أمر عزل الخاقاني عن الوزارة، وأراد استعادة ابن الفرات، إلا أن معارضة مؤنس حالت دون ذلك لأنه كان على عداء معه. فأشار مؤنس بإحضار علي بن عيسى بن الجراح من منفاه في مكة منذ فتنة ابن المعتز. وتقليده الوزارة مكان الخاقاني، ذلك لأن مؤنس كان يقدر علي بن عيسى ويحترمه.(٣) وقد امتدحه في مجلس الخليفة بقوله :" لم يعد من الجماعة – أي من أصحاب الدواوين الذين دبروا الأمور والأعمال منذ أيام المعتضد بالله – من هو أسد تصرفاً، وأشد تعففاً، وأظهر كفاية، وأكثر أمانة من علي بن عيسى"(٤). وزيادة على ذلك فإن مؤنس شجع الخليفة على استيزار علي بن عيسى بن الجراح بقوله :" فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر باستقدامه واستخدامه لم يعدم إحماد الرأي في بابه".(٥) فوافق المقتدر تحت إصرار وضغط مؤنس الخادم. وأمر بإحضار علي

(١) عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٤٨. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٢٨٦. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٢) عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٤٨.

(٣) مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٦٠. الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص١٦٩.

(٤) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٢٨٧. مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٦٠. وقد زاد فيه (... ولم يصلح لتدبير المملكة غيره). الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص ١٦٩.

(٥) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٢٨٧.

بن عيسى بن الجراح من مكة، فأرسل مؤنس حاجبه يمن الذي عاد بصحبة علي بن عيسى بن الجراح في العاشر من محرم سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م. وما أن وصل إلى بغداد حتى سار من وقته إلى دار الخلافة، فقلده المقتدر وزارته، وخلع عليه الخلع السلطانية، ثم سلم إليه الوزير المعزول الخاقاني، فصادره مصادره رفق به فيها.[١] ويتضح من ذلك أن سياسة المصادرة غدت ظاهرة عامة لا تقتصر على وزير دون آخر بل نادراً ما ينجو منها وزير، بهدف الاستيلاء على أمواله وضياعه لحاجة الدولة لهذه الأموال.

كان بدء أمر علي بن عيسى بن الجراح في الوزارة أن باشر أعمالها بنفسه، إذ " رتب الأمور والدواوين على ما رأى فيه من الصلاح والسداد"[٢]. كما أقر عمال الولايات وقادة الجيش والأمراء على ما بأيديهم من أعمال، وأمرهم باستخراج الأموال وإرسالها إلى الخزينة المركزية ببغداد.[٣]

يتبين مما ذكر أن اختيار علي بن عيسى بن الجراح للوزارة- ذلك المنصب الذي استعفى منه في خلافة المكتفي- كان دون سعي منه،إذ كان منفياً في مكة. وإنما كان برضا الخليفة المقتدر، واختيار مؤنس الخادم، نظراً لصدقة وأمانته وإخلاصه. إذ " كان رجلاً عاقلاً متديناً متصوناً ظلفاً متعففاً عارفاً بالأعمال حافظاً للأموال، كثير الوقار والجد، بعيداً عن التبذل والهزل"[٤]. ويصفه الخطيب البغدادي أنه " كان صدوقاً فاضلاً عفيفاً في ولايته، محموداً في

---

[١] الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٤٧. عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٤٨. التنوخي، الفرج بعد الشدة، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٢. مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٧٣. ابن العمراني، الأنباء، مصدر سابق، ص ١٥٧. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٠٦. الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص ١٧٠. Bowen, Ali Ibn Isa, E.I. op. cit., New ed, V.I. P.386.

[٢] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٠٦. الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص ١٧١.

[٣] مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٧٣. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٠٦.

[٤] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٠٦.

وزارته" [١]، وهنا يشير بوين (Bowen) إلى أن علي بن عيسى بن الجراح لا بدّ أنـــه تأسـف حين نظر إلى الوراء لرفضه قبول الوزارة.[٢]

ولما كان علي بن عيسى بن الجراح على مثل هذه الصفات، فضلاً عن قيامـــه بـإصلاح مالية الدولة إصلاحاً جوهرياً، بفضل تدبيره الشديد، مما أغضب الجند لأنه خفض أعطياتهم، كمـا أصبح مكروهاً من جراء تصرفاته الأخرى، ومنها منعه الأيادي من الظلم.[٣] وقد ألب بتصرفاتـه وإصلاحاته كل أعداء الإصلاح من خاصة المقتدر وحاشيته وحرمه. لأن أي محاولة للإصـــلاح المالي والإداري كانت تتعارض مع بعض الأنفس المريضة ومصالحهم الشخصية. فاستوحشـــوا منه وعادوه، حتى ضجر من سوء وقلة أدب الحاشية.[٤]

وصل إلى مسامع الوزير أن المقتدر راغب في استرجاع ابن الفرات للوزارة لأنـــه كـان يسعى ضده، فخاف علي بن عيسى بن الجراح من تكالب جميع المعارضين ضده من المدنييـــن والعسكريين وخاصة بعد أن تضاعفت مطالب الجند بالزيادة، كذلك كان للخيانـــة والغـش فـي واردات وغلات سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م أثر فعال في إدراكه أنه لا قدرة له على مواجهة الظـروف، فبادر بوقف أملاكه وضياعه وأمواله وأعتق جميع عبيده، فحمى بذلك نفسه من المصادرة فضـلاً عن تحصيل الأجر والثواب.[٥] ثم طلب من المقتدر أن يعفيه من منصبه أكثر من مـــرة، إلا أن المقتدر كان يرفض أول الأمر، ومع إلحاح الوزير وإلحاح الحرم والخدم، وافق الخليفـــة علـى استعفائه.[٦] وقبض عليه سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م،[٧]وسجنه عند زيدان القهرمانة، ولم يتعـــرض لـه

---

[١] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٤.

[٢] Bowen, Ali Ibn Isa, E.I. op. cit., New ed, V.I. P.116.

[٣] المصدر ذاته، ص ١٨٥.

[٤] مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٨٢. الصابئ، الوزراء، مصدر ســابق، ص ص ٣٠٦-٣٠٧، ٣٠٩. الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، حوادث ووفيـــات ٣٠١-٣١٠هـ، ص ٢١. ابـن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج٣، ص ٢١٣. الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع ســابق، ص ١٨١.

[٥] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٠٧. الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص ١٨١-١٨٢.

[٦] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٠٧.

[٧] المسعودي، مروج الذهب، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٠٥. عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٦٦. الصـابئ،

بالتعذيب أو المصادرة.[١] لأن الوزارة كانت سبيلاً يوصل إلى السجن في أغلب الأحيان، ونـــدر من نجا من الوزراء ولم يسجن، فهو بذلك أول وزراء المقتدر الذين لم تتم مصادرتهم أو تعذيبهم بعد عزلهم، إلا أنه بالمقابل تم التعرض لمنازل اخوته وحاشيته وذويه بالنهب والسـلب. وبذلـك يكون علي بن عيسى بن الجراح قد وزر للمقتدر مدة ثـلاث سـنين وعشـرة أشـهر وثمانيـة وعشرين يوماً.[٢]

ومرة أخرى تظهر سياسة المصادرة كمصدر من مصادر دخل بيت المال، إذ لم تقتصـر المصادرة على الوزير المعزول وكتابه، بل كان أهله وحاشيته أيضاً يتعرضـون لـها.إذ يعـزو الزهراني سبب تعرض أخوة وحاشية علي بن عيسى بن الجراح للمصادرة والنهب دونه إلى أنـه كان متسامحاً معهم في بعض أمور الدولة.[٣] إذ صودر أخوه عبد الله علـى مبلـغ (٦٠٠،٠٠٠) دينار وصودر أخوه إبراهيم على (٥٠٠،٠٠٠) دينار، ثم نُفي علي بن عيسى بن الجراح إلى ديـر العاقول،[٤] ويبدو أن المقتدر قام بذلك حتى لا يتهم بميله إلى علي بن عيسى بن الجـراح فيثـير ضده كل من سعى في عزله ونكبته.

أما الصابئ فيعزو السبب الرئيسي في عزل الوزير علي بن عيسـى بـن الجـراح عـن الوزارة إلى تدخل الحرم في شؤون الحكم والسياسة، وازدياد نفوذهن بسبب انصـراف المقتـدر إلى اللهو والعبث، إذ يقول " وقرب عيد الأضحى واحتيج إلى ما جرت العادة بإطلاقـه للحـرم

= الوزراء، مصدر سابق، ص ٣١٠. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ١٦٦. الحموي، **معجم الأدباء** ، مصدر سابق، ص ١٩٠.

(١) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، حوادث ووفيات سنة ٣٠١-٣١٠هـ، مصدر سابق، ص ٢١.

(٢) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٦٦. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣١٠. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ١٦٦. الحموي، **معجم الأدباء** ، مصدر سابق، ص ١٨٨. ابـن تغـري بـردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢١٣. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ١٨٤. أما أهـم إنجازات الوزير علي بن عيسى بن الجراح وأعماله الإصلاحية خلال وزارته الأولى فسيتم الحديث عنها فـي فصل لاحق.

(٣) الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ١٣٤. الكبيسي، **عصـر المقتـدر**، مرجـع سـابق، ص١٨٦.

(٤) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣٠١-٣١٠هـ، ص ٢١. دير العاقول: بيـن مدائـن كسرى والنعمانية بالقرب منه دير قُنّي. الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٢، ص٥٢٠.

والحاشية، فجاءته أم موسى القهرمانة في آخر ذي القعدة سنة أربع وثلاثمائة مخاطبة على ذلك، ومقررة للأمر فيه، وكان محتجباً، فلم يقدم سلامه حاجبه إلى الاستئذان لها، واعتذر إليها عذراً لطيفاً وصرفها صرفاً جميلاً، فغضبت وانصرفت. واعلم علي بن عيسى خبرها في حضورها وانصرافها، فأنفذ إليها واستعذرها ، فلم تعذر، وصارت إلى المقتدر بالله وإلى السيدة ، وأغرتهما به وتكذبت عندهما عليه، وأدى ذلك إلى القبض عليه في يوم الاثنين الثامن من ذي الحجة سنة أربع وثلاثمائة عند ركوبه إلى دار السلطان واعتقاله عند زيدان.[١]

وخلاصة القول أن الوزير علي بن عيسى بن الجراح كان يجمع في نفسه معظم الخصال التي ينبغي أن تتوفر في الوزير الصالح، والتي جاءت في كتب الأحكام السلطانية وأدب الوزراء مثل كتاب (أداب الملوك)، " واجتمعت الآراء على أنه ينبغي أن يكون وزير الملك يجمع الأصل والفضل والقول الفصل، والأدب الجزل والرأي الثاقب، والتدبير الصائب، ويرجع إلى نفس أمارة بالخير، بعيدة من الشر مذلوله على سبل البر. ويجمع إدارات السيادة وآلات الرئاسة بمحبة يطبق فيها قلوب العامة بعد الخاصة، ويرجى أيامه بين نصح يؤثره، وجد في مصلحة المملكة يستعمله، وجهد في التقرب إلى سلطانه يتحمله، وتخلص على النقد والتمييز خلوص الذهب الأبريز" [٢]، لذلك فقد وصفه بعضهم " أنه كان في الوزراء كعمر بن عبد العزيز في الخلفاء"[٣]، وقد امتدحه الصولي بقوله :" لا أعلم أنه وزر لبني العباس وزيراً يشبهه في زهده وعفته وحفظه للقرآن وعلمه بمعانيه"، واستطراده أيضاً في وصفه" ولا أعلم أني خاطبت أحداً أعرف منه بالشعر.... ولم يروا – أي الناس– أعف بطناً ولساناً وفرجاً منه[٤]"، وأفضل ما وصف به علي بن عيسى بن الجراح أنه " جمال بغداد، ومن لايرى الناس مثله" ووصفه بأنه "تاج الدولة وجماله وشيخ الإسلام "[٥].

---

[١] الصابي، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣١٠. انظر : مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٣٤٣. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ١٦٦. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ١٨٢.

[٢] الثعالبي، **آداب الملوك**، تحقيق جليل عطية، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٣٠.

[٣] أبو بكر العامري اليماني (ت ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م)، **غربال الزمان في وفيات الأعيان**، صححه وعلق عليه محمد ناجي العمر، الإشراف عبد الرحمن الأرياني، مطبعة زيد، دمشق، ١٩٨٥، ص ٢٩٤.

[٤] نقلا عن: الحموي، **معجم الأدباء** ، مصدر سابق، ص ١٨٨.

[٥] الصولي، **أخبار الراضي والمتقي لله**، مصدر سابق، ص ٦٥-٦٧، ١٨٧-١٨٨.

ومن طريف ما قيل بعد عزل علي بن عيسى بن الجراح واستيزار أبي الحسن علي بن الفرات أن قال بعض العامة : قاتلهم الله أخذوا المصحف ووضعوا بدله الطنبور"[١].

لذلك كانت علاقة الوزير علي بن عيسى بن الجراح مع الخليفة المقتدر علاقة طيبة، لا تشوبها شائبة تعكر صفوها، على الرغم من استغناء المقتدر عن خدماته في بعض الأحيان، وهذا راجع – بطبيعة الحال– إلى الدسائس والمؤامرات ا لتي كانت تحاك ضده، بحيث كان يتم إيغار صدر المقتدر عليه الذي لم يكن له حول ولا قوة سوى تنفيذ أوامر الحرم والحاشية وقادة الجيش الأتراك، وقد امتدح المقتدر وزيره علي بن عيسى بن الجراح ووصفه بأنه بمنزلة والده المعتضد لما قال:" أنت عندي بمنزلة المعتضد بالله"[٢]، وقوله أيضاً : " استحيت من الله في مال علي بن عيسى فإني أخذته ظلما"[٣].

وبالمقابل كان الوزير علي بن عيسى بن الجراح موضع ثقة الخليفة ومستشاره في أحلك الظروف إذ كان من " خيار الوزراء، ومن صلحاء الكبراء".[٤] وكان يمتدح الخليفة المقتدر بقوله "ما هو إلا أن يترك هذا الرجل النبيذ خمسة أيام متتابعة حتى يصح ذهنه، فأخاطب منه رجلاً ما خاطبت أفضل منه، ولا أبصر بالرأي، وأعرف بالأمور، وأسدّ في التدبير، ولو قلت أنه إذا ترك النبيذ هذه المرة في أصالة الرأي، وصحة العقل كالمعتضد والمأمون ومن أشبههما من الخلفاء".[٥]

ومما يدل على العلاقة الطيبة بين علي بن عيسى آل الجراح، وبني العباس –وخاصة المقتدر– ما أورده ابن الجوزي في حوادث سنة ٣١٠هـ/ أنه " اعتل علي بن عيسى، فركب لعيادته هارون بن المقتدر ومعه مؤنس ونصر القشوري ووجوه الغلمان, وفرشت له الطريق من

---

[١] التوحيدي، **الامتاع والمؤانسة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٤.

[٢] ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٦٢.

[٣] ابن الأبار، **أعتاب الكتاب**، مصدر سابق، ص ١٨٥.

[٤] الذهبي، **سير**، مصدر سابق، ج١٥، ص ٣٠٠. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ص ٣٣١-٣٣٢.

[٥] التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٨٢. انظر: Bowen, Ali Ibn Isa, E.I. op. cit, New ed, V.I. P.116.

الشط إلى المجلس، فتلقاه أبو الحسن متحاملا، وأدى إليه رسالة المقتدر بالمسألة عن خبره، ثم قيل أن المقتدر قد عزم على الركوب إليه، فانزعج لذلك، وسأل مؤنس أن يستعفي له منه، وكان قد صلح بعض الصلاح، فركب إلى الدار على ضعف شديد. وطلع ليفسخ بذلك ما وقع عليه العزم، ثم برأ".(١)

د-الأعمال والوظائف الإدارية التي تولاها بين الوزارتين:

بقي الوزير علي بن عيسى بن الجراح في السجن مدة ١٨ شهراً ولكنه كان مكرماً لم يلحقه ضيم أو حيف(٢). ونظراً لما يتمتع به من تقدير واحترام لدى الخاصة والعامة، فقد عرض عليه المقتدر تولي منصب الوزارة سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م. ولكنه رفض ذلك، ولما يأس المقتدر من إقناعه بقبولها، مال إلى استشارته فيمن يصلح لها، إذ قال له : " لولا علمنا بزهدك في الوزارة لما عدلنا بها عنك، ولكننا نشاورك فيمن نقلده، انكر هنا الناظر في الأمور"(٣). وهنا ظهر مدى صدق علي بن عيسى بن الجراح في نصحه للمقتدر بشأن الوزارة إذ قال له " الوزارة محتاجة إلى رجل كاتب كافٍ ممش للأمور عارف بسياسة الجند، وقد قل الناس الذين هذه حالهم، وما أعرف من أذكره اقتضاباً من غير رواية، ولكن انظروني حتى أراجع فكري، وأقول ما عندي".(٤)

ولما كان علي بن عيسى بن الجراح يرفض قبول الوزارة، فقد كان يرفض أيضاً ترشيح أحدٍ من أقاربه لتوليها، ويبدو أنه كان يخشى عليهم من سياسة المصادرة والسجن، فحدث أن أرسل له المقتدر كتاباً وهو في السجن يستشيره فيه لترشيح شخص ممن ورد اسمه في الكتاب، وكان من ضمن المرشحين إبراهيم بن عيسى بن داود بن الجراح – أخو علي بن عيسى– فكتب تحت اسمه "شره لا يصلح" وكذلك سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح، الذي كتب تحت اسمه "كاتب حدث"(٥). معتمداً في ذلك على قاعدة متينة أساسها أن "عدة الأمر في الوزارة:

---

(١) ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٢٠٩. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ١٥٥.

(٢) الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٧٤.

(٣) المصدر ذاته، ص ٣٧٥. انظر : مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٩٣.

(٤) الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٧٥.

(٥) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٧٦. مجهول **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٩٣.

أن يستزوروا – أي الملوك– الشريف المذكور ولا يؤهل لها الوضيع المجهول".[١]

كانت هذه الاستشارة بمثابة المنقذ لعلي بن عيسى آل الجراح، إذ أخرج على أثرها من السجن فقد تولى حامد بن العباس الوزارة سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م، فبدى – بعد فترة – للمقتدر ومستشاريه عجزه وقصوره عن النهوض بأعبائها. فهو لم يكن من الكتاب في الدواوين بل كان سقاء وبائع تمور بالإضافة إلى اتصافه بالأخلاق السيئة.[٢] فندب المقتدر علي بن عيسى بن الجراح للإشراف على الدواوين في وزارة حامد بن العباس، ويكون نائباً عنه، ويبدو أن حامد بن العباس وافق على جعل علي بن عيسى بن الجراح نائبا عنه لأنه كان يعرف صلاح وقدرة وضبط علي بن عيسى بن الجراح للأعمال، إذ كان يعمل كاتباً له لمدة سبعة أشهر، وكان يخلفه في الإشراف على أعماله في واسط عندما كان حامد والياً عليها.[٣]

ويشير صاحب كتاب (العيون والحدائق) إلى أن الوزير حامد بن العباس هو الذي ندب علي بن عيسى بن الجراح ليكون كاتبه وخليفته ظاهراً، ويكون الوزير باطناً وعملاً، يقوم بتدبير أمور الدولة " نظراً لتقدمه في الكفاية، واستقلاله بما يعجز عنه غيره من أعمال الوزارة"[٤] .

ومما يدل على قلة خبرة حامد بن العباس بإدارة الوزارة أنه لما طلب من الخليفة الإذن له في استخلاف علي بن عيسى بن الجراح في الدواوين، قال المقتدر: ما أحسب أن علي بن عيسى يجيب إلى ذلك، ويرضى بأن يكون تابعاً بعد أن كان رئيساً – أي وزيراً– فقال حامد بحضرة الناس:" إنما مثل الكاتب كمثل الخياط، يخيط ثوباً بعشر دراهم، ويخيط ثوباً قيمته ألف دينار، فضحك الناس منه واستنقصوه.[٥]

---

(١) الثعالبي، آداب الملوك، مصدرسابق، ص ص ١٣٠-١٣١

(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، مصدر سابق، ج٨، ص ٦٤. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٣١. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ١٩١.

(٣) الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣١٤. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٣١.
Bowen, Ali Ibn Isa, E.I. op. cit., New ed, V.I. P.387..

(٤) الثعالبي، تحفة الوزراء، تحقيق سعد أبو دية، (د.ط.)، دار البشير، عمان، ١٩٩٤، ص ٥٣. انظر : مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٩٦.

(٥) مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق ١، ص ١٩٦. انظر : آدم متز، **الحضارة الإسلامية**،

وافق علي بن عيسى بن الجراح على قبول المنصب، بعد إلحاح شديد من المقتدر ومستشاريه، إذ أخذ على عاتقه إصلاح أمر الوزارة.[١] فاجتهد في تسيير الأمور، فكان يحضر إلى دار الوزارة مرتين يومياً، وكان يتابع سير الأعمال بنفسه، ثم وقع خلاف بينه وبين الوزير فاقتصر حضور علي بن عيسى بن الجراح إلى دار الوزارة مرة واحدة في اليوم. ولما أدرك المقتدر جهل الوزير حامد بن العباس أوكل إلى علي بن عيسى بن الجراح مهمة تدبير أمور الدولة كلها، فانفرد بذلك بتدبير الأمور دون الوزير[٢] الذي أصبح وزيرا بالاسم فقط. أما الفعل والعمل فكان لعلي بن عيسى بن الجراح إذ كان هو يخاطب الخليفة وهو المشرف على الدواوين جميعها[٣]، فقال بعض الشعراء في هجاء حامد بن العباس:[٤]

قل لابن عيسى قولة   يرضى بها ابن مجاهد
أنت الوزير وإنما   سخروا بلحية حامد
جعلوه عندك سترة   لصلاح أمر فاسد
مهما شككت فقل له   كم واحد في واحد

مرجع سابق، ص ١٧١.

[١] Domenik Sourdel, Le Vizirat Abbasside, op. cit., V.2, P. 414.

[٢] التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٩. الثعالبي، **تحفة الوزراء**، مصدر سابق، ص ٥٣. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ٣٠١-٣١٠هـ، ص ٢٦. ابن العمراني، **الأنباء**، مصدر سابق، ص ١٥٧. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٩٧. متز، **الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص ١٧١.

[٣] الثعالبي، **أداب الملوك**، مصدر سابق، ص ١٣٢. متز، **الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ج١، ص ١٧١. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ١٢٧.

[٤] ابن الطقطقي، **الفخري**، مصدر سابق، ص ٢١٩. ابن كثير، **البداية والنهاية**، مصدر سابق، ج١١، ص ١٢٩. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٣٢. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص١٩٣.

اقتصر عمل الوزير حامد بن العباس على حضور مجلس الخليفة وهو يرتدي السواد. أما نائبه علي بن عيسى بن الجراح فكان يحضر دون لبس السواد فقال بعض الشعراء في ذلك:[١]

أعجب من كل ما تراه　　　كون وزيرين في بلاط

فذا سواد بلا وزير　　　وذا وزير بلا سواد

"وإذا كانت الوزارة تالية للملك، فكما لايصلح ملكان في مملكة، لا يصلح وزيران في دولة"[٢].

كان الخلفاء العباسيون الأوائل –على الرغم من اتساع حدود دولتهم – لا يولون الوزارة إلا لشخص واحد وذلك عائد لقوة هؤلاء الخلفاء على إدارة دولتهم بحزم وقوة، واستمر الأمر على هذه الحال حتى تولى المقتدر بالله الخلافة إذ " مرضت الدولة وضعفت السياسة وشغرت المملكة"[٣]، فكانت الحاجة الملحة لتولية أكثر من شخص في الوزارة كما حدث مع الوزير حامد بن العباس وعلي بن عيسى بن الجراح سنة ٣٠٦هـ/ ٩٠٨م، ثم سار الراضي بالله والمتقي لله على سنته، فأسندوا الوزارة لأكثر من شخص، فأحدهم له الوزارة الاسمية والآخر له الإشراف والعمل.

وقد استغرب الشاعر ابن بسام هذه الحال فقال:[٤]

فقدتكم يا بني الجاحدة　　　ففي كل يوم لكم ابده

متى كان يعرف فيما مضى　　　وزيران في دولة واحده

توترت العلاقات بين الوزير حامد بن العباس ونائبه علي بن عيسى بن الجراح سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٩م على إثر إقدام علي بن عيسى بن الجراح على عزل ابن بسطام والي جند

---

[١] الثعالبي، آداب الملوك، مصدر سابق، ص ١٣٣. مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٩٧. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ١٢٧. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٣٢. الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص ١٩٣.

[٢] الثعالبي، آداب الملوك، مصدر سابق، ص ١٣٢.

[٣] الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق،، ص ١٣٢. انظر : فاروق عمر ، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ٨٩.

[٤] الثعالبي، آداب الملوك، مصدر سابق، ص ١٣٣.

قنسرين والعواصم.[١]، ومطالبته له بأموال يؤديها، ولما قدم ابن بسطام إلى بغداد لم يتوجه إلى علي بن عيسى بن الجراح ليؤدي ما عليه، بل توجه من فوره إلى الوزير حامد بن العباس، ثم أرسل بالهدايا إلى الخليفة وأمه اللذين حالا بعدها بينه وبين علي بن عيسى بن الجراح. وكان ذلك سبباً في القطيعة بينهما حتى وصل الأمر إلى الشتم، مما دفع بالوزير حامد إلى أن يضمن ما كان يتقلده علي بن عيسى بن الجراح وأخيه أحمد بأموال كثيرة، فوافق المقتدر على ذلك لحاجته وحبه للمال.[٢]

ثارت العامة على الوزير حامد بن العباس في بغداد سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م، بسبب ارتفاع الأسعار التي استمرت قرابة العام، واتهم الوزير بها لأنه ضمن غلات واسط للمقتدر ولم تهدأ الحال حتى قدم الوزير من واسط وطلب من المقتدر فسخ ضمانه وقبول استقالته من الوزارة، فوافق الخليفة على فسخ ضمانه ولكنه رفض استقالته من الوزارة، فعمد الوزير إلى حمل الغلات والأطعمة من واسط إلى بغداد حتى اعتدلت الأسعار سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢١م، وفي هذه الأثناء عرضت الوزارة على علي بن عيسى بن الجراح، لإدراك الخليفة قدرته على إصلاح الأحوال الاقتصادية، ولكنه رفض الأمر، فحاول المقتدر إجباره على قبولها بأن منحه أموالاً وأعطاه ملابس سوداء كناية عن تقليده الوزارة، ولكن علي بن عيسى بن الجراح استعفى مجدداً ورفض عرض الخليفة.[٣]

استمر علي بن عيسى بن الجراح في الإشراف على وزارة حامد بن العباس حتى سنة ٣١١هـ/ ٩٢٣م، وتعتبر هذه السنة سنة الدمار بالنسبة لأهل بغداد، إذ تولى فيها علي بن محمد بن الفرات الوزارة للمرة الثالثة، كذلك دخول القرامطة البصرة، فعاثوا فيها وأحرقوها.[٤] وأخيراً قبض المقتدر فيها على الوزير حامد بن العباس بسبب إضراره بالاقتصاد مما أثار غضب العامة

---

[١] الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣٠١-٣١٠هـ، ص ٢٦.

[٢] عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٨٢. مجهول ، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٠٤. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

[٣] عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٨٧. مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ص ٢٠٩-٢١٠. محمد الخضري، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣٤٥. الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص ١٩٤.

[٤] عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ١١٠. Bowen, Ali Ibn Isa, E.I. op. cit., New ed, V.I. P.387.

عليه.[1] كما قبض على نائب الوزير علي بن عيسى بن الجراح بعد أن عزل عن الدواوين والإشراف على الوزارة وأعمالها لأنه أخر مرتبات الجند،[2] وأرزاق الأولاد والحرم والخدم والحشم، إذ كان يؤخرها كلما اجتمع عدة شهور أعطاهم بعضاً وأسقط بعضاً. كما انتقص من أرزاق العمال في كل سنة شهرين، فزادت عداوة الناس له.[3] فضلاً عن دسائس ومؤامرات علي بن الفرات ضده.[4]

وصلت أخبار قبض المقتدر على وزيره ونائبه إلى أبي سعيد الجنابي القرمطي[5] الذي لم يدخر وسعاً في استغلال هذه الظروف لصالحه، إذ كانت بغداد تعاني من أسوأ أحوالها الاقتصادية والسياسية من نقص الغلات وارتفاع الأسعار، وتولي ابن الفرات الوزارة مرة ثالثة، فدخل القرامطة البصرة وخربوها وقتلوا أهلها وسبوها، وكان القرامطة يدركون أهمية وجود علي بن عيسى بن الجراح في إدارة أمور الدولة وقدرته على ضبطها بقوة وحزم، فلما دخلوا البصرة قالوا لأهلها شامتين بعزل علي بن عيسى بن الجراح: ويلكم ما أرك سليطينكم – أي ضعيف العقل – في إبعاد ذلك الشيخ عن نفسه، وليعلمن ما يلقى بعده" [6].

سلم علي بن عيسى بن الجراح إلى الوزير الجديد علي بن الفرات الذي بدأ على الفور بمناظرته تنفيذاً لأوامر المقتدر، إذ كان المقتدر قد طلب من علي بن عيسى بن الجراح بعد عزله الإقرار بأمواله، فأجابه على ثلاثة آلاف دينار فقط . ثم ناظره الوزير ابن الفرات واتهمه بأنه

---

[1] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٢٢٧. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٢١٩.

[2] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٢٢٧. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٢١٩

[3] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١١، ص ١٠٨. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٣٩. الخضري، **الدولة العباسية**، مرجع سابق، ٣٤٥.

[4] الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٢٦٥. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٣٣.

[5] أبو سعيد الجنابي: هو الحسن بن بهرام كبير القرامطة ومعلن مذهبهم، كان دقاقاً من أهل جنابه بفارس أقام بالبحرين تاجراً، ثم أخذ يدعو إليه الأعراب والقرامطة فعظم أمره، حاربه الخليفة المعتضد، ثم استولى القرمطي على هجر والإحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين، قتله خادم له صقلبي في الحمام بهجر. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج١١، ص ص ٤١٠-٤١١.

[6] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ١١٠. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص٢٢.

قرمطي ممالئاً لهم. بالإضافة إلى تأخيره أرزاق نفقات البلاط،[١] وأخيراً سلم إلى المحسن ابن الوزير علي بن الفرات الذي قرر عليه مبلغ ٣٠٠,٠٠٠ دينار، لم يؤد منها سوى ثمن دار كان يملكها فباعها.[٢] ثم سجنه فامتنع علي بن عيسى بن الجراح عن الإقرار بما يملك من أموال، ومقدار ما تغله ضياعه، فأمر المحسن بتقييده بعشرين رطلاً من الحديد "وألبسه جبة صوف مدهونة بماء الأكارع". وكان من شدة ما لقيه من التعذيب أن الحداد الذي جاء لتقييده ضرب القيد بمطرقته، فأصاب كعب علي بن عيسى بن الجراح، فقال : يا هذا، أي عداوة بيني وبينك حتى فعلت ما فعلت؟ فقال له : كيف لا أعاديك وقد أسقطت من رزقي ديناراً؟[٣] ثم دعا المحسن بعشرة غلمان وأوكل إليهم صفع علي بن عيسى بن الجراح وتعذيبه. فصاح في ثلاث من شدة الألم، وقال في الباقي: أستغفر الله من ذنب مكن مثلك من مثلي"[٤].

وعلى الرغم من أن علي بن عيسى بن الجراح لم يكن الوزير إلا أنه تعرض لسياسة المصادرة انتقاماً منه من قبل الوزير علي بن الفرات وابنه المحسن لأسباب شخصية عدائية، إذ كان علي بن عيسى بن الجراح هو الوزير من الناحية العملية "وكان لسماح الخليفة للوزير الجديد باستخدام أساليب العنف والقوة للحصول على الأموال من الوزير المعزول، مما أدى إلى حرمان الدولة من وزراء أكفاء، وعدم الاستفادة من قابلياتهم الفذة التي لو تهيأ لها العمل بحرية واطمئنان لأنتجت كثيراً".[٥]

لم يرق ما وقع لعلي بن عيسى بن الجراح من التعذيب على يد المحسن للمقتدر ولا للوزير نفسه ولا الحرم داخل القصر، فكان لتدخلهم أكبر الأثر في تخليصه من التعذيب واكتفى

---

[١] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٠٥ وما بعدها. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣١٦.

[٢] مسكويه تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١١٠. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

Bowen, Ali Ibn Isa, **E.I.** op. cit., New ed, V.I. P.387.

[٣] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٢٣٩. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١١٠. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٢٣. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ١٣٥.

[٤] الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٢٤. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ١٣٥.

[٥] الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٢٤٩.

ببقائه في السجن.[١] ولما كان المحسن شديد البغض لعلي بن عيسى بن الجراح فقد دبر له مكيدة للتخلص منه بقتله، غير أن معارضة والده حالت دون ذلك خوفاً من أن يتهم به وخوفا من ثورة العامة وأقاربه عليه.[٢] فقرر نفيه إلى مكة، ووكل به جماعة من أصحاب المحسن الذي أوصاهم بدس السم له، وإذا فشلوا عمدوا إلى قتله بعد وصولهم إلى مكة. فعلم علي بن عيسى بن الجراح ما دبر له فتحرز في مأكله ومشربه، وحرص كل الحرص من أن ينال منه أحد.[٣] بعد أن أدى ما قيمته ٣٠٠،٠٠٠ دينار من مال المصادرة، ثم وكل به لإبعاده من مكة إلى صنعاء اليمن ليبقى بعيداً -قدر الإمكان- عن بغداد.[٤]

وفي نكبته هذه هجاه بعض الشعراء وهو (أبو ميمون سالم بن عبد الله) بقوله :[٥]

سيرت الشمسة بالنحس فاطلعت سعداً على الأنس

فأبعد الله الذي سيرت في الأرض أقصى مطلع الشمس

مضى ذميما خاسئا حاسرا مصاحباً بالتعس والنكس

لما غدا أهلوه في مأتم أصبحت الأمة في عرس

فلا كلاه الله من ذاهب ولا رعاه الله من جبس

اطلع في أيامه كلها على البرايا كوكب النحس

وضيق الدنيا على أهلها كأنها العالم في حبس

يضيع الأموال من عجبه وينظر الساقط من فلس

---

(١) عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٢٩٣. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ص ١١٠-١١١. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ص ٣٢٤-٣٢٥.

(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، مصدر سابق، ج٤، ص ٧١.

(٣) عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ١١٢. التنوخي، نشوار المحاضرة، مصدر سابق، ج٤، ص ٧١.

Bowen, Ali Ibn Isa, E.I. op. cit., V.I. P.231

(٤) مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٢٢. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١١٣. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٢٣.

(٥) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٣٤.

أهلكــه الله و لا رده فهلكــه أطيــب لـلــنــفــس

ما يؤمن الشر ولا ينقضي حتى يــواري النذل في رمس

وقال بعضهم شامتاً : (١)

أيامكم يا بني الجراح قد جرحت كل القلوب ففيها منكم نار

لا متع الله بالإقبـــال دولتــكم فإن إقبالكم للنـــاس إدبار

بقي علي بن عيسى بن الجراح منفياً في اليمن قرابة العام، حتى احتيج مجــدداً لخبراتــه ومشوراته وذلك سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م. إذ لم يكن من الممكن الاســتغناء عنــه لتفــرده ببعــض الخصائص :"وتقدمه في الكفاية واستقلاله بما يعجز عنه غيره من أعمال الوزارة "(٢). إذ توســط له صديقه القديم مؤنس الخادم لدى الوزير أبي القاسم الخاقاني من أجل إعادته من منفــاه إلــى مكة، فأمر الوزير عامل اليمن بإطلاقه والسماح له بالعودة إلى مكة.(٣) " وحمل إليه طيباً وكســوة وآلات ونحو خمسين ألف دينار"(٤). ثم لم يكتف مؤنس بهذا، بل توسط له لدى المقتدر نفسه مــن أجل إعادته إلى بغداد، وخاصة عندما احتاج الخليفة إلى خدمات علي بن عيسى بــن الجــراح، فأشار مؤنس على المقتدر تقليد علي بن عيسى بن الجــراح الإشــراف علــى أعمــال مصــر والشام.(٥) فأمر المقتدر وزيره الخاقاني بذلك، ففعل وجعل له مرتبــاً ٢٠٠٠ دينــار فــي كــل شهر.(٦)

---

(١) ابن الأبار، أعتاب الكتاب، مصدر سابق، ص ١٨٦.

(٢) الثعالبي، تحفة الوزراء، مصدر سابق، ص ٥٣.

(٣)مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٤٠. الصابئ، الوزراء، مصــدر ســابق، ص ٣٣٥. ابــن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ١٥١.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٤١. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجــع ســابق، ص٣٣.

(٥) عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٢٨٠. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٤١. الصــابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٣٥، ٣٤٦. ابن الأثير، الكامل، مصدر ســابق، ج٨، ص ١٥١. الزهرانــي، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٣٣. Bowen, Ali Ibn Isa, E.I. op. cit., V.I. P.387.

(٦) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٣٥.

باشر علي بن عيسى بن الجراح عمله بالإشراف على مصر والشام سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م فأخذ يتفقد الأحوال بنفسه – كعادته عند تولية المناصب– ففرح أهل مصر والشام بقدومه، وبالمقابل خافه عمالها والمشرفين على إدارتها.[١]

وفي سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م، أقر الوزير أحمد الخصيبي[٢]علي بن عيسى بن الجراح في إشرافه على أعمال مصر وبلاد الشام. فاستمر ابن عيسى يشرف على أعمال مصر مدة ثلاثة أشهر، وبعدها توجه إلى الشام ليشرف على أعمالها وتفقد أحوالها كما فعل بمصر.[٣] ويشير ابن الأثير إلى أن علي بن عيسى بن الجراح اتخذ من مكة مركزاً لإقامته يشرف منها على الأعمال في مصر والشام.[٤]

هـ- وزارته الثانية سنة ٣١٤-٣١٦هـ/ ٩٢٦-٩٢٨م:

ضاقت الأحوال الاقتصادية والإدارية في بغداد بسبب سوء إدارة الوزير أحمد الخصيبي، مما أدى إلى عجزه عن توفير أموال الجند، فعمد المقتدر إلى عزله في ذي القعدة سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م.[٥]

---

[١] المصدر ذاته، ص ٣٤٦. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٣٣.

[٢] الخصيبي : هو أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخصيب، كان أولاً يكتب للسيدة أم المقتدر ولثمل القهرمانة، ثم ولي الوزارة للمقتدر سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م، واستمر يليها سنة وشهرين ثم عزل، ثم ولي الوزارة للقاهر سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٣م، ولم يزل عليها إلى أن خُلع القاهر سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م، توفي بعلة السكتة سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج٧، ص ص ١٦٨-١٦٩. الذهبي، **العبر**، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٨. الزركلي، **الأعلام**، مرجع سابق، ج١، ص ١٦٦.

[٣] الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣٠١-٣١٠هـ، ص ٣٥٧. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٤٠. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٣٤.

[٤] ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٥٩. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٣٤.

[٥] مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٣١. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٤٩. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٣٥. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ص ١٦٣-١٦٤. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣١١-٣٢٠هـ، ص ٣٥٩. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٤٢.

استغل مؤنس الخادم هذه الفرصة أيضاً لصالح علي بن عيسىبن الجراح، إذ أشار على المقتدر بإحضاره وتقليده الوزارة وكان علي بن عيسى بن الجراح في هذه الفترة يتولى الإشراف على أعمال بلاد الشام ، فأنفذ المقتدر سلامة الطولوني إلى دمشق واستحضر علي بن عيسى بن الجراح ليتولى الوزارة.[١] ولما احتاجت المسافة من بغداد إلى دمشق والعودة مدة من الزمن- وحتى لا تبقى الدولة دون وزير يتولى أمورها- فوض المقتدر أمور الوزارة إلى عبيد الله بن محمد الكلوذاني كنائباً عن علي بن عيسى بن الجراح حتى قدومه إلى بغداد.[٢]

وفي صفر سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م، وصل علي بن عيسى بن الجراح إلى بغداد فتوجه من فوره إلى دار الخلافة، فخلع عليه المقتدر الخلع السلطانية، وزاد في إكرامه واحترامه، وأهداه فاخر الثياب والأثاث، ووهبه مبلغ ٢٠،٠٠٠ دينار.[٣] ثم انصرف الوزير إلى داره بباب البستان، وسار معه مؤنس الخادم وجميع قادة الجيش رسماً جرى عند استيزار الوزراء.[٤]

فرحت العامة بخبر تقليد علي بن عيسى بن الجراح الوزارة مما يدل على شعبيته وإدراك الناس لنزعته الإصلاحية التي تهدف إلى النفع العام وتوفير المواد الضرورية للمعيشة، حتى أنهم خرجوا لاستقباله في الرحبة، ومنهم من وصل إلى هيت، وآخرين استقبلوه بالأنبار، فشق عليه ذلك فأنشد يقول :[٥]

---

[١] عريب، **الصلة** مصدر سابق، ص ٣٥١. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق،ج٤، ق١، ص ٢٣١. مسكويه **تجارب الأمم** مصدر سابق، ج١، ص ١٤٩. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٣٥. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٦٤. Bowen, Ali Ibn Isa, E.I. op. cit., V.I. P.397.

[٢] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ١٢٧. ٢٥١. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٤٩. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٣٥. ابن الأثير ، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٦٤. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٢١٧.

[٣] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٢٥٢. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥١. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٣٦. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٢٦٠. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣١١-٣٢٠هـ، ص ٣٦١. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص٢١٧.

[٤] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٢٥٢.مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥١. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٣٦.

[٥] مسكويه **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٠. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص -

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها فكيفما انقلبت يوماً به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيـــا فإن وثبت يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا

ولكن بعض الشعراء هجوه بتحريض من أعدائه وحساده، حيث هجاه أبو ميمون الأنبـــاري بقوله :[١]

قد أقبل الشؤم من الشـــام يركض إلى عسكر إبرام

مستعجلاً يسعى إلى حتفه مدته تقصـــر عن العـــام

يا وزراء الملك لا تفرحوا أيامكم أقصــــر أيـــام

إلا أن شاعراً آخر امتدحه يقول :[٢]

بحسبك أني لا أرى لك عائباً سوى حاسد والحاسدون كثير

وإنك مثل الغيث إما سحابة فمزنٌ وأما مـــاؤه فطهور

بدأ الوزير –مذ تولى الوزارة – بمعالجة الوضع الإداري في الدولة، فعمد إلـــى تعييـــن رؤساء للدواوين وكتاب قديرين سواء من أصحابه أو أقاربه، حتى قدر لخمسة من هؤلاء تولـــي منصب الوزارة فيما بعد.[٣] ثم أخذ الوزير بمعالجة الوضع المالي الذي وصل إلى درجـــة مـــن التردي، إذ بدأ بإصلاحات مالية جوهرية، استهدفت توفير الأموال، وبقي ينظـــر فـــي الأعمـــال بنفسه حتى استتب أمر الإدارة وصلح حالها، كما استطاع إحداث الإصلاح المالي " فوازن بذلـــك

= ٢٦٠. الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣١١-٣٢٠هـ، ص ٤٦١. ابن تغري بـــردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٤٥.

[١] عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ص ١٢٩-١٣٠.

[٢] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، مصدر سابق، ج ١٢، ص ١٥. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مصـــدر سابق، ج٤٣، ص ١٤٥.

[٣] الصابئ، الوزراء، مصدر ســابق، ص ٣٣٩. Bowen, Ali Ibn Isa, E.I. op. cit.,V.I. P.116، الـــدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ص ٢٠٦-٢٠٧. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجـــع ســـابق، ص ١٢٩. الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص ٢١٨.

بين الدخل والخرج"[١].

أما الوزير المعزول الخصيبي فقد سلم -كما جرت العادة مع الوزراء المفصولين- إلى الوزير علي بن عيسى بن الجراح لمناظرته، فوجده لا علم له في إدارة الوزارة ولا الدواوين، إذ كان لا ينظر في الوارد من الكتب، بل أنه وكل أمور وزارته لنوابه، وذلك لانشغاله بالشرب، فلما رأى الوزير حاله هذه تركه، وأمر برده إلى السجن[٢] بعد أن صادره على ٤٠،٠٠٠ دينار.[٣] مما يعني أنه لم يسلم أي وزير من سياسة المصادرة، ويبدو أن الخصيبي قد استغل منصبه في اكتناز الثروات والاستيلاء على الضياع والأملاك، لذلك صادره الوزير علي بن عيسى بن الجراح على مثل هذا المبلغ.

ولما رأى المقتدر جهد الوزير علي بن عيسى بن الجراح للإصلاح الإداري والمالي، زادت ثقته به، فقال :" لقد استحييت من ظلمي له، وأخذي المال منه"[٤]، فعمد إلى إرجاع ما أخذه منه في وزارته الأولى وأثناء إشرافه على وزارة حامد بن العباس، فاشترى بها الوزير ضياعاً وجعلها وقوفاً لأهل مكة والمدينة.[٥]

لم يجد الوزير علي بن عيسى بن الجراح العون الكافي من الخليفة نفسه للاستمرار بتحسين الأوضاع المالية، بل كان الخليفة سبباً في هدر الأموال وإرباك الإصلاحات، إذ عمد إلى توزيع ارزاق إضافية للجند بلغت حوالي ٢٤٠ ألف دينار.[٦] في وقت كانت الدولة أحوج ما

---

[١] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٢. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٦٤ وما بعدها. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٢١٩. يوسف العش، **تاريخ عصر الخلافة العباسية**، راجعه ونقحه محمد أبو الفرج العش، ط١، دار الفكر العربي، دمشق، ١٩٨٢، ص ١٧٧. وسيتم الحديث عن إصلاحات الوزير الإدارية والمالية في فصل لاحق.

[٢] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ١٢٨. ص ١٢٨، ٢٥٢. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٣. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١١٤،١٦٦.

[٣] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٢٥٢.

[٤] المصدر ذاته، ص ١٢٩.

[٥] المصدر ذاته، ص ١٢٩.

[٦] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٨٤. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٤٠. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٨٣. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢٠٧. فاروق عمر،

أما ابن عساكر فيذكر سبب استعفاء الوزير علي بن عيسى بن الجراح أنه " ركب في موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون : من هذا ؟ فقالت امرأة قائمة على الطريق : إلى متى تقولون من هذا من هذا؟ هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه بما ترون، فسمع علي بن عيسى بن الجراح ذلك، فرجع إلى منزله، واستعفى من الوزارة وذهب إلى مكة وجاور بها"(٢). أما ابن الأثير فيضيف أن علي بن عيسى بن الجراح "رأى نصراً الحاجب يقصده وينحرف عنه لميل مؤنس إليه، فإن نصراً كان يخالف مؤنسا في جميع ما يشير به، فلما تبين له ذلك استعفى من الوزارة، واحتج بالشيخوخة، وقلة النهضة(٣)".

ولما نكب الوزير علي بن عيسى بن الجراح في وزارته هذه أنشد قائلا :(٤)

ومن يك عني سائلا لشماتة لما نابني أو شامتاً غير سائل

فقد أبرزت مني الخطوب ابن حرة صبوراً على أهوال تلك الزلازل.

يشير ابن كثير إلى أن سبب استعفاء الوزير أنه " لما رأى ما يفعله هذا القرمطي – أي أبو سعيد الجنابي– في بلاد الإسلام، وليس له دافع، استعفى من الوزارة لضعف الخليفة

الوزير علي بن عيسى بن الجراح لما عزل عن الوزارة الثانية، التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٧٩.

(١) مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٤١. (يذكر أن عزل علي بن عيسى كان سنة ٣١٥ هـ).التنوخي، **الفرج**، مصدر سابق، ج٢، ص٥٢. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٨٥. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٤٢. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٨٤. الحموي، **معجم الأدباء** ، مصدر سابق، ج٤، ص ١٨٨.

Sourdel, **Le Vizirat Abbasside**, op.cit, p. 448.، Bowen, Ali Ibn Isa, **E.I.** op. cit., V.I., P.275.

(٢) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، مصدر سابق، ج٤٣، ص ١٢٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ١٨٣. انظر : الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٤٠.

Bowen, Ali Ibn Isa, **E.I.** op. cit., P.271

(٤) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد** ، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٦. ابن عساكر ، **تاريخ مدينة دمشق**، مصدر سابق، ج٤٣، ص ١٢٥. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٥٨. الحموي، **معجم الأدباء** ، ج٤، ص ١٨٩، وأضاف إليه : إذا مر لم يبطر وليس لنكبة إذا نزلت بالخاشع المتضلل

وجيشه عنه"[١].

ويبدو أن الظروف السياسية والمالية السيئة قد وقفت أمام إصلاحات الوزير إذ لم يكن يستطيع التخلص من القرامطة لعدم توفر الأموال للإنفاق على الجيش، ولعدم مساندة الخليفة نفسه له. بالإضافة إلى التكتلات السياسية بين الطامعين بالوزارة والقادة الأتراك ضد علي بن عيسى بن الجراح وصديقه مؤنس الخادم كل هذا أدى به إلى الاستعفاء.

وفي سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، قامت محاولة انقلابية ثانية ضد المقتدر، إذ عزل عن الخلافة، ونصب أخوه الملقب بـ (القاهر) الذي استمر في الخلافة لمدة يومين فقط، ثم عاد المقتدر إلى عرشه.[٢] وقد كانت هذه المؤامرة مفتاح الفرج لعلي بن عيسى بن الجراح، إذ استغل صديقه مؤنس الخادم هذه الحادثة وأخرجه من السجن وأعاده إلى بيته .[٣]

و-الأعمال والوظائف الإدارية التي تولاها بعد وزارته الثانية :

لما عاد المقتدر إلى الخلافة بعد عزله الثاني سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، قلد ابن مقلة الوزارة، ولما كان المقتدر يعتمد على علي بن عيسى بن الجراح ولا يمكنه الاستغناء عنه فقد جعل إليه أمر الإشراف على الدواوين في وزارة ابن مقلة، وأمره بأن يطلع على كل صغيرة وكبيرة، ويدخل مع الوزير إلى مجلس الخلافة، كما أمر الوزير ابن مقله أن لا ينفرد بالتدبير دون استشارة علي بن عيسى بن الجراح، بل تعدى الأمر ذلك بأن جعل الإشراف والنظر في المظالم

---

[١] ابن كثير ، **البداية والنهاية**، مصدر سابق، ج١١، ص١٦٩. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص٢٢٠.

[٢] مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٤٤ وما بعدها. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٨٩ وما بعدها. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٠٠. أبو إسماعيل علي أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، **المختصر في انباء البشر**، علق عليه ووضع حواشيه محمود يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ج١، ص ٤٠٢. عمر بن الوردي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، **تاريخ ابن الوردي**، (د.م.)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ج١، ص ٢٥٠. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٥١.

[٣] مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٤٥. التنوخي، **الفرج**، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٣. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٩٣. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٠٢. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣١١-٣٢٠هـ، ص ٣٧٦.

من اختصاص علي بن عيسى بن الجراح[١] الذي أصبح الوزير الفعلي ولكن من غير تسمية بوزارة، إذ كان اسم الوزارة لابن مقلة.

في سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م، اتهم المقتدر وزيره ابن مقلة بميله لمؤنس الخادم، لأن المقتدر استوزره وهو كاره له لترشيح القائد مؤنس له لذلك دبر المقتدر هذه التهمة ليتخلص من ابن مقلة [٢]. فاستغل المقتدر فرصة غياب مؤنس عن بغداد –إذ كان مقيماً بالرقة– وقبض على الوزير ابن مقلة، وأحرقت داره،[٣] وأراد أن يستوزر الحسين بن القاسم بن عبيد الله، ولعل المقتدر أراد استيزار شخص يميل إليه ويعمل لمصلحته، ولكن الأمر لم يتم لعودة مؤنس الخادم إلى بغداد، وعلمه بما قرره المقتدر مما أثار حفيظته لأن المقتدر لم يستشيره في الأمر، فعارض استيزار الحسين وأراد إرجاع ابن مقلة [٤]مما زاد الوحشة بين الطرفين.

كانت المكاتبات والمخاطبات بين المقتدر ومؤنس تتم عن طريق علي بن عيسى بن الجراح[٥]، الذي عمل جاهداً لحل هذه الأزمة، فهو لا يريد وقوع فتنة في بغداد، فضلاً عن أنه يقدر كلا من المقتدر خليفته الشرعي ومؤنس صديقه الحميم.

أحس المقتدر أن مؤنس يفرض شروطه على الخليفة، ويتدخل بشكل مباشر في أعماله فقرر عدم إتاحة الفرصة له للقيام بذلك، فعزم على قتل الوزير ابن مقلة، حتى لا يضطر لإرجاعه، ولما كان علي بن عيسى بن الجراح مقرباً جداً من المقتدر، فقد أثناه عن عزمه، وقال له :" وما ذنب وزيرك في شفاعة مؤنس له "[٦].

---

[١] التنوخي، الفرج، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٥. الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ٢٦٨.

[٢] السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ١٣٠. فاروق عمر، الخلافة العباسية (السقوط والانهيار)، ج٢، ص ٥٩. اليوزبكي، الوزارة، مرجع سابق، ص ١٧١.

[٣] مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٥١. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٣. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٣٨.

[٤] مجهول، العيون الحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٥١. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٥٧.

[٥] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٤. اليوزبكي، الوزارة، مرجع سابق، ص ١٧١.

[٦] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٤. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ١٣١.

ولما اشتدت الوحشة بين المقتدر ومؤنس، لجأ الخليفة كعادته إلى علي بن عيسى بن الجراح فعرض عليه أن يتقلد الوزارة. ويبدو أن المقتدر أراد كسب مؤنس لما رأى منه التعنت، بتولية صديقه الوزارة، والذي سيكون موضع ترحيب مؤنس، فلا يحاول إرجاع ابن مقلة إلى الوزارة، غير أن علي بن عيسى بن الجراح أدرك هذه اللعبة السياسية من جانب المقتدر فرفض الوزارة، إلا أن المقتدر لم يتخل عنه، بل استشاره في الوزير الجديد، فأشار عليه برد ابن مقلة.[١] وفي هذا ميل واضح من علي بن عيسى بن الجراح إلى صديقه مؤنس الذي كان له الفضل في السعي له بالوزارة أو في تخليصه من النكبات التي ألمّت به، ويؤيد مسكويه ذلك بقوله :"فأشار برد ابي علي بن مقلة موافقة لمؤنس" [٢].

لم يوافق المقتدر على استرجاع ابن مقلة للوزارة لأنه أدرك الهدف من ورائه من تعاضد السلطة المدنية والسلطة العسكرية مما يشكل خطراً على سلطة الخليفة. ولعل المقتدر أراد استرجاع بعض صلاحياته في عزل وتولية الوزراء، فطلب من علي بن عيسى بن الجراح أن يشير عليه بشخص آخر غير ابن مقلة. وحتى يضمن علي بن عيسى بن الجراح عدم معارضة الطرفين لمن سيرشحه فقد أشار بترشيح شخصين من أقاربه هما ابن عمه سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح، وأخيه عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح، فاستطاع بذلك تقريب وجهات النظر بين المقتدر ومؤنس. إذ اختار المقتدر سليمان بن الحسن بن الجراح وقلده الوزارة مشترطاً أن يتولى علي بن عيسى بن الجراح الإشراف على الدواوين وأن لا ينفرد الوزير سليمان بأمر دون استشارة علي بن عيسى بن الجراح أو موافقته، كما رد النظر في المظالم إليه.[٣] وبذلك ضعف أثر الوزير في توجيه الإدارة لأن الخليفة كان كاره له لأنه أجبر على استيزاره.

---

(١) السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

(٢) مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٥. السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ١٣١. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٣٨. اليوزبكي، **الوزارة**، مرجع سابق، ص ١٧١.

(٣) مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٥. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٢٦٨. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٢٩١. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢١٨. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣١١-٣٢٠هـ، ص ٣٨٨. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٥٨.

ولما حاول علي بن عيسى بن الجراح والوزير سليمان بن الحسين بن مخلد بن الجراح التوسط لحل الخلاف القائم بين المقتدر ومؤنس، قبض عليهما أنصار مؤنس وسجنوهما، ولم يسمحا لهما بمقابلة مؤنس، حتى يجبروا المقتدر الانصياع لطلباتهم من إبعاد ياقوت وابنه عن بغداد، فاضطر المقتدر لتنفيذ ذلك، وأخرج ياقوت وابنه من بغداد، فأطلق سراح علي بن عيسى بن الجراح والوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح.[١]

استمر علي بن عيسى بن الجراح يشرف على الدواوين، والنظر في المظالم في وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح حتى سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م، عندما قام المقتدر بالقبض عليهما بسبب الضائقة المالية، وعجز الوزير عن تلافي تفاقمها، فنفى علي بن عيسى بن الجراح إلى الصافية.[٢]

ولما تولى الكلوذاني الوزارة بعد عزل سليمان بن الحسن سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م أمر علي بن عيسى بن الجراح أن يكون مستمراً ومشرفاً على أمور الدواوين والنظر في المظالم.[٣]

تولى القاهر الخلافة في سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م، بعد مقتل المقتدر، فأشار عليه مؤنس المظفر أن يستوزر علي بن عيسى بن الجراح، وهنا ظهرت شخصية جديدة كانت تعارض الإصلاح بشكل عام، وتعارض استيزار علي بن عيسى بن الجراح بشكل خاص وهي شخصية القائد التركي يلبق الذي قال :" على الحال الحاضرة لا يقتضي ذلك، لأنها تحتاج إلى سمح الكف، واسع الأخلاق"[٤]، ورشح استيزار ابن مقلة.

ثم استدعى مؤنس المظفر صديقه علي بن عيسى بن الجراح من الصافية[٥]، وقرّبه من

---

(١) مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٥٢، مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢١٠-٢١١.

(٢) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٢٧٩. (وفي ص ١٦١ يذكر أن علي بن عيسى أخرج إلى دير قنا)، التنوخي ، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٤٩. (يذكر أنه نفي إلى دير قنى) . السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ١٣٢. Bowen, Ali Ibn Isa, **E.I.** op. cit., P.387.

(٣) مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢١٢. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٢٣١.

(٤) الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٢٧٨.

(٥) الصافية: بليدة كانت تقع قرب دير قنى قرب النهروان، كانت تشرف على دجلة، خرج منها جماعة من الكتاب الأعيان وأصحاب الدواوين الجليلة، وقد خربت مع خراب النهروان، الحموي، **معجم البلدان**، مصدر

القاهر "وأوصله إليه، فخاطبه بكل جميل"[١]. فحسن موقفه منه.

وفي سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٣م اراد الوزير ابن مقلة علي بن عيسى بن الجراح للإشراف على أعمال مصر بعد موت تكين الخاصة – القائم على أعمالها– لمعرفته بقدرته على إدارتها لأنه كان تولاها من قبل. إلا أن ابن عيسى استعفى من قبولها محتجاً بكبر سنه، فأعفي منها.[٢] ثم عمد القاهر إلى تقليده أعمال واسط وسقي الفرات، فقام بعمارتها، ولكن مقامه لم يطل بها إذ ولاها القاهر بالضمان للبريدي على مبلغ ١٣ ألف درهم.[٣]

تولى الراضي بالله الخلافة بعد خلع القاهر في سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م، فعمد من فوره إلى إحضار علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن واعتمد على رأيهما أي جعلهما مستشاريه ، ومن جملة ما أشار به علي بن عيسى بن الجراح على الراضي أن يعقد الخليفة لواء لنفسه – جريا على عادة الخلفاء وأن يتسلم خاتم الخلافة[٤] من الخليفة المخلوع القاهر.[٥] وبعدها أوكل إليهما مهمة الإشراف على أمور دولته من غير تسمية بالوزارة.[٦] وأصبح أمر تولية أكثر من شخص في الوزارة –وزير له اسم الوزارة وآخر له الإشراف على الدواوين– منذ عصر المقتدر بالله ومن جاء بعده من الخلفاء أمراً طبيعياً لحاجة الدولة الملحة لذلك.

حضر علي بن عيسى بن الجراح إلى مجلس الخلافة وبدأ بأخذ البيعة من القضاة والقواد وكتاب الدواوين والغلمان للراضي، ثم عرض عليه الوزارة، فاستعفى منها محتجاً بقوله "إني لا

= سابق، ج٣، ص ٢٨٩. Bowen, Ali Ibn Isa, E.I. op. cit., P.787.

(١) الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ص ٢٧٨. Bowen, Ali Ibn Isa, E.I. op. cit., P387.

(٢) عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٢٧٩.

(٣) الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ص ٢٨٧–٢٨٨، ٢٩٢. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ١٣٥.

(٤) وهو خاتم فضة وفصة من حديد صيني، وعليه كتابة ثلاثة أسطر (محمد رسول الله) انظر : الهمداني، التكملة مصدر سابق، ص ٢٩٠. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٤٣٨.

(٥) الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ٢٩٠، الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣٢١–٣٣٠هـ، ص ١٦. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٣٨.

(٦) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، مصدر سابق، ص ٤.

أفي بالأمر"[١]. ولكنه لم يبخل بإبداء المشورة والنصح للخليفة، إذ أشار باستيزار ابن مقلة الذي كان مستتراً، فاستوزره الراضي، وطلب من علي بن عيسى بن الجراح أن يعاونه ويشرف معه على أمور الوزارة[٢]، وبذلك اصبح للوزير شريك في اختصاصاته ونائب يخلفه في أعماله.

ويذكر ابن العبري أنه " لما قبضوا على القاهر، أخرجوا الراضي بالله سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م وبايعه القواد والناس، وأرادوا علي بن عيسى بن الجراح على الوزارة، فقال الراضي إن الوقت لا يحتمل أخلاق علي، وابن مقلة أليق بالوقت، فأحضره واستوزره".[٣]

لم يحفظ الوزير ابن مقلة لعلي بن عيسى بن الجراح صنيعه، إذ اتهمه بمكاتبة سعيد بن حمدان الذي شق عصى الطاعة عن الخلافة، بشروعه بضمان الموصل وديار ربيعة سراً. مما أدى إلى قتله على يد ابن أخيه الحسن بن عبد الله متوليها من قبل الخليفة، لذلك فقد صادره على مبلغ ٥٠،٠٠٠ دينار ونفاه إلى الصافية.

وفي سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م، قبض الغلمان الحجرية[٤] على الوزير ابن مقلة لسوء إدارته، وأشاروا على الراضي أن يستوزر علي بن عيسى بن الجراح، الذي امتنع لكبر سنه، وضعفه، ولكن الخليفة عاد لاستشارته مجدداً في الشخص المناسب للوزارة، فأشار بأخيه عبد الرحمن، فاستوزره الراضي،[٥] على أن يتولى علي بن عيسى بن الجراح الإشراف على

---

(١) الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٢٩٠.

(٢) مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٧٩. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٢٩٠. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٣٣٦. ابن العمراني، **الأنباء**، مصدر سابق، ص ١٦٣.

(٣) ابن العبري، **مختصر الدول**، مصدر سابق، ص ١٦٢.

(٤) الغلمان الحجرية: فرقة من الحرس الخاص، يعود تاريخ ظهورها إلى أيام الخليفة المعتضد إذ استخدمهم لخدمته في القصر، كانوا يوضعون في حجرات خاصة فسموا بالحجرية، قوي أمرهم وبدأوا يتدخلون في أمور الدولة، وبدأوا بالأفول في فترة إمرة الأمراء. خالد الجنابي، **تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني** (٢١٨-٣٣٤هـ/ ٨٣٣-٩٤٥م)، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٢ وما بعدها.

(٥) مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٨٨. الصولي، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ٤. المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٢٣. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ص ٣٠٤-٣٠٥. السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، ص ١٣٨. Bowen, Ali Ibn Isa, E.I. op. cit., P.387.

الدواوين وجباية الأموال[١]، وبذلك يكون علي بن عيسى بن الجراح هو الوزير الفعلي ولكن من غير أن يتسمى بلقب وزير.[٢]

ولما عجز الوزير عبد الرحمن بن عيسى الجراح من النهوض بأعباء الوزارة بسبب الظروف المالية السيئة، قبض عليه الراضي، كما قبض على أخيه علي بن عيسى بن الجراح، وصادره على مبلغ ١٠٠ ألف دينار أدى منها ٩٠ ألف دينار.[٣]

سئل الراضي بالله عن سبب قبضه على علي بن عيسى بن الجراح ومصادرته على مثل هذا المبلغ وهو ليس الوزير، فأجاب: وهل دبر عبد الرحمن إلا برأيه، وأمضى شيئاً أو وقفه إلا عن أمره أو أمري إياه، بألا يحل ولا يعقد إلا بموافقته؟ " واستطرد يذكر عيوب ابن عيسى بقوله: ما خاطبني قط إلا قال : (واك) فهل يتلقى الخلفاء بمثل ذاك؟"[٤].

وفي سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠ م كان علي بن عيسى بن الجراح أحد المستشارين في أمر ولاية العهد واختيار الخليفة الجديد بعد وفاة الراضي الذي مات ولم يعهد لأحد من بعده بولاية العهد. فأمر أمير الأمراء بجكم كاتبه أبا عبد الله الكوفي أن يجتمع مع وزير الراضي وكل من تقلد الوزارة وبالطبع كان علي بن عيسى بن الجراح من ضمنهم، بالإضافة إلى رؤساء الكتاب والقضاة والفقهاء والهاشميين ووجوه البلد، ليختاروا خليفة جديد، فوقع اختيارهم على (المتقي)[٥]، وفي أثناء إمارة بجكم تقلد علي بن عيسى بن الجراح النظر في المظالم إذ " نظر في خصومات بين عوام ، ورد ما يتعلق بعامل وصاحب ديوان وجند إلى أبي عبد الله الكوفي

[١] الصولي، أخبار الراضي والمتقي، مصدر سابق، ص ٤، المقريزي، المقفى، مصدر سابق، ج٤، ص ٤٦. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ١٣٨.

[٢] الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ٣٠٥.

[٣] الصولي، أخبار الراضي والمتقي، مصدر سابق، ص ٨٤. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٣٣٨. الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ٣٠٦. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ١٣٨.

[٤] الصولي، أخبار الراضي والمتقي، مصدر سابق، ص ٨٤. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٣٣٨. الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ٣٠٦. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ١٣٨.

[٥] مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٣٥١. ابن العمراني، الأنباء، مصدر سابق، ص١٦٨، ابن الوردي، تاريخ، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢٦٣-٢٦٤. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ١٤٢.

بين عوام ، ورد ما يتعلق بعامل وصاحب ديوان وجند إلى أبي عبد الله الكوفي وبـــالحكم إلـــى الحكام"[١].

عزل المتقي وزيره سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح بعد مدة يسيره، وأمر بإحضـــار علي بن عيسى بن الجراح وعرض عليه الوزارة، فاستعفى منها، كما نهى أخاه عبد الرحمن مـن تقلدها حتى لا يعرضه للسجن والمصادرة، عندها عمد المتقي إلى رد أمر الإشراف على شـؤون الدولة للأخوين معا. بحيث يكون عبد الرحمن كاتبه، ويتولى علي بـــن عيســى بـن الجـــراح الإشراف على الدواوين ولكن دون تسمية بوزارة [٢]، واستمر يشرف على أحوال وأمور دولـــة المتقي لمدة تسعة أيام فقط، إذ عمد المتقي إلى عزله والتخلي عن مهامة، وذلك على إثـر عــدم تمكنه من توفير الأموال اللازمة للإنفاق على الجند، فضمنها القراريطي الذي تولى بعدهـا وزارة المتقي لله".[٣]

أما آخر عهد علي بن عيسى بن الجراح فكان سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م، إذ استشاره معز الدولة البويهي بعد دخوله بغداد، فلما لقيه زاد في إجلاله واحترامه وإكرامه، وقال له : "كنا نسمع بــك، فيعظم عندنا أمرك، ويكثر في نفوسنا ذكرك،... والدنيا خراب، والأمور علـــى مـــا تـــراه مــن الانتشار، فأشر علي بما عندك في إصلاح ذلك، فقال علي بن عيسى بن الجراح: هذه النية منــك أيها الأمير داعية إلى الخير، ومستهلة إلى النجح، وطريق العمارة، ودرور المادة واستقامة أمـــر الجند والرعية والعدل ، والذي أهلك الدنيا، وأذهب الأموال، وأخرج الممالك من يـــد الســلطان خلافه، وإنما يتأتى الصلاح ، ويطرد الإغراض – أي الامتلاء- بالولاة الموفقيـــن والأعــوان المناصحين". ثم قرأ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " إذ أراد الله بوالٍ خير قيض له وزيـــر

---

(١) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٤٣. انظر : الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، حوادث ووفيـات ٣٢٠-٣٣٠ هـ، ص ٦١.

(٢) الصولي، أخبار الراضي والمتقي، مصدر سابق، ص ٢٠٣. عريب، الصلـــة، مصــدر ســابق، ص ٣٣٩. مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق٢، ص ٣٥٩. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج٢، ص١٨. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٤٢. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع ســـابق، ص ١٤٤.

(٣) عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٣٣٩. مسكويه، تجارب الأمم، مصـــدر ســابق، ج٢، ص ص ١٨-١٩. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ١٤٥.

صدق، وإن غفل أنكره، وإن رفل- أي خرق- أيقظه". ثم استطرد بقوله :" ومن أولى ما نظـر فيه الأمير وقدمه سد هذه البثوق، هي أصل الفساد وخراب السواد، فقال معز الدولة: وقد نـذرت لله عند حضوري في هذه الحضرة ألا اقدم شيئاً على ذلك. ولو أنفقت فيه جميع ما أملك"[١].

وكان علي بن عيسى بن الجراح يحظى باحترام وتقدير الخاصة والعامة حياً كان أم ميتـاً، إذ يذكر الحموي أنه لما " كان الديلم عند دخولهم إلى بغداد إذا اجتازوا محلته تجنبوها ويقولون : ها هنا دار الوزير الصالح".[٢]

٤- وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح:

تولى سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح الوزارة العباسية ثلاث دفعات لثلاثة خلفـاء، ويذكر ابن الطقطقي أنه "لم يكن له سيرة تؤثر وتروى، ولم يكن من ذوي اللب، وإنما نال ما نـال -أي الوزارة- بالجد والبخت" [٣]، كانت أولاها للخليفة المقتدر بالله سـنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م، فـي أعقاب عودته للخلافة من الخلع الثاني سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، والثانية للخليفة الراضي بـالله سـنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م، وعلى أثرها استحدث منصب أمير الأمراء.ثم استعاد وزارته للراضي مرة ثانيـة سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٠م، وأما وزارته الثالثة فكانت للخليفة المتقي لله سنة ٣٢٩هـ/ ٩٣١م، حيث انـه لم يتولها بالتعيين بل أقر على وزارته من خلافة الراضي بالله.

أ- وزارته للخليفة المقتدر بالله سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م.

شكل عصر المقتدر بالله ٢٩٥- ٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م نهاية البداية في انهيار أسس الخلافة العباسية[٤]، حيث كانت هناك مجموعة من الظروف المتعددة التي كان لها أكبر الأثر في تصديـع الكيان السياسي لدولة الخلافة، ومن جملة هذه الظروف، ضعف الخليفة المقتدر نفسه، إذ تولـى

---

(١) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ص ٣٩٤-٣٩٥. انظر : الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجـع سابق، ص ٣٩.

(٢) الحموي، معجم الأدباء ، مصدر سابق، ج٤، ص ١٨٩.

(٣) ابن الطقطقي، الفخري، مصدر سابق، ص ٢٧٣.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٣٧. ابن الأثير، الكامل، مصدر سـابق، ج٨، ص ٢٤٣. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ١٩٣.

الخلافة صغير السن، مما أوقعه تحت تأثير الحرم، وخاصة أمه وقهرمانتها.[١] ثم إنصرافه إلى حياة الترف والملذات دون أن يعير السياسة أو الإدارة أي اهتمام[٢]، لذلك فقد كان رؤساء الكتاب وقادة الجيش الأتراك هم الذي يدبرون أمور الدولة في عصر المقتدر، مما حدا (بالقادة العسكريين) للتدخل من جديد في السياسة والإدارة على حد سواء.[٣] وأخيرا فقد كان لتزايد فعاليات حركة القرامطة أثر في تصديع أسس الخلافة، وخاصة بعد أن نهب القرامطة[٤] الحجر الأسود سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م.[٥]

اشتدت الوحشة بين المقتدر والقائد التركي مؤنس المظفر إلى أن وصلت العلاقات بينهما إلى درجة من التوتر.[٦] بحيث لم تجد الحلول السلمية نفعا. فقد كان مؤنس هو المدبر لعملية خلع المقتدر من الخلافة في المرة الثانية، يسانده بذلك الجيش، وسببه وصول خبر أن المقتدر عازم على تولية هارون بن غريب الخال قيادة الجيش. ذلك المنصب الذي كان مؤنس يشغله.[٧] حيث

---

[١] القضاعي، **عيون المعارف**، مصدر سابق، ص ٢٣٦. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٤٣.ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ١٨٢. السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، مصدر سابق، ص ٤٥٣. ستر شتين، جعفر المقتدر، **دائرة المعارف الإسلامية**، ج٢، ص ١٢١.

[٢] الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مصدر سابق، ج٧، ص ٢٢٦. السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، مصدر سابق، ص ٤٥٣. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ١٩٣.

[٣] القضاعي، **عيون المعارف**، مصدر سابق، ص ٢٣٦. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢١٦. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ١٩٤.

[٤] القرامطة : قرمط لقب أطلق على حمدان بن الأشعث زعيم قرامطة جنوبي العراق، ومعناها أحمر العينين، وهي واحدة من فرق " الباطنية الغالية " التي انشقت عن الحركة الإسماعيلية، حاولت إيجاد عقيدة جديدة لها توفق بين الإسلام والعقائد القديمة، انظر : الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ١٥٦ وما بعدها. فاروق عمر، **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**، مرجع سابق، ص ٣١٢.

[٥] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠١. القضاعي، **عيون المعارف**، مصدر سابق، ص ٢٣٨. السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، مصدر سابق، ص ٤٥٣.

[٦] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص١٣٧. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٥١. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٨٨ وما بعدها. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٨٨. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٢٢٧.

[٧] السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، مصدر سابق، ص ٦١٠.

بايعوا أخاه الذي تلقب بالقاهر بالله سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، ولكن الأمر لم يطل إذ تمكن المقتدر من العودة إلى كرسي الخلافة بعد ثلاثة أيام من عزله.(١)

وفي سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م عمد المقتدر إلى عزل وزيره ابن مقله عن الوزارة، لاتهامه بميله إلى القائد التركي مؤنس.(٢) وقرر قتله لذلك قرر المقتدر أن يستبدله بوزير يعتمد عليه ويخدم مصالحه، ويكون مواليا له. وفي هذا ضربة موجهة لمؤنس، حيث استغل المقتدر فرصة خروج مؤنس عن بغداد، فدعا الحسين بن القاسم إلى دار الخلافة لتقليده الوزارة، ولما عاد مؤنس إلى بغداد غضب على المقتدر وازدادت الوحشة بينهما لانفراد المقتدر بالتدبير دون استشارته.(٣) غير أن توسط علي بن عيسى بن الجراح حال دون تنفيذ المقتدر قتل ابن مقلة، عندها أرسل مؤنس للمقتدر يطلب منه أن يستوزر من يشاء ويستثني الحسين بن القاسم.(٤)

رأى المقتدر أن يستوزر سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح، ولم يكن اختياره له عبثاً، فإلى جانب كونه من الكتاب القديرين فهو خال الحسين بن القاسم الذي عارض مؤنس استيزاره، كذلك أن سليمان بن الحسن كان شديد العداء لابن مقلة الوزير المعزول، فعمد المقتدر إلى استيزاره في جمادى الأولى سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م.(٥) ولم تتم مراسيم الاستيزار له، ولم يتم خلع

---

(١) مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٤٤ وما بعدها. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٩٣. القضاعي، **عيون المعارف**، مصدر سابق، ص ٢٣٧. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، مصدر سابق، ج٧، ص ٢٢٣. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٠٠.

(٢) مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٥١. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٣. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢١٨. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٥٧.

(٣) مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٥١. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٤. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢١٨. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣١٠-٣٣٠هـ، ص ٣٨٧. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٢٢٧.

(٤) مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٥١. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٢ وما بعدها. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢١٨.

(٥) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ١٤٧. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٥. القضاعي، **عيون المعارف**، مصدر سابق، ص ٢٣٩. السامرائي، **المؤسسات**، مرجع سابق، ص ١٣١.

. Sourdel, Ibn Makhlad, E.I., op cit., VIII, P.859.

الخلع السلطانية عليه إلا في اليوم الثاني من استيزاره.[١]

لم تكن وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح هذه كاملة، بمعنى أنه لم يكن يرأس الإشراف على الدواوين كعادة الوزراء، ولكنه خلع عليه اسم الوزارة فقط، حتى تنتهي اللعبة السياسية بين الخليفة والجيش، فقد كانت رئاسة الدواوين والإشراف عليها قد منحت لعلي بن عيسى بن الجراح كما اشترط على الوزير سليمان أن لا يتخذ أي قرار دون استشارة أو موافقة علي بن عيسى بن الجراح.[٢] وبهذا تكون وزارته مجرد صورة للوزارة الفعلية التي يكون فيها الوزير صاحب القرار ومفوض من الخليفة بإدارة وزارته واتخاذ القرارات دون الرجوع أو استشارة أحد سوى الخليفة في بعض الأحيان.

سُلم الوزير المعزول ابن مقله إلى الوزير سليمان بن الحسن بن الجراح، الذي لم يلجأ إلى اتباع الأساليب الوحشية المتبعة بحق الوزراء المعزولين من سجن وتعذيب ومصادرة، إلا أنه عمد إلى توبيخه فقط بسبب إثارته الفتن بين الخليفة وقادة الجيش الأتراك وخاصة مؤنس، أما علي بن عيسى بن الجراح فقد أغرم ابن مقلة الأموال تنفيذا لرغبة المقتدر، حيث صادره على مبلغ قدر بمائتي ألف دينار، وكان لتوسط القائد مؤنس أثر في إنقاص هذه الغرامة.[٣]

كانت علاقة الوزير سليمان بن الحسن بن الجراح مع الأتراك وخاصة القائد مؤنس، علاقة حسنة، غير أن هذه العلاقة الحسنة لم تكن لشخص الوزير فحسب، ولكنها كانت تقديراً واحتراما للوزير القدير علي بن عيسى بن الجراح بالدرجة الأولى، الذي يرتبط مع الوزير سليمان برابطة الدم، كذلك كان للعبة السياسية التي يلعبها قادة الجيش للتدخل في شؤون السياسة والإدارة دور في تحسين علاقة قادة الجيش مع الوزراء، بشكل عام. فقد ظهرت التكتلات السياسية بين القادة، إذ كان القائد محمد بن ياقوت – وهو من أنصار المقتدر – يميل إلى

---

[١] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٥.

[٢] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٥. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٢٩١. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢١٨. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ٣١٠-٣٢٠هـ، ص ٣٨٨. ــــ، **سير**، مصدر سابق، ج١٥، ص ٣٢٧. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٥٨. اليوزبكي، **الوزارة**، مرجع سابق، ص ١٧١.

[٣] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢٠٨-٢٠٩. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص٢١٨.

استيزار الحسين بن القاسم. ولعل ذلك راجع إلى المصالح الشخصية ودرجة تحقيقها، وحتى تتوازن صورة هذه التكتلات فقد مال القائد مؤنس المظفر وأتباعه إلى الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح.(١)

رجحت كفة محمد بن ياقوت، وخاصة بعد ان قلده المقتدر أعمال الشرطة والحسبة، حيث كثر أتباعه وقويت شوكته، مما زاد في الوحشة بين الخليفة ومؤنس لأنه وجد في ذلك تحد جديد لا يحتمل، لذلك أرسل إلى المقتدر يتهدده ويتوعده ما لم يعزل ابن ياقوت عن النظر في أعمال الحسبة، وطلب منه تقليد ابن بطحاء بدلاً منه، مما حدا بالمقتدر إلى الرضوخ للأمر، فعزل ابن ياقوت وقلد ابن بطحاء أعمال الحسبة.(٢)

نجح الوزير سليمان بن الحسن بن الجراح، وابن عمه علي بن عيسى بن الجراح في التوسط بين المتنازعين لحل الخلاف القائم بينهم، فعرضوا على مؤنس الرجوع إلى بغداد، بعد أن عسكر في الشماسية. وبالمقابل ترك ياقوت بغداد مع ابنيه متوجهاً إلى المدائن، إذ أدرك أن لا جدوى من الحل السلمي، والتفاهم مع مؤنس.(٣)

ساءت الأحوال الإدارية في الدولة نتيجة تولي الوزارة وزراء ضعاف ليس لديهم الخبرة والكفاءة والصلاح، إذ لم يكن لهم معرفة ودراية في أمور الدواوين أو الإدارة أو الوزارة ولكنهم تولوها لأنهم ضمنوا للخليفة توفير الأموال التي يحتاج إليها، بالإضافة إلى توفير أرزاق الجيش.(٤)

كما ظهر في عصر المقتدر ظاهرة جديدة اتسمت بها فترة وزارة الخاقاني وهي ظاهرة التزام الوظائف، بمعنى أن الوظيفة كانت تعطى لمن يدفع مالاً أكثر مقابل حصوله على الوظيفة،

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٩.

(٢) المصدر ذاته. ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٢٤. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢١٤. Bowen, Ali Ibn Isa, op. cit., P. 296.

(٣) مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٥٢. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢١٠-٢١١. Bowen, Ali Ibn Isa, op. cit, P.298.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢١٦. ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٢٥. خليل السامرائي، تاريخ الدولة العربية الإسلامية، ص ١٢٤.

وقد تعطى الوظيفة الواحدة لأكثر من شخص في آن واحد.[١] فلم يعد ينظر إلى الكفاءة والمقدرة في تولية الوظائف الإدارية، خاصة وأن تولية العمال والوظائف الإدارية الأخرى في الدولة كانت من صلاحيات الوزير.[٢] الذي كان يولي من يشاء ويعزل من يشاء، إما من أقاربه أو مقابل المال. وقد صدق فيهم قول الشاعر: [٣]

وزير ما يفيق من الرقاعة ... يولي ثم يعزل بعد ساعة

إذا أهل الرشى صاروا إليه ... فاحظى القوم أوفرهم بضاعة

وليس بمنكر ذا العقل منه ... لأن الشيخ أفلت من مجاعة

عجز الوزير سليمان بن الحسن بن الجراح عن النهوض في أعباء الوزارة، بسبب الضائقة المالية التي تعاني منها خزينة الدولة، بالإضافة إلى كثرة التمردات والاضطرابات التي تقوم بها فرق الجيش المختلفة.[٤] فضلاً عن التكتلات السياسية بين القادة الأتراك والخليفة، وأخيراً اشتداد طلب منصب الوزارة من قبل مرشحين لها سواء مقابل دفع الرشى أو بالضمان أو حتى بالسعاية والوشاية ضد الوزير القائم لدى أصحاب النفوذ.[٥]

ولما كان المقتدر قد اشتهر في عزل وتولية الوزراء[٦]، فقد ولي اثنا عشر وزيراً في مدة خلافته.[٧] إذ استغل المقتدر فترة تأزم الأمور وازدياد حرج الظروف على الوزير بسبب

---

[١] مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ص ١٢٨-١٥١. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٣. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٦٤. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٢٤٧، ٥٥١.

[٢] الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ١٩١.

[٣] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٤٨. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٦٤.

[٤] ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٢٥. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢١١. Bowen, **Ali Ibn Isa**, op. cit, P. 295 ، الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

[٥] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٩ وما بعدها. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص٢٢٥.

[٦] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢١١. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٢٥.

[٧] ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٤٣. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ١٩٤.

الاضطرابات التي يقوم بها الجيش والتي أصبحت عادة مألوفة لديه. فقد ثارت فرقة الفرسان – بعد أن أحست بأهميتها بقضائها على فرقة المصافية[١]– فهجموا على دار الوزير ودخلوا اسطبلاته وأخذوا دوابه ثم هربوا بعد وصول النجدة، إلا أن تمردهم وصل ذروته سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م. حيث وصلوا إلى القصر مطالبين بعزل ياقوت وابنه عن وظائفهما. فخرج لهم المقتدر ووعدهم بإجابة طلباتهم، ويبدو أن المقتدر أراد تهدئة الخواطر فقط. إذ ثار الفرسان مجدداً بعد يومين، وقد اشترك العامة معهم هذه المرة، ففتحوا السجون وأخرجوا من بها، واستمرت هذه الاضطرابات مدة عشرة أيام. حتى اضطر ابن ياقوت – صاحب الشرطة– إلى قمعها بقوة، فعادت الأمور إلى ما كانت عليه.[٢]

ضاقت الظروف على الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح بسبب قلة الأموال المتوفرة، إذ كانت المصروفات أكبر من الواردات، كما كان لمطالبة الجند المستمرة لأرزاقهم أكبر الأثر في تعقيد الظروف.[٣] كذلك أصبحت الوظائف الإدارية تباع وتشترى.[٤]فضلاً عن ظاهرة الالتزام في الوظائف وخاصة الوزارة، لذلك عمد المقتدر إلى القبض على وزيره سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح، وبعد سنة وشهرين في الوزارة، وأمره أن يترك مجلس الوزارة والانتقال إلى داره، وذلك في رجب سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م.[٥]

---

[١] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٢. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ص ٢١٦–٢١٧. Bowen, Ali Ibn Isa, op. cit, P. 295.

[٢] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٣. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ص ٢١٦–٢١٧. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ص ٢١٣–٢١٤. Bowen, Ali Ibn Isa, op. cit, P. 297.

[٣] الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٢٢٩. السامرائي، **تاريخ الدولة العربية**، مرجع سابق، ص ١٢.

[٤] الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢٢٠.

[٥] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢١٢. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٢٩٩. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٢٥. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث سنة ٣١٠–٣٢٠هـ، ص ٣٨٩. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٥٩. السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ١٣٢.

ويذكر الهمداني أن المقتدر قبض على وزيره سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م.[١] ويشير عريب إلى أن من أسباب القبض على سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح وعزله عن منصب الوزارة ظهور الكلام السخيف والأمثال المضحكة في مجلس الخليفة، مما أدى إلى سقوط هيبته عند الخاصة والعامة على حد سواء، لدرجة أن هجاه الشعراء في شعرهم، فقد قال ابن ياقوت:

يا سليمان غنني   ومن الراح فاسقني.

ولابن دريد فيه :

سليمان الوزير يزيد نقصا   فأحر بأن يعود بغير شخص

أعمم مضره من أبي خلاط   واعيا من أبي الفرج بن حفص[٢]

وقد تعرض الوزير سليمان بن الحسن لسياسة المصادرة التي باتت أمراً متبعاً لا مفر منه إذ صادره الوزير الجديد الكلوذاني على مائتي ألف دينار.[٣]

ب- وزارته للخليفة الراضي بالله :

تولى سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح الوزارة للخليفة الراضي بالله على دفعتين:

- وزارته الاولى سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م.

قلد الراضي بالله أبا جعفر الكرخي الوزارة سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م بعد عزل عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح، على إثر الضائقة المالية، متأملاً تحسين الأحوال المالية للخزينة، إلا أن الكرخي عجز عن النهوض بأعباء الوزارة[٤]، بسبب الظروف السيئة المحيطة به، بالإضافة إلى أنه "كان فيه إبطاء في الكتابة والقراءة "[٥]. فاستتر عن الأعين، حتى لا يطمع به الطامعون في

---

(١) الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٢٦٩.

(٢) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ١٣٨. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

(٣) الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

(٤) الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٣١٠. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣٢١-٣٣٠هـ، ص ٣٩. ابن الوردي، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٥٩.

(٥) الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٣١٠.

الحصول على الأموال منه.[١] عندها لجأ الخليفة الراضي إلى استيزار أبي القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح.[٢] الذي كانت لديه الخبرة في أمور الوزارة، فضلاً عن كونه من الكتاب المشهود لهم بالكفاءة.[٣]

لم يكن حال الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح أسعد حظاً من حال الكرخي، إذ عجز هو الآخر عن النهوض بأعباء الوزارة، لا لضعف فيه، ولكن نتيجة الأحوال التي كانت تمر بها الدولة من قلة الأموال وفراغ الخزينة، وقطع إيرادات الأقاليم والولايات عن بغداد، بالإضافة إلى مطالب الجند المستمرة للأرزاق،[٤] لدرجة أنه لم يستطع إحداث موازنة بين الواردات المتوفرة لديه وبين المصروفات.[٥] ويصف الذهبي حال سليمان أنه "كان في العجز بحال الكرخي وزيادة"[٦].

ثم لم يتمكن الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح من كف يد الجيش وقادته من التدخل في أمور الخلافة التي طالما حاول الراضي جاهداً وعبثاً أن يصلح أحوالها بعد أن فقدت هيبتها في خلافة المقتدر بالله، لذلك الجأت الضرورة الخليفة الراضي بالله إلى استدعاء ابن الرائق – عامله على واسط – إلى بغداد، وتقليده إمرة الأمراء سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م، للتخلص من

---

[١] ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٢٢.

[٢] الصولي، **أخبار الراضي والمتقي لله** مصدر سابق، ص ٨٥. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٥٠. المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٢٣. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٣٥١. Sourdel, Ibn Makhlad, E.I., op. cit, VIII P. 859. ، السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ١٣٩.

[٣] الذهبي، سير، مصدر سابق، ج١٥، ص ٣٢٧.

[٤] ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٢٢. السامرائي، **المؤسسات**، مرجع سابق، ص ١٣٩.

[٥] الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣٢١-٣٣٠هـ، ص ٣٩. خليل السامرائي، **تاريخ الدولة العربية**، مرجع سابق، ص ١٣٠.

[٦] الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ٣٢١-٣٣٠هـ، ص ٣٩. انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٩٥.

المشكلة المالية، وتوفير نفقات الجيش.[١]

لقب الخليفة الراضي ابن رائق أمير الأمراء، ورد إليه تدبير أعمال الخراج والضياع، وفوض إليه تدبير المملكة، وأمر بأن يخطب له على جميع منابر الممالك، وبأن يكنى، وأنفذ إليه الخلع واللواء، فعلت بذلك مرتبة ابن رائق على مرتبة الوزير.[٢]

وباستحداث هذا المنصب، فقدت الوزارة هيبتها ولم يعد للوزير غير اسم الوزارة فقط، وحضور المواكب السلطانية، وهو يرتدي السواد، ويتقلد السيف والمنطقة.[٣] ولذلك استعفى الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح من منصبه – حفظاً لكرامته – فأعفاه الراضي، بعد أن استمر في وزارته مدة سنة وشهرين.[٤]

ضعف شأن الوزارة في عصر إمرة الأمراء، فلم يعد الوزير " ينظر في شيء من أمر النواحي ولا الدواوين، ولا الأعمال، ولا كان له غير اسم الوزارة فقط، وعليه أن يحضر في أيام المواكب إلى دار السلطان بسواد وسيف ومنطقة، بينما أصبح أمير الأمراء ابن رائق وكاتبه ينظران في جميع الأمور، وصارت أموال النواحي تحمل إلى خزائن الأمراء ، فيأمرون وينهون فيها وينفقون منها كما يرون، ويطلقون من نفقات السلطان ما يريدون، فبطلت بيوت الأموال"[٥].

ويقول ابن طباطبا معلقاً على ضعف شأن الوزارة واتساع نفوذ أمير الأمراء " استبد ابن رائق أمير الأمراء، ورد الحكم في جميع الأمور إلى نظره، ولم يبق للوزير سوى الاسم من

---

[١] الصولى، أخبار الراضي والمتقي، مصدر سابق، ص ص ٥٦-٥٨. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ص ٣٥٠-٣٥١. ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ص ٣٢٢-٣٢٣.

[٢] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٣٥١. تقي الدين الدوري، عصر إمرة الأمراء في العراق (٣٢٤-٣٣٤هـ/ ٩٣٦-٩٤٦م) دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية، ط١، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٥، ص ١٢١. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ١٠٢.

[٣] الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ٣١١. تقي الدين الدوري، إمرة الأمراء، مرجع سابق، ص ١٨٢.

[٤] الذهبي، سير، مصدر سابق، ج١٥، ص ٣٢٧.

[٥] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٣٥٢. ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٠١. فاروق عمر، الخلافة العباسية، ص ١٠٢.

غير حكم ولا تدبير"[١].

وهكذا أصبح منصب الوزير مجرد اسماً فخرياً تشريفياً لا غير، حيث زال نفوذ الوزير من الناحية العملية، وانتقلت سلطته، وحتى الكثير من سلطات الخليفة نفسه إلى أمير الأمراء، إذ أن نفوذ الخليفة أصبح يقتصر على بغداد وأعمالها- بعد انفصال الأقاليم والولايات عن جسم الدولة- والنفوذ الحقيقي فيها لأمير الأمراء.[٢] وتعليقاً على ذلك يصف الخليفة الراضي نفسه وحاله في عهد أمير الأمراء بقوله :" وكأني بالناس يقولون : أرضي هذا الخليفة بأن يدبر أمره عبد تركي،حتى يتحكم في المال وينفرد بالتدبير؟ ولا يدرون أن هذا الأمر قد أفسد من قبلي، وأدخلني فيه قوم بغير شهوتي". ويستطرد الراضي بالوصف "... ويتعدى الواحد منهم أو من أصحابهم على بعض الرعية بل على أسبابي، وآمر فيه فلا يمتثل ولا ينفذ ولا يستعمل، وأكثر ما فيه أن يسألني كلب من كلابهم فلا أملك رده، وإن رددته غضبوا وتجمعوا وتكلموا"[٣].

وفي انتقال سلطات الخليفة ووزيره إلى أمير الأمراء، يذكر مسكويه أن الراضي "عرفه - أي ابن رائق- أنه قلده الإمارة ورئاسة الجيش وجعله أمير الأمراء، ورد إليه تدبير أعمال الخراج والضياع، وأعمال جميع النواحي، وفوض إليه تدبير المملكة، وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر في الممالك [٤]. وبهذا أصبح الأمراء الحكام الحقيقيين في حين أن الخلفاء أصبحوا أشباحاً لسلطانهم الزائل".[٥]

---

[١] ابن الطقطقي، **الفخري**، مصدر سابق، ص ٢٥٣.

[٢] التنوخي، **الفرج بعد الشدة**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٢١. أبو الفداء، **المختصر**، مصدر سابق، ج١، ص ٤١٥. الذهبي، **دول الإسلام**، مصدر سابق، ج١، ص ١٩٩. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٩٦. اليوزبكي، **الوزارة**، مرجع سابق، ص ١٨٢.

[٣] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٥٢. انظر : فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ص ٩٧-٩٨.

[٤] مسكويه ، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٥٢.

[٥] ستر شتين، أمير الأمراء، **دائرة المعارف الإسلامية**، مرجع سابق، ج١، ص ٦٤٩.

- وزارته الثانية سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م :

أصبح بجكم[١] أميرا للأمراء سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م. بعد هرب البريدي عن بغداد الذي كان يلي الوزارة في تلك الفترة، فعمد بجكم – بحكم الصلاحيات الممنوحة إليه – إلى إسقاط اسم الوزارة عن البريدي، ومنحه إلى أبي القاسم سليمان بن حسن بن مخلد بن الجراح، غير أنه لم يكن له من الوزارة إلا الاسم. إذ كان تدبير الوزارة والإشراف على الدواوين بيد أبي جعفر ابن شيرزاد -كاتب بجكم- الذي قام بأعمال الوزارة مدة تسعة عشر شهرا.[٢] واستمر سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح في وزارته الاسمية حتى بعد وفاة الراضي سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م.[٣]

ج- وزارته للخليفة المتقي لله سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م :

لم تكن وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح هذه للمتقي تعيينا بعد عزل وزير سابق، ولكنها كانت استمرارا لوزارته للخليفة الراضي، حيث استبقاه المتقي – بعدما ولي الخلافة – على الوزارة، وكان ذلك بناء على طلب أمير الأمراء بجكم، نظرا لأنه كان ممن أجمعوا على خلافته، فضلا عن خبرته في الكتابة ورئاسة الدواوين والوزارة.[٤]

وقد لعب الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح دورا في نقل الخلافة إلى المتقي بعد وفاة الراضي الذي توفى وبقيت الخلافة دون خليفة جديد.[٥] إذ أمر بجكم – أمير الأمراء – كاتبه الكوفي في بغداد بالاجتماع مع وزير الراضي، وكل من تقلد الوزارة في السابق وما زال

---

[١] أبو الخير الأمير التركي، كان أمير الأمراء، من الموالي الأتراك، قتل ملك بني بوية سنة ٣٢٣هـ، عينه أمير الأمراء ابن رائق قائدا للفرقة التابعة له، فهزم البريدي مرتين، وفي سنة ٣٢٦هـ، دخل العاصمة بغداد، فنصبه الخليفة الراضي أميرا للأمراء، ثم ثبته المتقي في منصبه، فاجاه جماعة من الأكراد وقتلوه سنة ٣٢٩هـ. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج١٠، ص ص ٧٧-ص ٧٨. انظر : ستر شتين، مادة (بجكم)، **دائرة المعارف الإسلامية**، مرجع سابق، ج٣، ص ص ٣٥٩-٣٦٠.

[٢] الصولى، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ١٤٤. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٤١٣-٤١٥. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٦٢. Sourdeal, Ibn Makhlad, E.I., op. cit, VIII P. 859.

[٣] الصولى، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ١٨٣.

[٤] المصدر ذاته، ص ١٩١. الذهبي، **سير**، مصدر سابق، ج١٥، ص ٣٢٨.

[٥] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج٢، ص ٢. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ١٠١.

حيا، بالإضافةإلى رؤساء الدواوين والقضاة وبني هاشم ووجوه ا لبلد لاستشارتهم فيمن يصلح للخلافة، فاختار المجتمعون إبراهيم بن المقتدر، الذي اتخذ لنفسه لقب (المتقي لله).[١]

بادر المتقي إلى إرسال الخلع واللواء إلى بجكم في واسط، تعبيرا عن إقراره على إمرة الأمراء، كما أقر الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح على الوزارة.[٢] الذي بقي يتقلدها بصورة أسميه، فقد كان التدبير والإشراف على أمور الوزارة والدواوين بيد أبي عبدالله الكوفي كاتب أمير الأمراء بجكم.[٣] حيث استمرت وزارته الاسميه هذه مدة أربعة أشهر فقط.[٤]

وقد علق بعض الشعراء على ذلك بقوله : [٥]

وزير رضي عن بأسه وانتقامه   يملي رقاع حشوها النظم والنثر

كما تسمع الورقاء وهي حمامة   وليس لها نهي يطاع ولا أمر

لم تسعفنا المصادر التاريخية بذكر إن كان الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح قد تعرض للمصادرة أم لا، ويبدو أن سياسة المصادرة لم تعد متبعة ضد الوزراء المعزولين في عصر إمرة الأمراء لانتقال سلطات الوزير إلى أمير الأمراء بالإضافة إلى انتقال بيوت الأموال إلى دورهم.[٦]

---

[١] الصولي، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ص ١٨٦-١٨٧. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٢-٣. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٣٣٤. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٦٨.

[٢] الصولي، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ١٩١. القضاعي، **عيون المعارف**، مصدر سابق، ص ٢٥٠. المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٤٠. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج٢، ص ٣. الهمداني، **التكملة**، مصدر سباق، ص ٣٣٤. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٦٩. أبو الفداء، **المختصر**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٢١.

[٣] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج٢، ص ٣. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٦٩. أبو الفداء، **المختصر**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٢١. ابن الوردي، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٦٤.

[٤] الصولي، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ١٩٩. ستر شتين، مادة (ابن الجراح)، **دائرة المعارف الإسلامية**، مرجع سابق، ج١، ص ٢٧٥.

[٥] أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤٠٨م)، **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، تحقيق عبد الستار فراج، (د.ط.)، وزارة الأعلام، الكويت، ١٩٨٥، ، ج١، ص ١٩٨.

[٦] أما أهم الأعمال التي قام بها أثناء توليه الوزارة فسيتم التعرض لها في فصل لاحق.

بكبر سنه -الذي جاوز الثمانين- وضعفه وعدم قدرته على تسيير الأمور ، ثم ألح عليه الجند للموافقة على قبول الوزارة، ولكنه أصر على الرفض[١]، فيذكر الصولى أن الخليفة الراضي " أراده للوزارة فاحتج بكبر وضعف"[٢].

لم يجد الراضي إلا أن يستشير علي بن عيسى بن الجراح في أمر الوزارة وفيمن يصلح لتوليها، خاصة بعد أن رفضها، فأشار علي بن عيسى بن الجراح بتولية أخيه عبد الرحمن، ولإدراك الراضي بنصح علي بن عيسى بن الجراح له فقد أخذ بمشورته، واستوزر عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح وذلك سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م. إلا أنه جعل أمر الإشراف على الوزارة ومراقبتها في يد علي بن عيسى بن الجراح.[٣] فيشير الصولي إلى أن علي بن عيسى بن الجراح "أقرها لأخيه بذلك، وأن يكون الاسم والخلعة له، ويتولى هو النظر في أمر الملك وتدبير الناس، جباية الأموال"[٤].

تخلى علي بن عيسى بن الجراح عن الإشراف على الدواوين بمجرد أن تولى أخوه الوزارة، فبادر الراضي إلى تقليد وزيره عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح أمر الإشراف عليها إلى جانب الوزارة، إذ قال له :" قد قلدتك وزارتي ودواويني"[٥]. ثم خلع عليه الخلع السلطانية، وجرت المراسيم بذلك، حيث سار معه الجيش إلى داره.[٦]

---

[١] الصولى، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ٤. المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٢٣. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ص ٣٥٦-٣٥٧. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج١٨، ص ص ٢١٤-٢١٥. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٣١٤. السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ١٣٨. اليوزبكي، **الوزارة**، مرجع سابق، ص ١٧٩.

[٢] الصولي، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ٤.

[٣] الصولى، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ٨١. المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٢٣. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٣٥٦-٣٥٧. الصفدي، **الوافي**، مصدر سابق، ج١٨، ص ص ٢١٤-٢١٥. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٣١٢. السامرائي، **المؤسسات**، مرجع سابق، ص ١٣٨.

[٤] الصولى، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ٤.

[٥] المقريزي، **المقفى**، مصدر سابق، ج٤، ص ٤٦. انظر : مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٦.

[٦] الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٢٢٩.

كان الوزير في هذا الفترة هو الذي يصل إلى دار الخليفة وله الاسم فقط، أما المشرف على الدواوين فيعتبر الوزير من الناحية العملية، إذ يعمل على تنفيذ الأوامر الصادرة من الوزير الذي بدوره تلقاها من الخليفة.

ويتضح من ذلك أن الوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح لم يتول الوزارة فعلا، ولكنه تولاها اسما فقط، إذ كان المدبر لأمر الوزارة، والمشرف عليها هو علي بن عيسى بن الجراح أخو الوزير، ويؤيد مسكويه ذلك بقوله أنه:" لما تقلد عبد الرحمن غلب علي بن عيسى على التدبير".[١]

وفي هذا إشارة إلى حاجة الخلفاء الملحة العباسيين منذ المقتدر بالله لتولية أكثر من شخص في الوزارة أحدهم له الوزارة الإسمية وهو الذي يمنحه الخليفة الخلع السلطانية، ويصل إلى حضرة الخلافة، والآخر له الإشراف على أمور الوزارة والعمل على تنفيذ أوامر الوزير الذي يتلقى الأوامر من الخليفة مباشرة.

يذكر الذهبي أن الخليفة الراضي كان قد عرض الوزارة على علي بن عيسى بن الجراح، ولكنه رفض قبولها، ثم عرض الراضي على علي بن عيسى بن الجراح أن يتولى أخوه عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح الوزارة إلا أنه رفض أيضا هذا الاقتراح،[٢] ولعل سبب رفض علي بن عيسى بن الجراح أن يتولى أخوه منصب الوزارة عائد إلى إدراكه – بحكم خبرته وتجربته– للظروف والأحوال السيئة التي تمر بها الدولة العباسية من أزمات اقتصادية وسياسية وإدارية، وخاصة تسلط " الطغمة العسكرية" على الخليفة، ثم خلو الخزينة من الأموال، مما يجعل أي شخص يتولى الوزارة عرضة لسياسة العزل والسجن والمصادرة، بهدف إشباع رغبات الجند المالية، بالإضافة إلى الحصول على أموال الوزير المعزول.

وحدث أن جماعة من الغلمان الحجرية ثارت بقيادة المظفر بن ياقوت سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م. مطالبين بأرزاقهم، واتفقوا على القبض على الوزير ابن مقلة، واتهامه بإساءة التدبير، فأحرقوا داره وقبضوا عليه ثم سلموه إلى الوزير الجديد عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح،

---

[١] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٣٣٦. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٦٠.

[٢] الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣٢١-٣٣٠هـ، ص ١٧. تقي الدين السدوري، إمرة الأمراء، مرجع سابق، ص ١٩٤. اليوزبكي، الوزارة، مرجع سابق، ص ١٧٩.

وذلك لأن المظفر بن ياقوت كان يحقد على ابن مقلة لأنه نكبه هو وأخاه، لذلك أخذ يسعى بهلاكه.[١]

ولم يتوان الوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح عن تعذيب الوزير المعزول ابن مقلة [٢]، حيث ضرب بالمقارع حتى صار جسمه "كأنه الباذنجان" [٣]من شدة الضرب والتعذيب.

وعلى النقيض من ذلك فقد ذكر الصولى أن الوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح عامل ابن مقلة بالحسنى ولم يعمل على تعذيبه، إذ يقول "وحول ابن مقلة إلى دار الوزير أبي علي عبد الرحمن، فأحسن إليه".[٤] ويبدو أن الوزير عبد الرحمن بن الجراح لم يأمر بتعذيب ابن مقلة، بل أنه سلمه إلى أناس لمناظرته وتحصيل الأموال منه، ومنهم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح وأحمد الخصيبي وهم من عذبوه وضربوه.

وصلت الحالة الاقتصادية والسياسية في الدولة إلى درجة من التردي والضعف لدرجة أنه لم يتسن لا لخليفة ولا لوزير أن يصلح النظام الاقتصادي والسياسي المترهل، ولعل ذلك عائد إلى انفصال الأقاليم وأطراف الدولة في مشرق العالم الإسلامي ومغربه عن جسم الدولة، وقيام الكيانات السياسية المستقلة سياسيا وإداريا، المرتبطة بالولاء لدولة الخلافة من أجل كسب شرعية وجودها، مما افقد الخزينة المركزية واردا ماليا ضخما كان يتأتى من هذه الأقاليم على شكل ضرائب أو مؤن " واقتصر الأمر على نزر يسير، لا تستطيع به الدولة مواجهة متطلباتها أو

---

[١] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٣٢. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٩٥.

[٢] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٣٧. أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٨م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا (د.ط.) مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥، ص٣٠٥. أبو الفداء، **المختصر**، مصدر سابق، ج١، ص ٤١٥. الذهبي، **دول الإسلام**، مصدر سابق، ج١، ص ١٩٩. ----- **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، ص ٣٦، ابن الوردي، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٥٩.

[٣] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٣٠٥. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٣٧. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٣٠٥. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٣١٤. (يذكر أن عبد الرحمن عمل على مصادرة ابن مقلة ولم يعمل على تعذيبه).

[٤] الصولى، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ٨٢.

تصرف منه لإدامة جيش قوي مستعد" [١]، كذلك كان لتدخل الجيش في أمور السياسة والإدارة وتسلط قادته على الخلافة والوزارة، ومطالب الجند المتزايدة للأرزاق أكبر الأثر في إثقال كاهل خزينة الدولة، فضلا عن إسراف وتبذير الخلفاء وحاشية القصر، حتى عجزت الدولة في النهاية عن تغطية ولو جزء من نفقاتها حيث " بانت استحالة موازنة الدخل والخرج".[٢]

فقد كانت البصرة في يد ابن رائق، وخوزستان في يد البريدي، وفارس في يد عماد الدولة بن بويه، وكرمان في يد أبي علي بن إلياس، والري وأصفهان والجبل – وهو عراق العجم– في يد ركن الدولة بن بويه، والموصل وديار ربيعة وديار بكر ومضر في يد بني حمدان، ومصر والشام في يد الأخشيد، والمغرب وأفريقية في يد القائم بأمر الله العلوي ابن المهدي، والأندلس في يد عبد الرحمن الأموي الناصر لدين الله، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطي.[٣]

عجز الوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح عن السير بأمور الوزارة قدما نحو الإصلاح الإداري والمالي على الرغم من وقوف أخيه علي بن عيسى بن الجراح إلى جانبه، وإشرافه على الوزارة وأعمالها، إذ تفاقمت الأزمة المالية لقلة الأموال وانقطاع المواد.[٤]ففي سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م قطع ابن رائق واردات واسط والبصرة عن بغداد، كما قطع البريدي واردات الأهواز وأعمالها، مما سبب ضائقة مالية في بغداد [٥]. كما عجز الوزير عن توفير النفقات والمتطلبات اللازمة للخليفة وحاشيته، فضلا عن توفير أرزاق الجند.[٦] حتى أنه في أحد المرات

---

[١] فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ١٠٢.

[٢] الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢٣٥.

[٣] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٥٠. أبو الفداء، **المختصر**، مصدر سابق، ج٢، ص ٨٩.

[٤] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٣٠٦. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٣٨. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ص ٣٥٦-٣٥٧. المقريزي، **المقفى**، مصدر سابق، ج٤، ص٤٦. السامرائي، **المؤسسات** ، مرجع سابق، ص ١٣٨. اليوزبكي، **الوزارة**، مرجع سابق، ص ١٨٠.

[٥] الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٣٠١. المقريزي، **المقفى**، مصدر سابق، ج٤، ص٤٦. أبو الفداء، **المختصر**، مصدر سابق، ج١، ص ٤١٥. الذهبي، **دول الإسلام**، مصدر سابق، ج١، ص ١٩٩.

[٦] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٣٠٦. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣٢١-٣٣٠هـ، ص ٣٨.

طلب الوزير من الراضي قرضا بقيمة عشرة آلاف دينار، مما أغضب الخليفة وكان سببا في نكبته، إذ أمر الخليفة بالقبض عليه وعلى أخيه علي بن عيسى بن الجراح وعزله من الوزارة، وعزل علي بن عيسى بن الجراح عن الإشراف عليها، وسجنهما وأغرمهما.[١] وبذلك تكون مدة استيزار عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح لا تزيد على الثلاث شهور عندما قبض عليه الراضي سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م.[٢]

استوزر الراضي أبا جعفر الكرخي بعد عزل عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح، فعهد إليه بمناظرة كل من الوزير المعزول عبد الرحمن وأخيه علي فحملهما إلى داره، ثم صادر علي بن عيسى بن الجراح على مبلغ يقدر بمائة ألف دينار، كما صادر عبد الرحمن على سبعمائة ألف دينار.[٣] ويذكر الهمداني أن الوزير الكرخي " صادر عبد الرحمن بن عيسى على مائة ألف دينار " [٤].

لم يتشدد الوزير الكرخي في مصادرة عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح، مراعاة لحقوق أخيه[٥] علي بن عيسى بن الجراح، كما أنه رفق بمصادرتهما [٦] كل الرفق، إذ أدى عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح ثلاثين ألف دينار من قيمة ما صودر عليه بينما أدى علي بن عيسى بن

---

(١) الصولي، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ٨٤. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٣٨. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٣١٥. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢٣٥. ستر شتين، آل الجراح، **دائرة المعارف الإسلامية**، مرجع سابق، ج١، ص ١١٧.

(٢) الصولي، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ٨٤. المقريزي، **المقفى**، مصدر سابق، ج٤، ص ٤٦. ستر شتين، آل الجراح، **دائرة المعارف الإسلامية**، مرجع سابق، ج١، ص ١١٧.

(٣) الصولي، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ٨٤، مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٣٨. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٥٩. (يذكر أن الراضي صادر علي بن عيسى على ألف ألف درهم، وصادر عبد الرحمن على ثلاثة آلاف دينار).

(٤) الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٣٠٣.

(٥) المصدر ذاته، ص ٤٠٦.

(٦) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣٢١-٣٣٠هـ، ص ٣٨. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٩٥.

الجراح سبعين ألف دينار، ثم أعيدا إلى منازلهما.[١]

ب- وزارته للخليفة المتقي لله سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م وعلاقته بأمير الأمراء:

مات الراضي بالله سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م دون عهد صريح لأحد بولاية العهد من بعده.[٢] غير أنه لما اشتد به المرض أرسل إلى بجكم -الذي أصبح أميرا للأمراء بعد هرب ابن رائق من بغداد نتيجة قلة الأموال وانتشار الاضطرابات في البلاد.[٣] – وهو بواسط يطلب منه أن يجعل ولاية العهد لابنه أبي الفضل، إذ قال له :" اعتنق أمره، واعقد له الأمر واقض حقي فيه"[٤]. غير أن بجكم لم يستمع له ولم ينفذ له طلبه. فبقي بذلك أمر الخلافة معلقا بعد وفاة الراضي لحين قدوم رسول بجكم، وهو أبو عبد الله الكوفي إلى بغداد.[٥]

أمر بجكم كاتبه الكوفي في بغداد أن يجتمع مع وزير الراضي – وهو سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح – وكل من تقلد الوزارة، وأصحاب الدواوين (رؤساء الكتاب) والقضاة، والعلويين والعباسيين (بني هاشم)، ووجوه البلد، وأن يشاورهم في أمر اختيار الخليفة الجديد.[٦]

---

(١) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٣٠٦ (يذكر أن قيمة ما أداه علي بن عيسى تسعين الف دينار، وأدى عبد الرحمن ثلاثين الف دينار). مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٣٨. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٣١٠ (يذكر أن قيمة ما أداه عبد الرحمن قرابة خمسة واربعين الف دينار). ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٩٥ (يذكر أن قيمة ما أداه علي بن عيسى وعبد الرحمن بن عيسى سبعين ألف دينار).

(٢) مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج٢، ص ٢. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣. ص ٣٢٨. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ١٠١.

(٣) المرجع ذاته، ص ١٠٤.

(٤) مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٣٤٤. انظر: ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٣٢٨.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج٢، ص ٢، ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٣٢٨. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ١٠١.

(٦) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٣٣. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٣٤٤. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ١١. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج٢، ص ٢. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مر جع سابق، ص ١٠١.

فخرجوا من اجتماعهم وقد أجمعوا على اختيار إبراهيم بن المقتدر، فاقر بجكم هذا الاختيار بعد أن استشار علي بن عيسى بن الجراح وفي هذا دلالة واضحة على عظم شأن أفراد آل الجراح، بالإضافة إلى علاقتهم الحسنة مع أمير الأمراء، فاختار الخليفة الجديد لقب (المتقي لله) لنفسه.[١]

استبقى المتقي لله الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح على وزارته غير أنه لم يكن له من الوزارة إلا الاسم، أما التدبير والعمل فكان بيد الكوفي كاتب بجكم[٢]، وهذا هو حال الوزارة في عصر إمرة الأمراء.

لم يلبث المتقي إلا أن عزل وزيره سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح، واستوزر مكانه أحمد بن ميمون -كاتبه قبل الخلافة- ثم دخل البريدي بغداد وقبض على ابن ميمون، وانفرد هو بلقب الوزير، بعد أن تقاسمه مع ابن ميمون.[٣] إلا أن عجز البريدي عن توفير الأموال، أثار عليه الجند، حيث طالبوه بأرزاقهم، فخافهم وهرب إلى واسط.[٤]

---

(١) الصولي، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ص ١٨٧-١٨٨. عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٣٣٤. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٢-٣. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٦٨. ابن الطقطقي، **الفخري**، مصدر سابق، ص ٢٨٤.

(٢) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٣٣٤. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٣٥٨. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج٢، ص ٣. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٤٣. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٦٩.

(٣) الصولي، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ٢٠١. مجهول، **الحدائق والعيون**، مصدر سابق، ج٤، ق ١، ص ٢٥٨.

(٤) مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٥٩. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٧. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ١٢٤. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٧٤. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ٣٢١-٣٣٠هـ، ص ٦٢.

استولى كورتكين الديلمي على الأمور في بغداد، بعد هرب البريدي عنها، فقلـــده المتقـــي إمرة الأمراء، وعقد له اللواء وخلع عليه الخلع السلطانية [١]، ثم عمد المتقي إلى استحضار علـــي بن عيسى بن الجراح وأخيه عبد الرحمن، حيث عرض الوزارة على علـــي بـــن عيســـى بـــن الجراح، فرفضها، كما منع أخاه من أن يتولاها، لإدراكه بخطورة المرحلة ولعدم إقحـــام نفســـه وأخيه في اللعبة السياسية بين الطامعين بمنصب أمير الأمراء. وقد أشار الصولـــي إلـــى ذلـــك بقوله: "ومنع أبا الحسن أخاه عبد الرحمن من أن يعرض للوزارة" [٢]، ولما لم يجد المتقي بدا من استيزار أحدهما طلب من عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح أن يصبح كاتبه، فوافق على ذلـــك فقام بتدبير أمور الدولة، يساعده في الإشراف عليها أخوه علي بن عيسى بن الجراح ، ولكن مـــن غير تسمية بالوزارة.[٣] ولم يعارض كورتكين – أمير الأمراء- ذلك .[٤] ويبدو أنه كـــان علـــى علاقة حسنة مع آل الجراح، إذ كانت الضرورة الملحة تلجئ الخليفة إلى البحث عن وزير قديـــر يستطيع إصلاح الأوضاع الإدارية والمالية في الدولة، وكان هذا الوزير على الدوام هو علي بـــن عيسى بن الجراح، فإن لم يكن هو الوزير فإنه يرشح شخصا آخر علـــى درجـــة مـــن الكفـــاءة والمقدرة الإدارية.

لم تستقر الأمور للأخوين آل الجراح طويلا، إذ عمد المتقي إلى عزلـــهما واســـتوزر أبـــا إسحاق الإسكافي المعروف بالقراريطي، فكانت مدة إشرافهما على أعمال الـــوزارة لا تتجـــاوز

---

(١) مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٣٥٩. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج٢، ص ص ١٧-١٨. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ص ١٢٥-١٢٦. ابن الأثـــير، **الكـــامل**، مصـــدر سابق، ج٨، ص ٣٧٤.

(٢) الصولي، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ٢٠٣. السامرائي، **المؤسسات**، مرجـــع ســـابق، ص ١٤٢. تقي الدين الدوري، **إمرة الأمراء**، مرجع سابق، ص ١٩٣-١٩٤.

(٣) الصولي، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ٢٠٣. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٣٥٩. عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٣٣٩. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر ســـابق، ج٢، ص ١٨. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٣٢٩. ابن الأثير، **الكـــامل**، مصـــدر ســـابق، ج٨، ص ٣٧٤. السامرائي، **المؤسسات**، مرجع سابق، ص ١٤٤. Bowen, **Ali Ibn Isa**, op. cit, P. 387.

(٤) الصولي، **أخبار الراضي والمتقي**، مصدر سابق، ص ٢٠٣.

التسعة أيام.[1] ولم تشر المصادر إلى تعرضهما إلى المصادرة أو السجن والتعذيب لضمان طامع بالوزارة بتقديم الأموال لأمير الأمراء مقابل حصوله على منصب الوزارة.

ويعزو مسكويه سبب عزلهما إلى أن كورتكين كان قد طلب من علي بن عيسى بن الجراح وأخيه عبد الرحمن الأموال للإنفاق على الجند، إلا أنهما اعتذرا له لعدم تمكنهما من توفيرها، لخلو الخزينة من الأموال بالإضافة إلى انقطاع الواردات عن بغداد، كما عرفاه أن النواحي والأقاليم لم تعد ترسل الأموال للخزينة لاستقلالها وانفصالها عن جسم الدولة، وكان القراريطي يحضر مجلس كورتكين ويسمع ما يدور، فتعهد بقدرته على توفير المال اللازم للإنفاق على الجند، فضلا عما يتبقى للخزينة إن صار أمر الوزارة إليه. فوافق كورتكين على ذلك، وأقره على الوزارة وأخذ له العهد والخلع من المتقي.[2] وعزل الأخوين آل الجراح.

ويشير اليوزبكي إلى أن حدة التنافس والمساومة على طلب الوزارة انعدمت تقريبا مع استحداث منصب أمير الأمراء، لأنه سيطر على الإدارة والولاية وبيوت الأموال والوزارة.[3] ويؤيد ابن طباطبا ذلك بقوله : " استبد ابن رائق – أمير الأمراء – بالأمور، ورد الحكم في جميع الأمور إلى نظره، ولم يبق للوزير سوى الاسم ".[4]

وخلاصة القول أن الوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح –رغم أنه ينتمي إلى أسرة عريقة بالإدارة – لم يتول الوزارة إلا اسميا ، ففي وزارته الأولى للخليفة الراضي كان الأمر كله بيد أخيه علي بن عيسى بن الجراح فهو المشرف على أمور الوزارة ، وفي وزارته الثانية

---

(١) المصدر ذاته، ص ٢٠٢. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٣٦٠. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٨. السامرائي، **المؤسسات**، مرجع سابق، ص ١٤٥. تقي الدين الدوري، **إمرة الأمراء**، مرجع سابق، ص ١٨٩.

(٢) مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج٢، ص ص ١٨-١٩. تقي الدين الدوري، **إمرة الأمراء**، مرجع سابق، ص ١٨٧.

(٣) اليوزبكي، **الوزارة**، مرجع سابق، ص ٢٠٩. انظر : فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص٢٣٣.

(٤) ابن الطقطقي، **الفخري**، مصدر سابق، ص ٢٥٣. انظر : مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص٣٥٢.

للخليفة المتقي، تولى الوزارة من غير أن يتسمى بلقب وزير، وذلك لانتقال سلطاته إلى أمير الأمراء، حتى أصبح الوزير أشبه ما يكون بالكاتب. واعتبر أحد أفراد حاشية الخليفة.[1]

وعلى الرغم من انتقال سلطات الوزير إلى أمير الأمراء الذي صار فوق الوزير بالمرتبة وسيطرته على الإدارة وتعيين الولاة وعزلهم، بالإضافة إلى انتقال بيوت الأموال لداره بحيث أصبح أقوى شخصية في الدولة وأوسعها نفوذا وأقدرها على التأثير في الأحداث وتصريفها وفق مشيئته. إلا أن ذلك لم يمنعه من الاستعانة بالإداريين كالوزراء والكتاب لحاجته لهم باعتبار أن أمير الأمراء رجل عسكري ليس له دراية بالإدارة.

ويبدو أن أمير الأمراء كان يقدر الوزراء القديرين ومما يدل على ذلك عدم تعرض علي بن عيسى بن الجراح وأخيه عبد الرحمن للمصادرة أو السجن، إلا أنه ورغم مقدرة وكفاءة الوزير لم يكن بالإمكان الاستفادة من إصلاحاته وخبراته في تحسين أحوال الدولة الإدارية والمالية لتعارض هذه الإصلاحات مع المصالح الشخصية لبعض مراكز القوى العسكرية والسياسية التي كانت تعمل على الدوام ضد هذه الإصلاحات، وتحاول جاهدة التخلص من الوزير المصلح بعزله أو قتله.

---

(١) اليوزبكي، الوزارة، مرجع سابق، ص ص ١٨١-١٨٢.

الفصل الثاني
سياسة وزراء آل الجراح الإدارية والمالية
وأثرهم في الحركة العلمية:

١- سياسة وزراء آل الجراح الإدارية والمالية.

أ- سياسة الوزير الحسن بن مخلد بن الجراح الإدارية والمالية:

- *سياسته الإدارية*
- *سياسته المالية*

ب- تنظيمات الوزير علي بن عيسى بن الجراح الإدارية والمالية:

- *إصلاحاته الإدارية*
- *إصلاحاته وتنظيماته المالية*

ج- سياسة الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح الإدارية والمالية:

- *سياسته الإدارية*
- *سياسته المالية*

د-سياسة الوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح الإدارية والمالية:

- *سياسته الإدارية والمالية*

٢- ثقافة الكتاب ومؤهلاتهم العلمية وأثر وزراء آل الجراح في الحركة العلمية

أ- سياسة الوزير الحسن بن مخلد بن الجراح الإدارية والمالية:

- سياسته الإدارية

ارتفعت هيبة الخلافة في الفترة ٢٥٦-٢٩٥هـ/ ٨٦٩-٩٠٧م لتولي منصب الخلافة خلفاء وأمراء أقوياء كالموفق والمعتضد والمكتفي استطاعوا خلالها كف يد قادة الجيش من التدخل في شؤون الدولة الإدارية والسياسية والمالية، بالإضافة إلى تعيين وزراء أكفاء حاولوا جهدهم النهوض بأعباء الوزارة، ومتطلبات الدولة، فاستطاعوا بذلك المساعدة في المحافظة على هيبة منصب الخلافة.

فقد ارتفعت هيبة الخلافة وعاد لها سلطانها وكيانها منذ تولي الخليفة المعتمد الخلافة لقيام أخيه الموفق طلحة بالأمر والنهي، وقيادة الجيش وتولية الوزراء، فضلاً عن إخضاع حركة الزنج وحماية الثغور.(١)

كما ظهرت قوة الوزارة المرتبطة ارتباطا وثيقا بقوة الخلافة، نتيجة اختيار الخلفاء لوزراء أكفاء، قاموا بأعباء الدولة خير قيام. فانتعشت الوزارة بادئاً باستيزار عبيد الله بن يحيى بن خاقان ٢٥٦-٢٦٣هـ/ ٨٦٩-٨٧٦م. إذ كان خبيراً بأحوال الرعايا والإعمال وضابطاً للأموال.(٢) ولما مات استوزر المعتمد على الله الحسن بن مخلد بن الجراح - كاتب أخيه الموفق- الذي كان من رجالات الناس حزماً وضبطاً وكفاية وكرماً ونبلاً،(٣) وكان أحد كتاب الدنيا.(٤)

كانت تحيط بكل طامح للوزارة عصبة من المؤيدين له، تأمل أن تتسلم الأعمال والدواوين الإدارية والمالية عند استيزاره، حيث كان الوزير يقوم بالاستعانة بهم في إدارة دواوين وولايات الدولة، ويكونون أداة طوع أمره وكثيراً ما كان هؤلاء يعزلون عند عزل الوزير الذي عينهم.(٥)

---

(١) الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج٨، ص ٦٦٣. مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٥٨. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ص ٧٩-٨٠.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٠٧. الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٢٦١-٢٧٠هـ، ص ١٣٢ وما بعدها، ابن الطقطقي، الفخري، مصدر سابق، ص ٢٥١.

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر سابق، ج١٢، ص ص ٢٦٨-٢٦٩. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج١٣، ص ٧.

(٤) ابن الطقطقي، الفخري، مصدر سابق، ص ٢٥١.

(٥) الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ١٩٢. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ١٦٧.

لذلك فقد سار الحسن بن مخلد بن الجراح على الطريقة التقليدية في تعيين الأقارب والأصدقاء وخاصة القديرين منهم في الوظائف الإدارية والمالية في الدولة. فلما كان الحسن بن مخلد بن الجراح يتقلد رئاسة ديوان الضياع وديوان الخراج للمتوكل كان يخلف ابن خالته أحمد ابن محمد القنائي مكانه.[١] ثم استخلف عبيد الله بن سليمان بن وهب.[٢] إذ كان يحق لصاحب الديوان أن يستخلف من يشاء في ديوانه.

كذلك كانت مهمة تعيين العمال على الأعمال التي تجري في ديوانه بيده دون الرجوع إلى الخليفة أو الوزير، فقد قلد محمد بن أبي الأصبغ أعمال السيب الأسفل[٣] وقسين[٤] وجنبلا[٥]. إذ أراد الوزير الحسن بن مخلد بن الجراح اجتذاب ابن أبي الأصبغ ليكون من أنصاره نظرا لكفاءته [٦]ويبدو أن الوزراء ورؤساء الدواوين في تلك الفترة كانوا يتسابقون في تقليد الكتاب القديرين في الأعمال، لما في ذلك من نفع مادي أو احترام يحظى به الوزير أو رئيس الديوان لدى الخلافة من جهة، والعامة من جهة أخرى.

عزل الوزير الحسن بن مخلد بن الجراح عن الوزارة ونفي إلى الرقة سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م، فراسل أحمد بن طولون – والي مصر– يستأذنه في القدوم إلى مصر، فرحب ابن طولون بذلك وقربه منه. ولما كان الحسن بن مخلد بن الجراح يمتاز بكفاءته الإدارية في ضبط أمور الدولة، أوكل إليه ابن طولون مهمة الإشراف على خراج مصر بعد أن استكتبه، فضمن الحسن بن مخلد بن الجراح زيادة دخل مصر من هذا الخراج، إذ كان لا يقدم على الحسن بن مخلد بن الجراح في وقته أحد ولا يقاس به لعلمه بأمور الدنيا.[٧]

---

[١] التنوخي، نشوار المحاضرة، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٢.

[٢] التنوخي، الفرج بعد الشدة، مصدر سابق، ج٢، ص ٢١٦.

[٣] السيب الأسفل: كورة من كور الكوفة من طسوج سورا عند قصر ابن هبيرة، انظر : الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٩٣.

[٤] قسين : كورة من نواحي الكوفة، انظر : الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٥٠.

[٥] جنبلا : كورة وبليد بين واسط والكوفة. انظر : الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ص ١٦٨.

[٦] التنوخي، نشوار المحاضرة، مصدر سابق، ج٨، ص ص ١١٦-١١٧.

[٧] المقريزي، المقفى، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٥٩. الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر سابق، ج١٢، ص ص ٢٦٨-٢٦٩.

اتصفت فترة حكم المعتمد على الله بقلة الأعمال الإدارية والمالية التي قام بها الوزراء، وذلك عائد بطبيعة الحال إلى قيام الموفق طلحة بالأمر دون الخليفة بحيث لم يترك المجال للوزراء للانفراد بالقيام بالاصلاحات الإدارية والمالية، وقصر عمر وزارات هؤلاء الوزراء وتكرارها أكثر من مرة بسبب إسراف المعتمد في التولية والعزل نتيجة تأثير القادة الأتراك عليه، بالإضافة إلى متطلبات الظرف السياسية التي اقتضت عزل بعض الوزراء وتعيين آخرين على الرغم من اختيار المعتمد لنخبة طيبة من الوزراء الأكفاء، لذلك كان هم بعض هؤلاء الوزراء الاستئثار بالأموال، لإدراكهم بأنهم معزولون عاجلا أم آجلا،[١] ونتيجة لذلك فقد أصبح عمل الوزير يقتصر على أمور الجباية، والإشراف على الأمور الإدارية أما تعيين الولاة في الأقاليم فقد أصبح يتوقف على رغبة القادة الأتراك، لذلك فقد ضعفت سلطة الوزير السياسية والعسكرية.

- سياسته المالية :

بدأ "عهد الانتعاش المؤقت" [٢] يدب في أوصال الدولة بتسلم الموفق طلحة زمام الأمور فيها في عهد أخيه الخليفة المعتمد على الله ٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٦٩-٨٩٢م.[٣] إذ نجح الموفق طلحة في إبعاد المؤسسة العسكرية عن التدخل في الأمور السياسية [٤] وذلك بإشراك الجيش دائما في حروب ومعارك داخلية أبقته في شغل شاغل كما فشل القادة الأتراك أمام الزنج والصفاريين والقرامطة في السواد وبادية الشام مما قوى مركز الخلافة،[٥] بعد أن ولى المعتمد أخاه الموفق أمر الجيش والولايات سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م. فولاه الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن، ثم ولاه

---

[١] جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مرجع سابق، ج٤، ص ص ١٨٧-١٨٨. اليوزبكي، الوزارة، مرجع سابق، ص ١٤٠.

[٢] فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ٧٧.

[٣] الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج٩، ص ٤٧٦. مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢١٢. ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٧، ص ٢٤١. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ٧٩.

[٤] مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٢. ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج١٢، ص ٣٠٣. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ٨٠.

[٥] الزهراني، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية من سنة ١٣٢-٣٣٤هـ/ ٧٤٩-٩٤٥م، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨١، ص ٣٧.

بغداد والسواد وكور دجلة والبصرة والأهواز وفارس.[1] وفي سنة ٢٥٨هـ / ٨٧١ م عقد له على ديار مضر وقنسرين والعواصم.[2] فصار بذلك هو السلطان الفعلي، وكلمته هي العليا على الأتراك وقوادهم. مما حسن الأحوال العامة بعض التحسن.[3] وإن كانت حال الخليفة المعتمد نفسه قد ساءت لأنه لم يترك له شيء من التصرف، حتى أنه احتاج في بعض الأحيان إلى ثلاثمائة دينار فلم يجدها فقال :[4]

أليس من العجائب أن مثلي	يرى ما قل ممتنعا عليه
تؤخذ باسمه الدنيا جميعا	وما من ذاك شيء في يديه
إليه تحمل الأموال طرا	ويمنع بعض ما يجبى إليه

تميزت فترة حكم المعتمد على الله بكثرة الحروب الداخلية مع الحركات والانتفاضات التي ظهرت قريبة من مركز الخلافة كحركة الزنج في منطقة (العراق الجنوبي) والخوارج في شماله، وخطر الصفار ، وحركات الاسماعيليه والقرامطة، وانفصال ابن طولون في مصر وسيطرته على بلاد الشام، وقد نتج عن ذلك كثرة النفقات العسكرية.[5] لدرجة أن إجمالي موجودات بيت المال بعد وفاة المعتمد كانت أقل من دينار.[6] لذلك فقد حاول معظم الوزراء في عهده انتهاج سياسة مالية مستنيرة يخدمون بها الدولة على أحسن وجه، غير أنهم لم يستطيعوا سد حاجة الدولة إلى المال نتيجة كثرة هذه الحروب، والحاجة الدائمة للإنفاق عليها، بالإضافة

---

[1] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٤٧٦. مجهول،**العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١١. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٧، ص ٢٤١.

[2] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٤٩٠. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص١١، ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٧، ص ٢٥٥.

[3] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٤٤٣.

[4] ابن حمدون، **التذكرة الحمدونية**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٥٢. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٧، ص ٤٥٥. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٧٩. الخضري، **الدولة العباسية**، مرجع سابق، ص ص ٢٩٥-٢٩٦.

[5] الزهراني، **النفقات**، مرجع سابق، ص ٣٧.

[6] ابن حمدون، **التذكرة**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٥٢.

إلى كثرة الاضطرابات على الحكومة مما كان له أثر سلبي على مالية الدولة.[١]

في ظل هذه الظروف قلد الخليفة المعتمد على الله الحسن بن مخلد بن الجراح الوزارة سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م[٢] لمعرفته بقدرته وخاصة في الأمور المالية إذ كان للحسن باع طويل في الأعمال المالية قبل توليه الوزارة وأثناء عمله في الدواوين. إذ كان قد " خدم في دور الخلفاء بالكتابة، وتنقل في الرتب والنفقات"[٣]،حيث كان يتقلد رئاسة ديوان الضياع[٤] للخليفة المتوكل على الله[٥] نظرا لمعرفته بأمور الخراج والإقطاع، فقد وصفه المقريزي أنه: "كان له حظ في الخراج ومعرفة الضياع والإقطاع"[٦]، كما كان يقال : مالا يعلمه الحسن بن مخلد بن الجراح من الخراج فليس هو من الدنيا[٧].

وفي أثناء تقلده ديوان الضياع أوكل إليه مهمة مناظرة سليمان بن وهب فركز في مناظرته على الأمور المالية إذ اتهمه بسرقة مال السلطان والمال العام. وذلك بقوله : "أخذت من الناس أضعاف ما أديت، وعادت يدك إلى كتبة إيتاخ، فأخذت ضياع السلطان، واقتطعتها لنفسك، وحزتها سرقة إليك، وأنت تغلها ألفي ألف درهم وتتزيا بزي الوزراء، وقد بقيت عليك من تلك المصادرة جملة لم تؤدها".[٨]

واستمر الحسن بن مخلد بن الجراح يتولى الأعمال المالية تحديدا، إذ تولى الإشراف على

---

(١) فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ١٢٣. اليوزبكي، **الوزارة**، مرجع سابق، ص ص ١٤٠-١٤١.

(٢) الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٥٣٢. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص٣٥.

(٣) التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٨، ص ١١٦.

(٤) مهمة ديوان الضياع أن ينظم شؤون الضياع ويحفظ نسخة من التوقيع في أي أمر مالي يصرف من وارد الضياع أو يستغل، انظر : حسين الكساسبة، **المؤسسات الإدارية (الدواوين)**، جامعة مؤته، ١٩٩٥، ص ٧٨.

(٥) التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٨، ص ١١٦.

(٦) المقريزي، **المقفى**، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٥٨.

(٧) التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٨، ص ص ٣٥-٣٦.

(٨) التنوخي، **الفرج بعد الشدة**، مصدر سابق، ج١، ص ١٢.

دواوين الأزمة [١] والتوقيع [٢] وبيت المال[٣] في وزارة الخاقاني ٢٥٦-٢٦٣هـ/ ٨٦٩-٨٧٦م.[٤]

اتصف الحسن بن مخلد بن الجراح بجرأته على مد يده إلى مال السلطان، إذ كان يتحايل لأخذ الأموال من بيت المال باسم الخليفة، ثم يعمد إلى إنفاقها على مصالحه الخاصة، ومما يؤكد ذلك ما ذكره مولاه الذي كان يتولى أمور نفقته قوله : " ما رأيت أجسر من مولاي على أخذ مال السلطان" [٥] . فهو بهذا العمل ينضم إلى مجموعة رؤساء دواوين الفترة الأولى من العصر العباسي الثاني الذين عملوا على سلب أموال الدولة بطرق شتى، ومدوا أيديهم إلى بيت المال دونما خوف.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل كان يحاول دائما الحصول على أكبر قدر ممكن من الأموال ومن الخليفة نفسه متحايلا. ثم ينفقها على أصدقائه ومقربيه، إذ كان يسجل أسماء أصدقائه في قوائم ديوان الصلات، ليتسنى لهم الحصول على مال الصلة من الخليفة، دون أن يكون لهم أي وجه حق شرعي فيه.[٦]

حاول الحسن بن مخلد بن الجراح التقرب من السلطان أكثر فأكثر من أجل تحقيق مصالحه الشخصية أثناء عمله بالدواوين. ولعله كان يطمع في الوصول إلى الوزارة، إذ أخذ يبدي حرصه على مال السلطان دون الالتفات إلى مصلحة العامة، وقد انفرد ابن حمدون في الإشارة إلى محاولة الحسن بن مخلد بن الجراح التقرب من الخليفة المهتدي. إذ يذكر عن الخليفة أنه " جلس يوما للمظالم، فرفع إليه الكسور، فسأل الكتاب عنها، فأخبر بها فقال :" معاذ الله إن

---

[١] ديوان الأزمة : يقابلها في الوقت الحاضر ديوان مراقب الحسابات العام، وله رجل يعمل على ضبطه يسمى صاحب الديوان. انظر : التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٥. الكساسبة، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ٤٤.

[٢] ديوان التوقيع : يتولى النظر في صحة توقيع الخليفة على الكتب الواردة إلى الديوان، ويحفظ نسخة في الديوان، ثم ينقل إلى ديوان الزمام فإن أقره صاحب الديوان نقل إلى حيث يجري تنفيذه، وإن كان التوقيع أمرا يصرف المال، نقل إلى ديوان المال حيث يتم تسليم التوقيع وتسلم المال. التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٥.

[٣] ديوان بيت المال: هو خزينة بيت مال الدولة، التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٥.

[٤] المصدر ذاته.

[٥] التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٥. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٨٩.

[٦] ابن أبي أصيبعه، **طبقات الأطباء**، مصدر سابق، ص ٣١٥.

ألزم الناس ظلما تقدم العمل به أو تأخر، أسقطوا هذا الظلم وهذه الكسور عن الناس، فقام الحسن بن مخلد بن الجراح فقال: إن أسقط أمير المؤمنين هذا ذهب من مال السلطان في السنة اثنا عشر ألف ألف درهم، ومد بها صوته" إلا أن المهتدي أدرك نوايا الحسن بن مخلد بن الجراح، وطمعه في التقرب إليه لتحقيق مصالحه الشخصية فقال له : " قد عرفت مذهبك في هذا، وتحريضك بما ينقص من أموالهم ما أمتنع من أن أقيم حقا لله تعالى، وأزيل مظلمة قد تقدمت بها الأيام، ولو كان في ذلك حيف على بيوت الأموال، ولو نظر الموالي في أمرك وأمر نظرائك لأخذوا منك ما خوفتهم أن يذهب مقداره من مالهم، فارتعد الحسن وأبلس".(١)

كان الحسن بن مخلد بن الجراح يحب أن ينهض بالأعمال الموكلة إليه والتميز بها، وقد استمر هذا الأمر حتى بعد أن تولى الوزارة، إذ كان من مهام الوزير الإشراف على الدواوين الإدارية والمالية، ومعرفة واردات الدولة ونفقاتها، لذلك كان للحسن بن مخلد بن الجراح "دفتر صغير يعمله في يده، فيه أصول أموال المملكة ومحمولاتها بتاريخها، فلا ينام كل ليله حتى يقرأه ويتحقق ما فيه، بحيث لو سئل في الغد عن أي شيء كان فيه، أجاب من خاطره بغير توقف ولا مراجعة دستور".(٢)

وينفرد ابن الطقطقي في تبيان اهتمام الحسن بن مخلد بن الجراح في التميز في العمل الموكل إليه ومحاولة التقرب من الخلفاء والأمراء إذ يقول " قال الحسن بن مخلد : كنت مرة واقفا بين يدي الموفق بن المتوكل فرأيته يلمس ثوبه بيده، وقال لي : يا حسن قد أعجبني هذا الثوب كم عندنا في الخزائن منه؟ فأخرجت في الحال من خفي دستورا فيه جمل ما في الخزائن من الأمتعة والثياب مفصلة، فوجدت فيها من جنس ذلك الثوب ستة آلاف ثوب، فقال لي : يا حسن نحن عراة، اكتب إلى البلاد في استعمال ثلاثين ألف ثوب من جنسه وحملها في أسرع مدة".(٣)

ويشير فاروق عمر إلى أن الحسن بن مخلد بن الجراح حاول أن يسد حاجة الدولة إلى الأموال، بسبب كثرة الاضطرابات والفتوق على الحكومة، وذلك بتقليل نفقات الإدارة، ولكنه لم يتمكن من ذلك.(٤)

---

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مصدر سابق، ج١، ص ٤٢٣.

(٢) ابن الطقطقي، الفخري، مصدر سابق، ص ص ٢٥١-٢٥٢. اليوزبكي، الوزارة، مرجع سابق، ص ١٣٨.

(٣) ابن الطقطقي، الفخري، مصدر سابق، ص ٢٥٢.

(٤) فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ١٢٣.

بدأ الحسن بن مخلد بن الجراح ينحى منحا آخر في محاولة لإصلاح أحوال العامة بعد ان تولى الوزارة، إذ كان لا بد من كسب تأييدهم، وذلك عن طريق التخفيف عنهم وعدم إرهاقهم بفرض ضرائب إضافية عليهم. فقد حدث أن احتاج الموفق طلحة إلى الأموال للإنفاق على الحملات العسكرية ضد الزنج، والتي كانت تتطلب مبالغ كبيرة من المال، فقال له الوزير : والله مالي حيلة أكثر من حط النفقات ومنع المرتزقين، إلا أن الموفق طلحة عرض عليه فرض ضرائب إضافية على التجار، فرفض الوزير مما أشعل العداء بين الطرفين فكان سببا في نكبة الوزير ومصادرة أمواله وأملاكه، بالإضافة إلى مصادرة أسرته، حيث بلغت ثروتهم أكثر من مليون درهم.[١] ثم نفي إلى الرقة ومن هناك راسل ابن طولون يستسمحه بدخول مصر فرحب ابن طولون بذلك وقربه إليه وجعله من خواصه، ورأى منه الفهم والدراية بأمور الدنيا فجعله كاتبا له. ولما كان الحسن بن مخلد خبيرا بالأعمال المالية أثناء عمله بالدواوين أو الوزارة فقد أوكل إليه ابن طولون مهمة الإشراف على الأعمال بمصر، فأثبت الحسن بن مخلد بن الجراح جدارته وقدرته على زيادة دخل خزينة مصر من خراجها، إذ ضمن لابن طولون زيادة دخل الخزينة بمقدار ألف ألف دينار (مليون دينار) من ارتفاع تلك الأعمال بشرط إفشاء العدل في البلاد وإرضاء الناس بالتخفيف عنهم وإصلاح أحوالهم المعيشية، لذلك خاف الكتاب في مصر من حظوته لدى ابن طولون واستئثاره بالأمور دونهم، فبدأوا بإحاكة الدسائس ضده، إذ أوغروا صدر ابن طولون بأن الحسن بن مخلد بن الجراح هوعين للموفق طلحة عليه، وكان الموفق طلحة يناصب ابن طولون العداء لذلك فقد صدق ابن طولون سعايتهم وأمر بنفي الحسن بن مخلد إلى أنطاكية حتى مات سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م.[٢]

ولما امتاز عهد المعتمد بكثرة تعيين وعزل الوزراء بسبب تأثير الأتراك عليه.[٣] فقد أدرك الوزير الحسن بن مخلد بن الجراح أنه معزول في نهاية الأمر لأنه لم يكن على علاقة جيدة مع الأتراك، لذلك حاول قدر الإمكان الحصول على ما أمكنه من الأموال خلال توليه

---

[١] نقلا عن اليوزبكي، الوزارة، مرجع سابق، ص ١٣٨. انظر : فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ١٣٢. ويذكر الزهراني بأن الموفق عرض على موسى بن بغا فرض الضرائب وليس على الحسن بن مخلد مع العلم أنه أخذ هذه المعلومة من اليوزبكي وهذا خطأ لأن موسى بن بغا كان أحد قادة الجيش وليس الوزير. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٣٧.

[٢] المقريزي، **المقفى**، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٥٦. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٨.

[٣] اليوزبكي، **الوزارة**، مرجع سابق، ص ١٣٨.

الأعمال، لا بقصد حيازتها فحسب لأنه سوف يصادر ولكنه كان يتصف بكثرة الإنفاق على نفسه وعلى حاشيته، إذ يصفه الذهبي في أبهته وخدمه أنه "كان في هيئة سلطان كبير"[١]. إذ " كان أجل الناس لباسا وطيبا ومركوبا ومنزلا وآلة ودارا، وكان خدمه يركبون إلى الميدان يوم الجمعة بالجنائب الكثيرة والغلمان الدونة في الوشي والديباج المنسوج بالذهب، وكان في داره من الفرش المعلقة والمبسوطة ما قيمته مائة ألف دينار"[٢]. ولما كان يعاتب بكثرة نفقاته على أبهته وهيئته كان يقول: "أموالنا مثالنا، تجئ جملة وتذهب جملة، فلم لا نتعجل اللذات قبل ذهابها، ونتمتع بصفو الزمان قبل كدره؟"[٣]. أما تبريره لكثرة نفقاته على خدمه فكان يقول :" من المروءة أن يلبس المرء خدمه وحشمه مثل ما يلبس، ليكون قد امتثل أمر الله تعالى في قوله: (وأما بنعمة ربك فحدث)"[٤]، وقد عد قدامة بن جعفر هذه الأمور من الخصال التي ينبغي أن تتوفر في الوزير.[٥]

يلاحظ من خلال السيرة العملية للوزير الحسن بن مخلد بن الجراح في سياسته المالية أنها اتسمت بالسلبية، لأن جميع إجراءاته المالية استهدفت بالدرجة الأولى الاستئثار بالأموال، والحصول عليها بشتى الوسائل، وذلك لعدم التمكن من القيام بإصلاحات مالية جوهرية في ظل الظروف السياسية التي تولى فيها الوزارة من كثرة تعيين وعزل الوزراء، وكثرة الحروب الداخلية مع الزنج والصفارين والطولونيين، والتي كانت تستنفذ كل ما في خزينة الدولة من مال، فضلا عن معرفة الوزير الأكيدة بأنه معزول لذلك كان يحاول جاهدا أن يجمع ما أمكنه من أموال أثناء توليه الأعمال حتى يتسنى له دفعها عند مصادرته إذا ما عزل عن منصبه.

---

[١] الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج١٣، ص ٨.

[٢] المقريزي، المقفى، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٥٨.

[٣] الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، مصدر سابق، ص ٦٦.

[٤] سورة الضحى، آية ١١، انظر : المقريزي، المقفى، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٦٠.

[٥] قدامة بن جعفر، الخراج، مصدر سابق، ص ٤٨٠.

ب- تنظيمات الوزير علي بن عيسى بن الجراح وإصلاحاته الإدارية والمالية:

- إصلاحاته الإدارية:

استمرت قوة الوزارة قائمة طيلة فترة حكم كل من المعتضد والمكتفي من بعده، نظراً لقوة هؤلاء الخلفاء. ولما جاء الخليفة المقتدر إلى الخلافة ٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٧- ٩٣٢م، تضاءلت هيبة الوزارة وخاصة في الفترة الثانية من حكمه، بحيث تولى منصب الوزارة من يدفع مالاً أكثر.(١) فاصبح بذلك نظام الإدارة في الدولة في حالة بالغة السوء من التردي، وقد زاد من حدة السوء الإداري تسلط قادة الجيش وظهور قوة الحريم وتدخلهن في شؤون الحكم والإدارة.(٢) بالإضافة إلى كثرة تعيين وعزل الوزراء الذي رافقه تغيير العمال الأكفاء، فضلاً عن تعرض الوزراء لسياسة المصادرة أو السجن أو القتل، نتيجة حاجة الخليفة المستمرة إلى المال لتسيير أمور الدولة والإنفاق على الجهاز الإداري والعسكري، بالإضافة إلى نفقات القصر الباهظة.(٣) وأخيراً اتباع الطامعون بالوزارة نظام (الضمان) وهو أن يتعهد الطامع أداء مبلغ كبير من المال للخليفة مقابل الحصول على منصب الوزارة.(٤) وبهذه الطريقة حصل الحسين بن القاسم على الوزارة بعد أن ضمن القيام بالنفقات، فعيّنه المقتدر وزيراً. مما زاد في حدة التنافس في طلبه وأدى بالتالي إلى فساد النظام الإداري لتولي وزراء لا علم لهم ولا دراية بأمور الإدارة السياسية.(٥)

وقد أدى فساد الإدارة واضطراب الأحوال في الفترة الأولى من حكم المقتدر إلى الاستعانة بعلي بن عيسى بن الجراح، إذ تولى الوزارة سنة ٣٠١-٣٠٤هـ/ ٩١٣-٩١٦م بناء على طلب القائد التركي مؤنس الخادم.(٦)

---

(١) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٤٨. اليوزبكي، **الوزارة**، مرجع سابق، ص ١٥٧.

(٢) القضاعي، **عيون المعارف**، مصدر سابق، ص ٢٣٦. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ٨٩.

(٣) المسعودي، **التنبيه والإشراف**، مصدر سابق، ص ٣٧٧. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٧٦.

(٤) فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٥) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٤٨.

(٦) الطبري، **تاريخ**، ج١٠، ص ١٤٧. عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٤٣. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٧٣. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

ينوب عنه في الكتابة أو يساعده فيها.[١]

ويتضح من خلال الكتب التي كان يرسلها الوزير إلى العمال استخدامه نبرة الغلظة والشدة، محاولاً – قدر المستطاع – إلزامهم بتنفيذ برامجه الإصلاحية، فهو بذلك يرسم السياسة المبدئية التي سوف يسير عليها طيلة فترة توليه الوزارة.

وقد حاول الوزير علي بن عيسى بن الجراح تطهير الإدارة من عمال السوء،[٢] فقلد جماعة وعزل أخرى حتى أصلح الإدارة، وضبط الدواوين واستتب الأمن، ثم اعتمد في إدارة شؤون الدولة الإدارية والمالية على عناصر مؤهلة لإدارة هذه الأعمال جلهم من الكتاب القديرين، كما اعتمد بالدرجة الأولى على أصحاب الكفاءة من الأقارب والأصدقاء.[٣] وقد امتدح الخليفة المقتدر وزيره بقوله :" ولم يبق من يصلح بتدبير المملكة غيره لأمانته ودينه"[٤]، وكذلك قول الصابئ فيه :" ورتب علي بن عيسى الأمور والدواوين على ما رأى من الصلاح والسداد".[٥]

اشتهر الوزير علي بن عيسى بن الجراح بالعدل وإنصاف الرعية، إذ وصفه ابن كثير بقوله :" كان من خيار الوزراء، واقصدهم للعدل والإحسان، واتباع الحق".[٦] وقال الذهبي " كان في الوزراء كعمر بن عبد العزيز في الخلفاء"[٧]، ونظرا لذلك فقد اهتم الوزير بمؤسسة القضاء وأولاها عناية فائقة من حيث مراعاة تقليد القضاء من اشتهر بالعدل والأمانة والكفاءة . لذلك فقد قلد صديقه القاضي أبا عمر محمد بن يوسف قضاء الجانبين بالإضافة إلى عدة نواحي من السواد والشام والحرمين واليمن.[٨] كما أمر بهدم مسجد للحنابلة جُعل وسيلة للفتنة بعد تظلم

---

[١] التنوخي، نشوار المحاضرة، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٠. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٧٢.

[٢] الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢٢١. Bowen, **Ali Ibn Isa**, op. cit., P. 125.

[٣] مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٣١. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢٠١.

[٤] ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ٥٣.

[٥] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٠٦.

[٦] ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج١١، ص ١٢٠.

[٧] الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٣٨.

[٨] ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج١٣. ص ٣١٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣٠١-٣١٠هـ، ص ٨.

الناس منهم. فأمر بهدمه وقال: "حق بناء بهدم، وتصفية رسم، بناء أسس على غير تقوى من الله، فليلحق بقواعده إن شاء الله".[١]

كما اهتم الوزير بإصلاح الإدارة المالية، إذ كان من أهم سلطاته الإشراف على إدارة مالية البلاد ومعرفة الدخل والخرج، كما أنشأ عدداً من الدواوين ذات العلاقة المباشرة بأمور المالية. فقد عمد الوزير إلى استرجاع جميع الضياع العباسية التي جُعلت لعلي بن الفرات ومحمد بن عبيد الله بن خاقان أثناء وزارتيهما، وأعاد دخلها على بيت مال الخاصة.[٢] كذلك حث العمال على حمل المال إليه مباشرة دون تأخير.[٣] وعزم على تخفيض النفقات عامة ما أمكن بما فيها نفقات الخليفة نفسه.[٤] وتخفيض المؤن وحذف الكلف. فاسقط جميع التوقيعات التي وقعها محمد بن عبيد الله الخاقاني أثناء وزارته.[٥] وأعاد النظر في رواتب الموظفين، واسقط رواتب من لا يعملون ويأخذون أرزاق برسم الدواوين، وأخيراً رفض أن يأخذ وارد ضياع الوزارة ورواتب الوزارة.[٦] ضاربا بذلك أروع الأمثلة – كقدوة لسائر الوزراء والعمال – في نكران الذات آملا في السير قدماً في إصلاحاته المالية والإدارية.

وقد اقتضت الظروف الإدارية والمالية في وزارة علي بن عيسى بن الجراح الأولى ٣٠١-٣٠٤هـ/ ٩١٣-٩١٦م. وأثناء إشرافه على وزارة حامد بن العباس ٣٠٦-٣١١هـ/ ٩١٨-٩٢٣م. استحداث بعض الدواوين التي كان لها دور مهم في تنظيم إدارة الدولة وماليتها، ويعتبر استحداث هذه الدواوين من جملة الإصلاحات الإدارية والمالية على حد سواء التي قام بها الوزير علي بن عيسى بن الجراح، وهذه الدواوين هي :

---

(١) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص٣٦٢.

(٢) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٠٦. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٥١.

(٣) التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٨، ص ص ١٠-١١.

(٤) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٧٩. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٧٣.

(٥) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ص ٣٠٢-٣٠٣. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص٧٣.

(٦) مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٩. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٨٨.

١- ديوان البر :[١]

اتصف الوزير علي بن عيسى بن الجراح بحبه لأعمال الخير نظراً لورعه وتقـــواه، إذ كان ينفق معظم ماله في مثل هذه الأعمال، فقد استطاع أن يقنع الخليفة المقتـــدر بــالله "بوقــف المستغلات بمدينة السلام – وغلتها نحو ثلاثة عشر ألف دينار– والضيــاع الموروثــة بالســواد الجارية في ديوان الخاصة – وارتفاعها نيف وثمانون ألف دينار – على الحرمين والثغــور"[٢]. ولاستثمار هذه الأموال الموقوفة وتوزيع وارداتها على الحرمين في مكة والمدينة، والثغور فـــي حدود الدولة البيزنطية، كان لا بد من استحداث ديوان خاص لها عرف باسم (ديوان البر).

أما إدارة هذا الديوان فقد أوكلت إلى أحد الكتاب الثقات وهو أبو شـــجاع الكـاتب طيلـة وزارة علي بن عيسى بن الجراح الأولى، يساعده فيه عيسى الناقد مسؤولاً عن مال ضياع الــبر والجهبذة.[٣] ثم أوكلت مهمة إدارة ديوان البر إلى أبي أحمد عبد الوهاب بن الحسن الكاتب فـــي وزارة علي بن عيسى بن الجراح الثانية ٣١٤-٣١٦هـ/ ٩٢٦-٩٢٨م.[٤] مما يدل على اســتمرار عمل هذا الديوان، ويبدو أن اختصاصات هذا الديوان قد توسعت لتشـــمل أيضـــا الصدقــات. إذ أوكلت إلى أبي أحمد إدارة ديوان البر وديوان الصدقات في آن واحد.[٥]

---

[١] ديوان البر: ديوان استحدثه الوزير علي بن عيسى بن الجراح في وزارته الأولـــى ٣٠١هـ/ ٩١٣م. اقتضــت الظروف استحداثه، كانت مهمته الأساسية استثمار الأملاك الموقوفه في بغداد والضياع الموروثــة بالســواد الجارية في ديوان الخاصة، وتوزيع وارداتها على مكة والمدينة والثغور. التنوخــي، **نشــوار المحــاضرة**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٥. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ص ٣١٠-٣١١. محمد جمـــال الديــن سرور، **تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الـهجري**، (د.ط.)، دار الفكر العربي، ١٩٦٥،، ص ١٢٤-١٢٥.

[٢] التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٠٥. الصابئ، **الوزراء**، مصدر ســابق، ص ٣١٠، ٣١٦. ابن الطقطقي، **الفخري**، مصدر سابق، ص ٢٦٨. السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص٢٩٧.

[٣] التنوخي، نشوار المحاضرة، مصدر سابق، ج٨، ص٢٠٥. الصابئ، **الـــوزراء**، مصـــدر ســـابق، ص ص ٣١٠-٣١١.

[٤] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٢.

[٥] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٢. السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع ســابق، ص ٢٩٨. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٩٧. جمال الدين سرور، **الحضارة الإسلامية** ، مرجع سابق، ص ١٢٥.

وعلى الرغم من اختصاص هذا الديوان بالأعمال المالية والذي ينبغي ذكره في أعمال الوزير علي بن عيسى المالية. إلا أنه تم ذكره هنا لمعرفة كيفية إدارة هذا الديوان واختصاصاته.

٢-ديوان المقبوضات :

هو ديوان مؤقت أنشأه الوزير علي بن عيسى بن الجراح أثناء خلافته للوزير حامد بن العباس ٣٠٦-٣١١هـ/ ٩١٨-٩٢٣م على الدواوين والأعمال.[١] وكان الهدف من إنشائه هو استلام وإدارة أملاك وضياع أم موسى القهرمانة.[٢] وأختها وأخيها. وهذا السبب وراء تسمية هذا الديوان باسم (المقبوضات عن أم موسى وأسبابها)[٣]. والسبب في ذلك هو أن أم موسى القهرمانة زوجت ابنة أخيها أبي بكر بن العباس من أبي العباس محمد بن إسحاق بن المتوكل على الله. وقد أسرفت " فيما نثرت من المال وفيما أنفقت على دعوات دعت فيها الصغير والكبير من أهل المملكة"[٤]، وقد تمكن أعداؤها من السعي عليها عند الخليفة وأمه واتهموها بالعمل على عزل المقتدر بالله عن الخلافة لكي تتصب صهرها ابن المتوكل: " فتمت النكبة عليها وسلمت إلى ثمل القهرمانة مع أختها وأخيها"[٥]، فاستخرجت منها أموالا كثيرة، وجواهر نفيسة، ومن الثياب والكسوة والفرش والطيب ما يعظم مقداره حتى بلغ مجموع ما أخذ منهم مليون دينار.[٦]

---

[١] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص٨٤.

[٢] أم موسى القهرمانة: هي إحدى نسوة ثلاث مسيطرات على أمور الدولة في زمن المقتدر. وقد تمكنت من الدولة وثرت ثراء فاحشا. وفي سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م. سخط عليها المقتدر وقبض عليها وعلى أسبابها ومن كانت تعنى به واستخرج منها ألف ألف دينار لاتهامها بأنها سعت في إزاحة المقتدر عن الخلافة ونقلها إلى ابن العباس بن إسحق بن المتوكل الذي زوجته من ابنة أخيها. التنوخي، نشوار المحاضرة، مصدر سابق، ج٨، ص ص ٢٤٢-٢٤٣. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ص ٨٣-٨٤. ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج١٣. ص ٢٠٩.

[٣] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٨٤.

[٤] المصدر ذاته. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ٣٠٠.

[٥] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٨٤. انظر : السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ٣٠٠.

[٦] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٨٤. ابن الأثير: الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ١٣٧.

أوكل الوزير علي بن عيسى بن الجراح مهمة إدارة هذا الديوان إلى أبي شـجاع الكـاتب كما اسندت له مهمة إدارة ديوان البر من قبل نظرا لكفاءته وخبرته في عمله، وجعل الزمام عليه إلى أبي عبد الله اليوسفي الكاتب.(١) ثم تقلد إدارة الديوان علي بن الحسن الباذنيني.(٢) ويبـدو أن هذا الديوان قد انتهى بانتهاء الغرض الذي أنشئ من أجله.

كان تركيز الوزير علي بن عيسى بن الجراح ينصب بالدرجة الأولى على الاهتمام بـإدارة الدواوين باعتبارها عصب الإدارة في الدولة، والعمل على ضبطها وخاصة تلك المتعلقة بـالأمور المالية، لما لها من أهمية في بيان واردات ونفقات الدولة المختلفة، وكان أهم هذه الدواوين علـى الإطلاق هو ديوان الخراج المركزي، وخاصة بعد أن أصبح الخراج المفروض على الأراضـي الخراجية هو ركيزة الإيرادات التي تمول بيت المال المركزي، فأراد الوزير ضمان سـير هـذا الديوان بأعماله على أكمل وجه، فقد اتسعت أعمال هذا الديوان وذلك لأن الأراضـي الخراجيـة كانت مسجلة في ديوان الخراج المركزي كما كانت مسجلة في دواوين الخراج المحلية كل فـي إقليمها، فكان من الضروري العمل على تقسيم هذا الديوان إلى فروع ثلاثة في عـهد المعتضـد بالله ووزيره عبيدالله بن سليمان بن وهب، من أجل تسهيل مصالح الدولة وهـذه الفـروع هـي: ديوان المشرق(٣)، وديوان المغرب(٤)، وديوان السواد.(٥)

الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣٠١-٣١٠هـ، ص ٤٩. السـامرائي، **المؤسسـات الإدارية**، مرجع سابق، ص ٣٠٠.

(١) مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٨٤. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص٩٨.

(٢) الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٤٨. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٣) ديوان المشرق، مهمته الإشراف على كل ما يقع من المناطق شرق دجلة، تفرع من ديوان الـدار الرئيسـي باسم مجلس ما فتح من أعمال المشرق في خلافة المعتضد، وفي وزارة عبيد الله بن سـليمان انـتزع هـذا المجلس من ديوان الدار، وجعله ديوانا قلد رئاسته إلى محمد بن داود بن الجراح. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٦٧.

(٤) ديوان المغرب: مهمته الإشراف على كل ما يقع من المناطق غرب دجلة في حدود مصر، وقد تفـرع عـن ديوان الدار بنفس طريقة ديوان المشرق، وقد قلد الوزير عبيد الله بن سليمان علي بن عيسى بن الجراح هـذا الديوان. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٦٧.

(٥) ديوان السواد : مهمته الإشراف على خراج منطقة سواد العراق، وقد وصفه علي بـن عيسـى بأنـه أجـل الدواوين. السامرائي: **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ٢٠١.

ولما كانت الدواوين على قدر من الأهمية فقد أوكل الوزير علي بن عيسى بن الجراح مهمة إدارتها إلى كتاب امتازوا بالكفاءة الإدارية معظمهم من الأقارب والأصدقاء فقلد هشام بن عبيد الله الكاتب – المعروف بأبي قيراط– ديوان الدار.[١] كما قلد حمد بن محمد القنائي الكاتب ديوان المغرب، وقلد الفضل بن جعفر بن الفرات – ابن أخت الوزير بن الفرات– ديوان المشرق.[٢] ثم ولى عيسى الناقد أمور ديوان البر والجهبذة.[٣] وأسند أمر المصادرات إلى أبي بكر الشافعي، ثم أسندها إلى هشام بن عبد الله.[٤] كما قلد سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح ديوان الدار وكتابة غريب خال المقتدر، وقلد أخاه إبراهيم ديوان الجيش واستخلف له عليه سعيد بن عثمان والحسين بن علي.[٥]

وفي سنة ٣٠٦ – ٣١١ هـ / ٩١٨ – ٩٢٣ م أصبح علي بن عيسى بن الجراح خليفة للوزير حامد بن العباس في الإشراف على الدواوين والأعمال، ثم أصبح هو الوزير من الناحية العملية، فكان هو الآمر والناهي. بعد أن أربك وضع الوزير أمام الخليفة المقتدر بالله، وذلك بحضوره مرة واحدة كل أسبوع إلى دار الوزارة، بعد أن كان يحضر في كل يوم مرتين مدة شهرين.[٦]

وفي هذه الفترة قلد علي بن عيسى بن الجراح مجموعة من الكتاب الدواوين والأعمال الإدارية الأخرى، إذ أسند رئاسة ديوان السواد إلى أخيه عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح[٧].

---

[١] ديوان الدار: هو ديوان جامع الدواوين، بمثابة الديوان المركزي في تلك الفترة، وقد يسمى أحيانا اسم (جامع الدار الكبير) وأصبح المتولي لرئاسته على جانب كبير من الأهمية. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٩١. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢٠١. السامرائي، المؤسسات، مرجع سابق، ص٢٠٠.

[٢] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٧٩. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢٠١. اليوزبكي، الوزارة، مرجع سابق، ص ١٦١.

[٣] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣١٦. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٩٥.

[٤] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٣٧. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٩٥.

[٥] عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٤٩.

[٦] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٥٩.

[٧] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٣٩. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٩٤.

وقلد أبا علي بن مقلة زمام ديوان السواد [1] كما كان سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح يتقلد ديوان المشرق مع غيره من الدواوين.[2] ثم ولي علي بن الحسن الباذيني ديوان الضياع المقبوضة.[3]

وقد مثلت الفترة التي تقلد فيها كل من محمد بن عبيد الله الخاقاني واحمد بن عبيد الله الخصيبي الوزارة مظهراً من مظاهر الضعف والانحلال في الدولة العباسية حيث لم يستطع هؤلاء الوزراء معالجة الخلل في الإدارة مما أدى إلى اضطراب أحوال الدولة، فلما رأى المقتدر دولته على مثل هذه الحال استدعى علي بن عيسى بن الجراح من منفاه وقلده الوزارة سنة ٣١٤هـ/ ٩٢٦م.[4]

وجد الوزير علي بن عيسى بن الجراح الحالة الإدارية بالغة السوء، فبدأ على الفور معالجة الاضطراب الإداري والمالي في الدولة باستخدام كتاباً قديرين، فقام بتغيير رؤساء الدواوين، واستبدلهم بآخرين أصحاب خبرة وكفاءة، ولما كان اهتمام الوزير ينصب على ديوان السواد باعتباره الممول الرئيسي لنفقات دار الخلافة، فقد اسند مهمة هذا الديوان إلى أبي القاسم الكلوذاني، وحذره من التقصير فيه بقوله : " إن هذا الديوان من أجل الدواوين، ومتى تشاغلت بخلافتي اختل، وليس يقوم به أحد كقيامك".[5] مما يدل على خطورة هذا الديوان من جهة، وإلى اختيار كاتب قدير لإدارته من جهة أخرى. أما الدواوين الأخرى، فقد قلدها كل من أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات على ديوان المشرق، وقلد أبا بكر محمد بن جني ديوان المغرب، وولى أبا علي بن مقلة ديوان الضياع الخاصة والمستحدثة، وأبا محمد الحسين بن أحمد المادرائي ديوان الضياع الفراتية، كما قلد أبا جعفر القمي ديوان الدار، وأبا أحمد عبد الوهاب بن الحسن ديوان البر وديوان الصدقات وعبد الرحمن بن عيسى بن الجراح ديوان الحرم، وأبا

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٩١. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٤٤. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٩٤.

(٢) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٨. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٩٤.

(٤) عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ١١٢. مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٣١.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٥١. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ص ٣٣٨-٣٣٩. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ص ٩٣-٩٤.

يوسف ديوان الفص والخاتم، وجعل على ديوان الجيش عثمان بن سعيد الصيرفي، وإبراهيم بن خفيف على ديوان النفقات، وإبراهيم بن أيوب على ديوان الجهبذة، وسليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح على ديوان بيت المال، وأبا زنبور على ديوان الضياع المصادرة من ابن الفرات. أما دواوين الأزمة، فقد قلد فيها كل من أبي محمد بن روح على ديوان زمام الخراج والضياع العامة بالسواد والأهواز وفارس وكرمان وما يجري فيه. وأبي القاسم بن النفاط على ديوان زمام النفقات والخزائن، وأبا الفتح محمد بن أحمد قلنسوة على ديوان زمام الجيش.[١] ثم عول على أخيه عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح وسليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح في مكاتبة عمال الخراج والضياع والمعاون في نواحي المغرب عنه، والنظر في سائر أعمال المغرب كما ينظر صاحب الديوان.[٢] وقد قدر لخمسة من رؤساء الكتاب هؤلاء أن يتولوا الوزارة فيما بعد.[٣]

أما الإدارة في الأقاليم التابعة للدولة، فقد عمد الوزير علي بن عيسى بن الجراح إلى تقليد ياقوت أعمال الحرب والمعاون بفارس.[٤] بدلا من إبراهيم بن المسمعي، وقلد أبا طاهر محمد بن عبد الصمد أعمال المعاون بكرمان.[٥] وقلد القاسم بن دينار أعمال الخراج والضياع بفارس، كما قلد أبا الحسن أحمد بن محمد بن مابنداذ وابن السلاسل أعمال الأهواز التي كانت لابن دينار.[٦]

---

(١) عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ١١٧. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٢. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٤٠. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢٠٦. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٢) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٣٩.

(٣) الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ص ٢٠٦-٢٠٧.اليوزبكي، الوزارة، مرجع سابق، ص ١٧٠.

(٤) فارس: ولاية واسعة وأقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السير جان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران، وقصبتها شيراز لها خمس كور هي اصطخر، اردشير، دار ابجرد، سابور ، وقباذ. الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٢٦.

(٥) كرمان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة، معمورة، ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، هي بلاد كثيرة النخل والزرع، والمواشي والضرع، تشبه البصرة في كثرة التمور، الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٤، ص ١٥٤.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٥٧.

كذلك كان من جملة الإصلاحات الإدارية التي قام بها الوزير علي بن عيسى بن الجراح اهتمامه بالرعاية الصحية ومستلزماتها للعامة، إذ اهتم بأحوال المرضى بتوفير ما يكفي لهم من الأدوية والأشربة، فضلاً عن إصلاح البيمارستانات، ثم نال اهتمامه هذا المساجين في السجون، فقد كتب إلى الطبيب المشهور سنان بن ثابت يأمره بتفقد أحوالهم والعمل على معالجتهم، وتوفير كفايتهم من الأدوية، كما أمره بالقيام بزيارات ميدانية للقرى والأرياف حاملاً معه المستلزمات الطبية لمعالجة سكانها المسلمين والذميين.(١)

وفي سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م قام الوزير علي بن عيسى بن الجراح بإنشاء بيمارستان بالحربية،(٢) انفق عليه من ماله الخاص بناءً وتمويلاً، كما عين الطبيب أبا عثمان سعيد بن يعقوب مشرفاً عاماً عليه.(٣)

لقد تمكن الوزير علي بن عيسى بن الجراح من تسيير دفة الحكم ومن إصلاح الأمور الإدارية والمالية بشكل واضح، كما استطاع بذلك أن يحافظ على هيبة منصب الوزارة ومع ذلك فهو لم يحاول أن يستبد في تصريف الأمور برأيه دون الخليفة. وخاصة في مسألة تعيين وعزل الولاة، والأعمال الإدارية والمالية الأخرى.(٤) وقد استقامت الأمور في أثناء توليه الوزارة، وتحسنت الأحوال الإدارية والمالية حتى توازن الدخل والخرج، وقد وصفه مسكويه بقوله: "ساس علي بن عيسى الدنيا أحسن سياسة، ورسم للعمال الرسوم الجميلة، وأنصف الرعية، وأزال السنن الجائرة، ودبر أمور الوزارة والدواوين وسائر أمور المملكة بكفاية تامة، وعفاف وتصون وديانة، فبانت بركته على الدنيا، وعمر البلاد، وتوفر الارتفاع واستقام أمر السلطان، وعادت هيبة الملك وصلح أمر الرعية".(٥)

---

(١) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، مصدر سابق، ص ٣٠١. Bowen, Ali Isa, op. cit., P. 182، الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ص ٨٧-٨٨.

(٢) الحربية: محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب قرب مقبرة بشر الحافي وأحمد بن حنبل، تنسب إلى حرب بن عبيد الله البلخي المعروف بالراوندي أحد قواد جعفر المنصور. الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٢، ص٢٧٧.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج١٣، ص ١٥١. الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣٠١-٣١٠هـ، ص ١٦. Bowen, Ali Isa, op. cit., P. 127.

(٤) عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٤٩.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢٨-٢٩. انظر : الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ١٢٩.

- إصلاحاته وتنظيماته المالية :

أصبح الخراج المفروض على أراضي السواد بالدرجة الأولى هو عماد إيرادات بيت المال المركزي في دولة الخلافة العباسية في الفترة الممتدة بين نهاية المتوكل ودخول البويهيين بغداد وتسلطهم على الخلافة ٢٤٧-٣٣٤هـ/ ٨٦١-٩٤٥م.(١) وذلك لأن كثيرا من الولايات كانت "خارجة عن يد السلطان منذ أيام المعتضد، لا يحمل منها المتغلبون إلا النزر اليسير"(٢) إذ واجهت الخلافة فيها تسلط الجند التركي على مرافق الدولة، كما واجهت حركتين خطيرتين هما حركة الزنج وحركات القرامطة.(٣) وما أن كادت الأوضاع تستقر خلال الربع الأخير من القرن الثالث الهجري حتى بدأت مرحلة التكتلات السياسية والصراع بين طبقة الكتاب، والتي كان من نتائجها الأزمة المالية المستحكمة التي واجهت الخزينة، وتدخل قادة الجند في الصراع.(٤) وقد استمر أثر ذلك في تردي الأوضاع خلال فترة إمرة الأمراء،(٥) وكان من الأسباب التي ساعدت على وصول البويهيين إلى العراق وتسلطهم على الخلافة.(٦)

فقد انشغلت الخلافة العباسية في الفترة الممتدة بين ٢٥٥-٢٧٠هـ/ ٨٦٨-٨٨٣م. بالتصدي لحركة الزنج ومواجهة الطولونيين والصفاريين الذي جنحوا إلى الانفصال والتحدي.(٧) مما أدى بصورة مباشرة إلى تدهور أحوال الأراضي الخراجية، كما خربت الكثير من السدود والقنوات ووسائل الري بفعل الزنج وأثناء التقدم الصفاري إلى بغداد(٨)، بالإضافة إلى نزوح أعداد كبيرة

---

(١) الدوري، **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٧٤، ص ٥٩.

(٢) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص٣١٧.

(٣) الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ١١٥. Bowen, Ali Ibn Isa, op. cit., P.P. 0-10

(٤) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٣٠. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ١٩١. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

(٥) السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ص ٦٨-٧٠.

(٦) الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢٤٧.

(٧) ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٧٣. السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٨) الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٦٦٧ وما بعدها. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٢٥.

من المزارعين والفلاحين عن أراضيهم بسبب الصراع مع الزنج والصفاريين مما قلل مستوى الإنتاج وقابلية الأرض للزراعة.(١)

لقد شهدت فترة العقدين الأولين من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي رغم ذلك جملة إصلاحات وتنظيمات جديدة قام بها الوزير علي بن عيسى بن الجراح، إذ انتهج سياسة مستنيرة في التخفيف عن المزارعين والاهتمام بالأرض الزراعية والنشاط الزراعي. وخاصة في الأراضي الخراجية، تمثلت في تخفيض (مبالغ الضمان) وإلغاء (التكملة) بفارس وسوق بحر(٢) بالأهواز.(٣) -وكانت تبلغ قيمة هذه التكملة في تلك المناطق ثلاثين ألف دينار في السنة-.(٤) وحصن مهدي.(٥) ونهر السدرة.(٦) كما قام الوزير بإسقاط المكوس(٧) التي كانت تؤخذ بمكة، كذلك عمد الوزير إلى إزالة (جباية الخمور) بديار ربيعة.(٨)

وقد ذكر الصابئ أن قوماً من أرباب الخراج في إقليم فارس قد هجروا قراهم وأراضيهم بسبب سوء معاملة الصفاريين حين تغلبوا عليها، وقد جرى توزيع مسؤولية خراجهم على من

---

(١) الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٦٦. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٩١، ١٩٧.

(٢) سوق بحر: موضع بالأهواز كان عندها مكوس أزالها الوزير علي بن عيسى بن الجراح في وزارته الأولى، الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٨٣.

(٣) مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ص ١٧٣-١٧٢. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢٨-٢٩. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٢٠٣. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢٢١.

(٤) الجاجرمي، **نكت الوزراء**، مصدر سابق، ص ٧٧.

(٥) حصن مهدي: بلد من نواحي خوزستان، الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، مصدر سابق، ٢٦٦.

(٦) الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣١٠. السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

(٧) المكس: هو ضريبة تؤخذ من الباعة على البضائع المنقولة عندما يدخلونها إلى المدن أو تؤخذ نقوداً على ما يبيعونه، الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣١٠، ص ٣٤٩. الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، مصدر سابق، ص ٧٢. متز، **الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٢١٥.

(٨) مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ص ١٧٣-١٧٤. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٩. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣١٠ (ويسميها جباية الجمهور). الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٢٠٣. متز، **الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٢١٥. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢٢١.

بقي من أهل الخراج. ولم تزل هذه التكملة تستوفى على زيادة تارة ونقصان أخرى حتى تسلم علي بن عيسى بن الجراح وزارته الأولى فأرسل من تحرى تظلم المزارعين من التكملة، وتأكد له أن العمال " يستضعفون قوما من أرباب الخراج، فيلزمونهم من التكملة أكثر مما يلزمهم، ويرهبون آخرين فيحملونهم أقل مما يخصهم"[١]، كما تأكد له أن هذه التكملة ظلم، فأنهى ذلك إلى الخليفة المقتدر حتى لا يستبد برأيه واستأذنه في إسقاط هذه التكملة.[٢] فلما فعل قيل له: لقد حكمت بحكم لو كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاضرا ما تجاوزه، وقيل : لقد فعل الوزير في هذا – أي إسقاط التكملة – كفعل أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مطالبة أهل الردة بالزكاة.[٣]

كما حرص الوزير علي بن عيسى بن الجراح على رفع الظلم والتعسف في الجبايات عن الناس.[٤] فقد حدث أن تجاوز عامل بادوريا[٥] على أهلها في (البقايا) وأضاف إليها مظالم أخرى وشدد عليهم في السجن والقيد، فتظلم أهلها إلى الوزير علي بن عيسى بن الجراح، فجاء في جواب الوزير للعامل إن " الخراج دين لا يجب فيه غير الملازمة، فلا تتعد ذلك إلى غيره".[٦]

ولما تولى الوزير علي بن الفرات الوزارة بعد عزل علي بن عيسى بن الجراح عنها سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م. اعترض على علي بن عيسى بن الجراح إسقاطه لهذه الموارد، إذ قال له أثناء مناظرته : " أبطلت الرسوم وهدمت الارتفاع، فقال له علي بن عيسى بن الجراح : أي رسم

---

(١) التنوخي، نشوار المحاضرة، مصدر سابق، ج٨، ص ١٢٣. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٦٧.

(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، مصدر سابق، ج٨، ص ص ١٢٧-١٢٨. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٦٩. انظر : ملحق رقم (١) نص نسخة علي بن عيسى بن الجراح في إسقاط التكملة في فارس.

(٣) التنوخي، نشوار المحاضرة، مصدر سابق، ج٨، ص ١٢٥.

(٤) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ص ٣٧٣-٣٧٤. جمال الدين سرور، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٥) بادوريا : هي طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد، وقيل إن كل ما كان من شرقي الصراة فهو بادوريا، وما كان في غربيها فهو قطربل. الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج١، ص ٣١٧.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٣١. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ص ٣٧٣-٣٧٤. الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ٢٠٣.

أبطلت، وارتفاع هدمت، قال : المكس بمكة، فقلت له : قد أزلت هذه وأشياء كثيرة منها ومنها، وعد الأبواب التي رفعها– وكان مال ذلك في السنة خمسمائة ألف دينار[١]– فلم استكثرها مما حططته عن أمير المؤمنين من الأوزار بها، أو غسلته من الأدران عن دولته فيها، ولكن انظر إلى ما حططت وأبطلت على ارتفاعي وارتفاعك ونفقاتي ونفقاتك".[٢]

ومع ذلك كله لم يجد الوزير علي بن عيسى بن الجراح ما يمنع من فرض الخراج على جميع البساتين في أراضي كورفارس ابتداء من سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م الخراجية، وقد حفظ لنا الصابئ نص نسخة المرسوم الذي أصدره الوزير بفرض خراج الشجر على جميع كور فارس، والذي تضمن الأمر إلى كل عمال الجباية بضرورة المطالبة به على استقبال سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م، وقد جاء فيه: "... ولما فتح الله كورفارس على المسلمين، وأزال عنها أيدي المتغلبين. وجد أمير المؤمنين أهلها قد احتالوا في إسقاط خراج الشجر بأسره مع كثرته وجلاله وقدره فأمر بإشخاص وجوههم (سادتهم) إلى حضرته، واتصلت المناظرة لهم بمشهد من قضاته، إلى أن اعترفوا به مذعنين، والتزموه طائعين، وضمنوا أداء ما أوجبه الله فيه من حقوقه على ما تقرر من وضائعه[٣] وطسوقه، فطالب بخراج الشجر في سائر الكور على استقبال سنة ثلاث وثلاثمائة. فاستخرجه واستوفى جمعه واستنظفه[٤] واكتب ما يرتفع[٥] من مساحته، ومتحصل من مبلغ جبايته، متحريا للحق متوخيا للرفق إن شاء الله..." [٦].

لكن وضع الدولة لم يكن على مثل هذه الحال على الدوام. إذ تشير بعض المصادر التاريخية إلى تعدي بعض كبار رجال الدولة على الأراضي الخراجية، إذ كانوا يطلبون

---

(١) السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، مصدر سابق، ص ٤٤٩.

(٢) مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٩. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٤٩. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٢٠٣. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣٠١-٣١٠هـ، ص١٠. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ص ٤٨-٤٩.

(٣) هو ما يؤخذ للسلطان من الخراج والعشور.

(٤) أي استوفه وخذه كله.

(٥) أي ما يحمل بعد حصاده.

(٦) التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٣٠. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ص ٣٧١-٣٧٢.

الاقطاعات التي لم تعد تقتصر على أرض الصوافي بل تعدتها أحياناً إلى أراضي الخراج مما أدى إلى تقلص ملحوظ في موارد بيت المال ويفهم من نص رسالة وجهها الوزير علي بن عيسى بن الجراح إلى عامل الصلح[١] والمبارك[٢] أن البقايا كانت تجبى من مزارعي الأرض الخراجية بغير وجه حق. وأوضح الوزير تنوع أصول البقايا وأحوالها " وأن تستخرج بأسرع وقت وتستوفى من الجهابذة والبلدية وسكان المستغلات السلطانية".[٣] كما أشار الوزير – بالإضافة إلى ذلك– إلى أن ما " نقاه المحملون وأصحاب المناثر[٤]عن نفائض[٥] قناب[٦] الحاصل. ووصفوا أن تصحيحه واجب على أرباب البيادر"[٧]، كما ذكر بأن "ما بقي من الأسماء المجهولة – ولا شك أنه من خراج نخل وخضر في أقرحة معروفة – فيجب أن تطالب مزارعي تلك الأقرحة حتى يصححوه أو يكشفوا حاله ويوضحوه".[٨]

وقد أورد الصابئ إشارة إلى رفض تحويل رقبة الأرض الخراجية للبيع أو ما سواه خلال تلك الفترة ويتضح ذلك من رسالة وجهها الوزير علي بن عيسى بن الجراح إلى عامل الخراج في منطقة واسط الزراعية، حيث ورد فيها :"جميع نواحي واسط – أصلحك الله – من السواد المفتتح عنوة وليس بملكة السلطان – أعزه الله – فيباع لأنه فيئ للمسلمين يقوم مقام الوقف على جميعهم. وإنما تبايع أهليه فيه يجري مجرى السكنى لأجل ما أدوه ويؤدونه من الخراج وهو الكراء. ومن غرس في هذه الحريم نخلاً او شجراً، او زرعه غلة او خضراً، فقد نفع سلطانه – أعزه الله– وانتفع، وثمر ماله بما صنع."[٩]

---

(١) الصلح: كورة فوق واسط لها نهر يستمد من دجلة على الجانب الشرقي يسمى فم الصلح، الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٢١.

(٢) المبارك:هي نهر وقرية فوق واسط بينها وبين فم الصلح، الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٥، صص٥٠-٥١.

(٣) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٦٤.

(٤) أصحاب المناثر : هم الذين يجمعون ما تساقط وتناثر من المحاصيل بعد نقل الأجران.

(٥) النفائض : هو ما تساقط من الورق والقمح.

(٦) القناب: هو الورق المجتمع للذي فيه السبل.

(٧) الصابئ: الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٦٤.

(٨) المصدر ذاته.

(٩) المصدر ذاته، ص ٣٦٥

ومع ذلك فقد تبنى الوزير علي بن عيسى بن الجراح سياسة التوسع في الزراعة بهدف زيادة موارد بيت المال ومن أجل خير الجميع، إذ سمح الوزير للمزارعين في التجاوز على حرم الأنهار[١] وزراعتها بالبساتين أو نخلة الشتاء والصيف.[٢]

تمتع الوزير علي بن عيسى بن الجراح بالحرص الشديد في العمل على إنصاف الرعية ورفع الظلم عنهم وخاصة في أمور الخراج، لما يلحقهم من جرائه من تعسف في الجباية أحياناً فقد حدث أن تظلم أهل ديار ربيعه[٣] من ظلم لحقهم في معاملاتهم. فوجه الوزير برسالة إلى عاملها – حفظ لنا الصابئ نصها – وقد جاء فيها "..... وقد ورد الحضرة – أكرمك الله – جماعة من وجوه التناء والمزارعين بديار ربيعة متظلمين مما عوملوا به في سني إحدى واثنتين وثلاث عشرة وثلاثمائة من إكراههم على تضمن غلات يبادرهم بالحزر والتقدير، وإلزامهم حق الأعشار في ضياعهم على التربيع، واستخراج الخراج منهم على أوفر عبرة.[٤] قبل إدراك غلاتهم وثمارهم، وإكراه وجوههم وتجارهم على ابتياع الغلات السلطانية بأسعار مسرفة مجحفة، فأقلقني ما أفاضوا فيه من الشكوى، وآلمني ما انتهى إلى وصفه من عظيم البلوى، ووجدته – مع قبيح ذكره وعظيم وزره – عائداً بخراب الضياع ونقصان الارتفاع فينبغي – أكرمك الله– أن تجري سائر رعيتك على المعاملات القديمة، وتحملهم على الرسوم السليمة، حتى يعودوا إلى أفضل حال عهدوها وأجمل سيرة حمدوها، وتزيل السنن الجائرة وتبطلها، وتقطع أسبابها وتحسمها...".[٥]

---

(١) هي الأرض الزراعية التي تختلف عند انحسار مياه النهر عن جانبيه، وتسمى بأراضي " طرح النهر" وهي من أخصب الأراضي الزراعية، انظر : الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٢) الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص٣٦٥.

(٣) ديار ربيعه: بين الموصل إلى رأس عين نحو بقعاء الموصل ونصيبين ورأس عين ودنيسر والخابور وربما جمع بين ديار بكر وديار ربيعه وسميت كلها ديار ربيعة لأنهم كلهم ربيعة. الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٩٤.

(٤) أي على أوفر ما يكون من المحصول.

(٥) الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣٦٣. الدوري، **تاريخ العراق الاقتصادي**، مرجع سابق، ص ٢١٢. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٥٥. السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ص ٢٢٣-٢٢٤.

وقد حرص الوزير علي بن عيسى بن الجراح على عدم إرهاق الفلاحين في جباية الضرائب، ولا في فرض ضرائب إضافية عليهم، ففي سنة ٣٢١-٣٢٢هـ/ ٩٣٣-٩٣٤م شكا أهل الكوفة إلى علي بن عيسى بن الجراح – وكانت إليه منطقة واسط ومنطقة سقي الفرات– من ظلم العامل وسوء معاملته لهم في جباية الضرائب. إذ كان يثمن أسعار الفواكه بأعلى من سعر السوق، ثم يعمد إلى جباية الضريبة عليه نقداً على أساس هذا التقدير.[1] فقد ذكر الصابئ أن عامل الكوفة "....وكل بهم وسامهم حملها – أي ثمارهم – إلى البنادرة وأجرى أثمانها في خراجهم ليبقي عليهم عجزا يطالبهم به...." [2]، فكتب علي بن عيسى بن الجراح إلى العامل يأمره بتحصيل الخراج على أساس نظام المقاسمة في المحصول.[3]

ولما تقلد علي بن عيسى بن الجراح وزارته الأولى سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م بدأ يبكر إلى دار الوزارة بالمخرم[4] في كل يوم، ويعمل بها إلى آخر أوقات صلاة العشاء ثم ينصرف إلى داره وكتب إلى كل واحد من العمال يقررهم على مواضعهم ويأمرهم بالجد والاجتهاد في العمارة – أي عمارة الأراضي الزراعية[5]–. ويذكرهم بقرب موعد تحصيل الضرائب، فيقول في آخر كتابه "وهذا عنفوان السنة وأول الافتتاح ووقت جموم الخراج".[6]

كما كان يوعدهم ويتوعدهم في أمر مال السلطان وضرورة تحصيله وإرساله. إذ جاء في كتابه لعماله :"... أنه لا رخصة عندي ولا هوادة في حق من حقوق أمير المؤمنين أغضي عنه، ولا درهم من ماله أسامح فيه، ولا تقصير في شيء من أمور العمل أصبر لقريب أو بعيد

---

(1) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٨٦. الدوري، العراق الاقتصادي، مرجع سابق، ص ٢١٣. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ص ٥٦-٥٧.

(2) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٨٦.

(3) المصدر ذاته. الدوري، العراق الاقتصادي، مرجع سابق، ص ٢١٣. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٥٧.

(4) المخرم: هي محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى، وكانت فيها الدار التي يسكنها السلاطين البويهية والسلجوقية خلف الجامع المعروف بجامع السلطان. الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٥، ص ٧١.

(5) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٧. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٣٦. الدوري، العراق الاقتصادي، مرجع سابق، ص ٦١.

(6) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٧.

عليه....فإني أطالبك بذلك كما أطالبك بتوفير حقوق السلطان وتصحيحها وصيانة الأموال وحياطتها....".[١]

كذلك كان يحثهم على حمل المال من ولاياتهم إلى الخزينة المركزية في وقته ودون تأخير، فقد وجه رسالة إلى عامل طساسيج طريق خراسان جاء فيها :"... وأنت تعرف صورة الحال وتطلعي – مع شدة الضرورة – إلى ورود المال، وكان يجب أن تبعثك العناية على الجد في الجباية حتى ترد حمولك، ويتوصل ما نتوقع وروده من جهتك، ونشدتك بالله لما تجنبت مذاهب الإغفال والإهمال . وقرنت الجواب على كتابي هذا بمال تميزه من سائر جهاته وتحصله، وتبادر به وتحمله، فإن العين إليه ممدودة، والساعات لوروده معدودة. والعذر في تأخيره ضيق، وأنا عليك من سوء العاقبة مشفق. والسلام".[٢]

بالإضافة إلى مطالبتهم بعمل الحسابات من نفقات أو واردات للأموال في أقاليمهم وفي موعدها، ومنها أنه طلب من عامل كور الأهواز[٣] بالحساب عن هذه المناطق. وكان مجموع ذلك من مال الخراج ستة عشر ألف ألف وثمانمائة ألف درهم وكسر. سوى المال المفروض على الضياع في كور الأهواز والذي يقدر بنفس كمية مال الخراج تقريبا، ثم حمل هذا المال إلى الخزينة في بغداد.[٤]

ومما يؤكد حرص الوزير علي بن عيسى بن الجراح على رفع المظالم عن الرعية. وحماية دافعي ضريبة الخراج التي أصبحت مصدر الدخل الثابت لبيت المال، ما حفظه لنا الهمداني من رسالة وجهها علي بن عيسى بن الجراح إلى عماله. جاء فيها : " سبيل ما يرفعه إليك كل واحد من المتظلمين قبل النوروز من مظلمته، ويدعي أنه تلف بالآفة من غلته، أن

---

[١] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٧. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢٢١. Bowen, Ali Isa, op. cit., P. 125.

[٢] الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ص ٣٦٥-٣٦٦. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٧٢.

[٣] الأهواز: جمع هوز، وأصله حوز، وهي اسم للكورة بأسرها التي ينسب إليها سائر الكور، وهي سبعة كور بين البصرة وفارس . الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢٨٤-٢٨٥.

[٤] التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٥. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٠٦.

تعتمد في كشف حاله على أوثق ثقاتك، وأصدق كفاتك حتى يصلح لك أمره، فتزيل الظلم عنه وترفعه، وتضع الإنصاف موضعه، وتحتسب من المظالم بما يوجب عليه حسبه، وتستوفي الخراج بعده من غير محاباة للأقوياء، ولا حيف على الضعفاء، وأعمل بما رسم لك ما يظهر ويذيع ويشتهر ويشيع ويكون العدل به على الرعية كاملا. وللإنصاف شاملا، إن شاء الله".(١)

شاعت طريقة الضمان كوسيلة من وسائل جمع الأموال " حيث كان الضامن يتعهد بدفع مبلغ معين للخزينة سنويا مقابل السماح له بجباية ما يمكن جبايته من أهل الولاية التي تضمنها، حيث يصبح ما يجبيه ملكه له".(٢)

وقد أولى علي بن عيسى بن الجراح ضمان الأراضي الخراجية عناية كبيرة، لأن في تركه خراب البلاد، وفرض ضرائب إضافية، وتهدم إعمار الأرض الزراعية،(٣) إذ عارض علي ابن عيسى بن الجراح الوزير حامد بن ا لعباس عندما شرع في تضمن أعمال الخراج وضياع الخاصة والعامة والعباسية في السواد والأهواز وأصفهان بزيادة أربعمائة ألف دينار سنويا على الضمان العادي.(٤) وكان سبب معارضة علي بن عيسى بن الجراح لإدراكه مدى الظلم الذي سيلحقه الوزير حامد بن العباس بضمانه، ثم لتعارض الضمان مع سياسة علي بن عيسى بن الجراح الإصلاحية التي تقتضي فرض ضرائب معتدلة وشرعية وإصلاح أحوال المزارعين.(٥) بالإضافة إلى أن " مذهب حامد في ضبط الرعية وإحداث السنن وضرب الأبسار معروف، ومن عمل بهذه السيرة فهو لا محالة يوفر سنة أو أكثر، ثم تخرب خرابا لا يتلافى في سنين، فيبطل الارتفاع، ويسئ الذكر".(٦)

(١) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٨. الهمداني،التكملة، مصدر سابق، ص ٢٠٣. الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، مرجع سابق، ص ٢١٣. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٩٩.

(٢) الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ١٩١. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ١٤٧.

(٣) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٦٢. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

(٤) مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٧٤. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ص ٥٩-٦٠. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

(٥) الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٧٠.

ولما عقد الخليفة المقتدر بالله الضمان على حامد بن العباس، لحاجته المستمرة للأموال، وفشل علي بن عيسى بن الجراح في معارضته، بدأ علي بن عيسى بن الجراح يلح على الوزير حامد بن العباس لحمل المال المقرر عليه إلى الخزينة دون تأخير.[١]

كما أرسل علي بن عيسى بن الجراح إلى رؤساء الدواوين الذين عينهم الوزير حامد بن العباس لإدارة شؤون ضمانه " بإخراج العبر[٢] من دواوينهم بعبر السنين القريبة لأنها أوفر". ثم حدد لهم قيمة ما سيخرجه كل واحد منهم من العبر عن كل ناحية من نواحي الضمان، مضافا إليه النفقات الراتبة، إذ كان يوصيهم بقوله :" فأخرج عبرة المحمول[٣] والمسبب[٤] مع مال النفقات الراتبة [٥]في نواحي السواد والأهواز لسنة من ثلاث سنين أولاهن سنة ثلاث وأخراهن سنة خمس وثلثمائة، ثلاثة وثلاثين ألف ألف درهم"، أما أراضي الضياع الخاصة والمستحدثة والعباسية والفراتية "فأخرج ثمانية ألف ألف درهم وثمانمائة ألف درهم"،وأما عبرة مال أصبهان مع النفقات الراتبة " ستة آلاف وثلاثمائة ألف درهم" فيكون مجموع مال العبرة لهذه الأراضي إضافة إلى مال النفقات الراتبة لسنة واحدة ثمانية وأربعين ألف ألف درهم ومائة ألف درهم، ثم يضاف إليها الزيادة السنوية التي بذلها الوزير حامد بن العباس مقابل ضمانه التي قدرت بخمسة آلاف ألف من قيمة ضمانه البالغ أربعمائة ألف دينار فيكون مجموع ذلك في السنة الواحدة ثلاث وخمسون ألف ألف وتسعمائة ألف درهم.[٦]

---

[١] الصابئ، الهفوات النادرة، مصدر سابق، ص ٢٨٢. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص١٠٤.

[٢] العبرة: هي أخذ متوسط الايرادات المالية لسنة مرتفعة الإيراد وأخرى منخفضة الإيراد وتجمعهما ويأخذ نصفهما (الوسط الحسابي). انظر: التنوخي، نشوار المحاضرة، مصدر سابق، ج٨، ص ١٢٧. محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، مفاتيح العلوم ، ط١، دار المناهل، بيروت، ١٩٩١، ص ٧٣. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص١٠٤.

[٣] المحمول: أو (الحمول) هي الأموال التي تحمل إلى بيت المال، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، مصدر سابق، ص ٧٤.

[٤] المسبب : أو (التسبيب) أن يسبب رزق رجل على مال متعذر ليعين المسبب له العامل على استخراجه فيجعل وردا للعامل وإخراجا إلى المرتزق بالقلم. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، مصدر سابق، ص ٧٤.

[٥] النفقات الراتبة : هي النفقات الثابتة التي لا بد منها. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، مصدر سابق، ص ٧٣.

[٦] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ص ٧٠-٧١.

ولما كان علي بن عيسى بن الجراح هو صاحب الحل والربط في وزارة حامد بن العباس فقد عمد إلى عزل أحمد بن بسطام[١] من جند قنسرين[٢] والعواصم[٣]. وذلك لعدم ثقته به. وقلد مكانه أحد أصدقائه من المادرانيين وهو أبو علي الحسن بن أحمد المادرائي،[٤] نظرا لكفاءته وقدرته على ضبط الأحوال المالية. وعلى الرغم من صداقته معه فقد قرر عليه مقدار الخراج عن أقاليم ولايته – مصر وبلاد الشام –. مبلغ ثلاثة آلاف ألف دينار، بالإضافة إلى نفقات الجيوش وغيرها، يتم إرسالها إلى الخزينة المركزية.[٥]

وفي سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م جنح يوسف بن أبي الساج[٦] إلى التحدي والانفصال عن جسم الدولة، آملا في أن يكون له حظ في الاستقلال بإحدى ولايات الدولة وخاصة في أذربيجان والري وقزوين كغيره ممن نجح في ذلك. فاحتاج علي بن عيسى بن الجراح إلى الأموال لينفقها في محاربة ابن أبي الساج، فطلب من المقتدر بالله مبلغ مائتي ألف دينار من بيت مال الخاصة، فلم يجبه الخليفة إلى طلبه، مما الجأ الأمر علي بن عيسى بن الجراح العمل على تأخير أرزاق

---

[١] أحمد بن بسطام : صهر حامد بن العباس، وزير المقتدر، ضمن واسط أيام المعتضد وعجز عن سداد بدل الضمان، فحبسه المعتضد ثم أطلقه وأعاده إلى عمله، وفي سنة ٢٩٦هـ، قلده ابن الفرات مصر ثم صادره ولده المحسن على ثلثمائة ألف دينار. التنوخي، نشوار، مصدر سابق، ج٦، ص٢٠٠.

[٢] قنسرين : هي كورة بالشام منها حلب، وكانت مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم. الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٤، ص ٤٠٤.

[٣] العواصم : حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وإنطاكية وقصبتها إنطاكية، الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٤، ص ١٦٥.

[٤] الحسن بن أحمد المادرائي: يقال له أبو زنبور: من نبلاء الكتاب في عصر بني طولون، قلده المكتفي خراج مصر سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م، وأقره المقتدر ثم سخط عليه وصادره وأعاده إلى مصر مع مؤنس الخادم فمات بدمشق. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج٣، ص٢٤٣.

[٥] الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣٠١-٣١٠هـ، ص ٢٦.

[٦] يوسف بن أبي الساج : كان يتقلد أعمال أرمينية وأذربيجان بضمان مائة وعشرين ألف دينار للمقتدر سنة ٢٩٦هـ . وفي سنة ٣٠٤هـ بعد عزل علي بن عيسى أظهر العصيان للاستقلال ومحاربة مؤنس الخادم وظفر به وأسره سنة ٣٠٦هـ/ وحبس عند زيدان القهرمانة. انظر : مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٣٧. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٤٤ وما بعد. الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ص ٢١٠-٢١١. ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ص ٩٩-١٠٠.

تولى علي بن عيسى بن الجراح الإشراف على خراج مصر وبلاد الشام في وزارة عبيد الله بن محمد بن خاقان سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م. بتأثير من مؤنس الخادم، فوجد العمال هناك يتطاولون على المال العام بكثرة الإنفاق الذي يستغنى عنه دون رقيب، ومن ذلك أنه مر على جسر قارون وكان خربا، فقدر النفقة على إصلاحه بعشرة دنانير، غير أن القائمين على هذه الأعمال كانوا يقدرون كلفة الإنفاق لإصلاحه بستين ألف دينار. فلما وجد الأمر على مثل هذه الحال، قال: لعن الله أمر السلطان إذا انتهى إلى هذا الحد.(١)

تقلد علي بن عيسى بن الجراح وزارته الثانية سنة ٣١٤هـ/ ٩٢٦م، فرأى اختلال النواحي في وزارة كل من الخاقاني والخصيبي، ونقصان الارتفاع من الضرائب المفروضة على الأرض الخراجية، بالإضافة إلى تضاعف النفقات. إذ وجد أن نفقات السلطان زائدة على دخله زيادة مفرطة.(٢) فضلا عن الزيادة المفرطة أيضا التي حصل عليها الرجالة عند ورود أبي سعيد الجنابي (القرمطي)، وكان مقدارها مائتين وأربعين ألف دينار في السنة.(٣)

بدأ الوزير علي بن عيسى بن الجراح وزارته الثانية بالنظر في " تخفيف المؤن وحذف الكلف ونقص الخرج، والمضايقة في الجاري والرزق، ورد كثير مما وقع به أبو علي الخاقاني من الإثبات والزيادات".(٤) وكانت هذه الزيادات قد " لحقت القواد وسائر أصناف الجند، ولحقت الخدم والحاشية وجميع الكتاب والمتصرفين، وكانت كثيرة".(٥) حيث نظر في أرزاق الرجالة المصافية الذين كان مقدار أرزاقهم يصل إلى ثمانين ألف دينار ، إضافة إلى أرزاق رجال مؤنس المظفر وقدره ستمائة ألف دينار في كل سنة باستثناء الرجالة منهم والحجرية فإن أرزاقهم كانت تطلق مع نظرائهم من فرق الجيش الأخرى. وكان رجال مؤنس يحصلون على أرزاقهم من نواح اختارها مؤنس يعود غلتها عليهم.-ولعل هذا ما تطور إلى الإقطاع العسكري

---

(١) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٤٧.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٨٤. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٤٠.

(٣) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٤٠.

(٤) المصدر ذاته ص ٣٠٦. الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ٢٠٤. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مصدر سابق، ص ٧٣.

(٥) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص٢٩. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ص ٣٠٢-٣٠٣. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٧٣.

لاحقا- فأراد علي بن عيسى بن الجراح التقليل من أرزاق هؤلاء. ثم أخذ ينظر في أرزاق خلفاء الحجاب والحشم والمتطببين والفرسان الذين هم برسم التفاريق، والمنجمين والفراشين والطبلخين والساسة وسائر المرتزقة من الخدم ممن يأخذون أرزاق أكثر مما يقدمون من خدمات للدولة.(١)

كما نظر إلى الأرزاق الجارية على رؤساء الدواوين والخدم والحشم وغيرهم. فعمل على إنقاص أرزاق رؤساء الدواوين من الثلثين إلى النصف. كما جعل راتب صاحب ديوان السواد – وكان يرأسه الكلوذاني – خمسة آلاف درهم بدلا من خمسمائة دينار، وجعل راتب صاحب ديوان المشرق مائة دينار شهريا، وراتب صاحب ديوان الخاصة والمستحدثة مائة دينار ايضا، كذلك عمد إلى إسقاط أرزاق الكتاب وأولاد الكتاب الذين كانوا يحضرون الدواوين ولكنهم لا يعملون بها، كما أسقط أرزاق غلمان وأسباب رؤساء الدواوين، ولكنه اقتصر على بعض الغلمان وجعل لهم أرزاق عشرة أشهر في السنة، وجعل أرزاق أصحاب البرد والمنفقين ثمانية أشهر في السنة، كما أسقط أرزاق الكتاب والتجار الذين كانوا مسجلين في سجل الفرسان والرجالة برسم النوبة ولا يحملون السلاح، ثم أسقط أرزاق الأولاد الذين في المهود، بالإضافة إلى إسقاط أرزاق الخدم والحشم والجلساء والندماء والمغنين وأصحاب العنايات(٢) وأرباب الشفاعات.(٣)

ويفهم من ذلك كله مقدار العجز المالي الذي كانت تعاني منه الخزينة المركزية جراء النفقات المفرطة التي كان بالإمكان الاستغناء عنها. كما يفهم من ذلك مقدار الضعف والخلل الذي أصاب منصب الوزارة بحيث أصبح الوزراء عاجزين عن تحسين أحوالها، لأن همهم الأول والأخير هو حيازة الأموال بشتى الوسائل دون الالتفات إلى الأوضاع المالية السيئة التي كانت تعاني منها الدولة، إذ كان هؤلاء الوزراء يجرون الأرزاق على كل من يمتلك مفاتيح القوة من فرق الجيش والكتاب والخدم والمقربين من السلطان بهدف الحفاظ على مناصبهم كوزراء، وأخيرا فإن إصلاحات الوزير علي بن عيسى بن الجراح هذه لتدل على محاولات الوزير الجادة لتحسين أحوال الدولة المالية، بالإضافة إلى إعادة الهيبة لمنصب الوزارة بإشرافه المباشر على كل صغيرة وكبيرة.

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٧.

(٢) أصحاب العنايات : هم المقربين من أصحاب السلطة، المهتم لأمرهم بحيث يعتنى بهم.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٢. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٤٠. السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ٢٠٥. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٧٤،٨٠.

ولما كان الوزير علي بن عيسى بن الجراح حريصا على الاقتصاد في النفقات التي أنهكت خزينة الدولة. فقد نظر إلى نفقات مطبخ الخليفة نفسه، فوجدها مرتفعة بالإضافة إلى أنها تؤخذ وتنفق على ما لا يحتاج إليه الخليفة، فعمد الوزير إلى إسقاط هذه النفقات.(١) كما أنقص أرزاق الفراشين من الزيت والشمع في الشتاء نظرا لقصر ساعات العمل فيه، ولما عوتب على ذلك قال : أليس إذا احتاجوا إلى زيادة طلبوها وزيدوا ؟ وكذلك إذا وقع نقصان فليوفروه.(٢)

يتضح من ذلك أن الوزير علي بن عيسى بن الجراح حاول -قدر الإمكان- أن يتدارك العجز المالي الذي أصاب بيت المال، حتى بالاقتصاد بالأمور الصغيرة، والتي شنع عليه الوزير علي بن الفرات بها بقوله : " وشغلت نفسك بأخلاق المملكة والنظر في علوفة البط، والحطيطة من أرزاق الناس، وما جرى هذا المجرى من الصغار المستهجنات، لعمارة بيدر واحد أصلح للسلطان وأعود عليه من توفيرك ما تقربت به إليه".(٣)

غير أن الوزير علي بن عيسى بن الجراح لم يأبه بكلامه لمعرفته أن النظر في دقائق الأمور سيؤدي إلى النظر في كبائرها، وأجاب على ذلك بقوله : " لا تتعجب من ذلك، فإن لكل أمر حظا من النظر والتفقد، ولو لم نتفقد الصغير لأضعنا الكبير، وهذه أمانة لا بد من أدائها في قليل الأمور وكثيرها، ولما إنا نظرنا في هذا الدقيق ساعة فكذلك ننظر في الجليل ساعة نظرا يؤدي إلى استخلاص البلد العظيم، وتحصيل المال الجسيم وإعادة الشاذ إلى الطاعة، وتأتي من التوفير بما يضعف على أرزاقنا للسنين الكثيرة، وإذ علم معاملونا إنا نراعي أمورهم هذه المراعاة، لزموا الأمانة، وخافوا الخيانة".(٤)

وفي سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م تجرد الوزير علي بن عيسى بن الجراح لحفظ الأموال المتوفرة لديه في بيوت الأموال، وعمل جهده على أن لا يضيع منها درهم واحد، فعمل على جمع أموال

---

(١) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ص ٣٧٩-٣٨٠. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٧٣.

(٢) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٨٠. Bowen, **Ali Ibn Isa**, op. Cit, P. 134.

(٣) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٧٨. متز، **الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٧٣. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ١٠٥.

(٤) الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٧٩. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ١٠٦.

النواحي، وأنفذ الرسل إلى العمال لحمل الأموال من أقاليمهم إلى بغداد، فاستطاع أن يجمع مبلغا كبيرا،صرفه كله لحرب أبي سعيد الجنابي القرمطي.[١]

وقد ظهر حرص علي بن عيسى بن الجراح في المحافظة على أموال بيت المال أنه وقبل عزله عن الوزارة سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م بعشرين يوما كتب إلى أبـي عبد الله البريدي يأمره باستخراج ما أقر به ابن مابنداذ – وكان يشرف على الأهواز– أنه اجتمع في بيت مال الأهواز من مال الأهواز مبلغ ألف ألف وخمسون ألف درهم. مضافا إلى ذلك ما حمله القاسم بن دينار – وكان يشرف على فارس وكرمان – من مال فارس وكرمان وقدره سبعمائة ألف درهم. زائدا عليه ما حمله أبو علي بن رستم – وكان يشرف على أصفهان – من مال أصفهان وقدره أربعمائة وخمسون ألف درهم، فيكون مجموع ما طالبه به ألفي ألف ومائتي ألف درهم. فحصل البريدي جزءا من هذا المال، ثم عزل علي بن عيسى بن الجراح عن الوزارة قبل تحصيل بقية المال.[٢]

وقد أورد الصابئ أن الوزير علي بن عيسى بن الجراح منع أخته أسماء من جرايات أجراها لها الوزير أبو الحسن بن الفرات بعد أن عرف حالها واختلال أمرها. ورد عليها الضيعة التي قبضت من والد زوجها محمد بن داود بكوثي[٣] ونهر درقيط[٤]، مما يدل على شدة احتياطه وحرصه على المال العام، وعدم صرفه على الأكارب دون حق شرعي.[٥]

لم يقف أمر عناية علي بن عيسى بن الجراح بأموال الولايات والأقاليم وبيوت الأموال بل تعدى الأمر ذلك إلى العناية بأملاك الخليفة وبيت ماله الخاص، إذ أورد التنوخي أن علـي بن عيسى بن الجراح سأل الخليفة المقتدر عن سبحة من الجوهر تمت مصادرتها من ابن الجصاص، قدرت قيمتها بثلاثمائة ألف دينار، فقال المقتدر : في الخزنة، فقال علي بن عيسى

---

[١] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٨١.

[٢] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٨٦.

[٣] كوثي : في ثلاثة مواضع، بسواد العراق في أرض بابل (وهي المقصودة هنا) وبمكة وهي منزل بني عبد الدار خاصة. الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٤، ص ٤٨٧.

[٤] درقيط : كورة ببغداد من جهة الكوفة. الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٥١.

[٥] المصدر ذاته، ص ١٦٦. Bowen, Ali Ibn Isa, op. Cit, P. 118

بن الجراح: تطلب فطلبت، فلم توجد، فأخرجها علي بن عيسى بن الجراح من كمه وقال: عرضت علي – أي للبيع – فاشتريتها، فإذا كانت خزانة الجوهر لا تحفظ فما الذي يحفظ.(١)

كذلك بلغ اهتمامه الأراضي الموقوفه، فعمل على زيادتها، واستغلالها ورعاية مصالحها، ففي سنة ٣٠١هـ/٩١٣م أشار على المقتدر : "بوقف مستغلات بمدينة السلام – تصل غلتها نحو ثلاثة عشر ألف دينار سنويا– والضياع الموروثة بالسواد الجارية في ديوان الخاصة – وارتفاعها نيف وثمانون ألف دينار – على الحرمين والثغور، فقبل الخليفة رأيه وأشهد بذلك القضاة والشهود على نفسه".(٢)

عندما شرع علي بن عيسى بن الجراح في الاستعفاء من الوزارة سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م "وقف أملاكه واعتق عبيدة ".(٣) مما يدل على أنه كان يستغل أملاكه الخاصة طلبا للأجر والثواب وحتى يتخلص من المصادرة. ولما أقام في مكة بعد عزله "وجد الماء ضيقا على أهلها، وأصحاب السلطان يسخرون جمال الناس وحميرهم لنقله من جدة إليها، فابتاع عددا كثيرا من الجمال والحمير ووقفها على حمل الماء، وأقام لها العلوفة الراتبة، ومنع من السخرة، وحفر بئرا عظيمة في الحناطين.(٤) فخرجت عذبة شروبا – أي صالحة للشرب – وسماها الجراحية، وابتاع عينا غزيرة بألف دينار، وفتحها ووسعها حتى كثر ماؤها، واتسع الماء بمكة ووصل الرفق إلى أهل الضعف والمسكنة".(٥) كما أقنع الخليفة وأمه بالعمل على بناء قناة لسحب المياه إلى مكة.(٦)

---

(١) التنوخي، **الفرج بعد الشدة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٢٤. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢٢٨.

(٢) التنوخي، **الفرج بعد الشدة**، مصدر سابق، ص ٢٢١. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ص٣١٠–٣١١. الحموي، **معجم الأدباء**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٨٩. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مصدر سابق، ج١٥، ص ٣٠٠. الدوري، **تاريخ العراق الاقتصادي**، مرجع سابق، ص ٥٨. جمال الدين سرور، **الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٣) الذهبي، **دول الإسلام**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٨.

(٤) الحناطين، موضع بمكة بالقرب من المسجد الحرام كانت تقع فيه دار السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد. انظر: الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٨٦.

(٥) الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣١١. Bowen, **Ali Ibn Isa**, op. Cit, P. 128 ، الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ص ٨٦–٨٧.

(٦) Sourdeal, **Le Vizirat**, op. Cit., P. 402. ،Bowen, **Ali Ibn Isa**, op. Cit, P. 128

كما حرص علي بن عيسى بن الجراح على استخراج الأموال المنهوبة من الوزراء السابقين بالمصادرة، علها تساعد في حل الأزمات المالية، فقد عمل معظم وزراء هذه الفترة على سلب أموال الدولة بالباطل إما بالرشوة أو بالضمان أو بمد الأيدي إلى بيوت الأموال، مما يجعل الوزير في النهاية عرضة لسياسة المصادرة من قبل الخليفة أو الوزير الجديد أو حتى قادة الجيش. فبدأ علي بن عيسى بن الجراح بمناظرة الخاقاني فقال له : أخربت الملك، وضيعت الأموال، ووليت بالعناية، وصانعت على الولايات بالرشوة وزدت على السلطان أكثر من ألف ألف دينار في السنة.[١]

كذلك عمل الوزير علي بن عيسى بن الجراح على مناظرة الخصيبي، فكان أول ما سأله عن مبلغ المال الذي جمعه من الخراج والضياع وسائر النواحي، بالإضافة إلى مال المصادرين ومال الضمانات التي ضمنها من عماله زائدا على ذلك كفالات من كفله منهم. إذ كان الخصيبي قد ضمن إبراهيم بن المسمعي أعمال فارس وكرمان مقابل زيادة مالية على ضمان من سبقه، ولكي يضمن المسمعي تحقيق هذه الزيادة بالإضافة إلى بعض الربح فإنه ولا شك قد أرهق الفلاحين بالضرائب الجائرة، لذلك انتقد علي بن عيسى بن الجراح أسلوب الخصيبي هذا بقوله : أما علمت أن حفظ الأصول أولى من طلب الربح.[٢] ثم بدأ يسأله عن رزق ابنه الذي كان يأخذه وهو" لا يقرأ كتابا ولا يحضر الديوان ولا يحسن أن يعمل شيئا".[٣] –وكان مقداره ألفي دينار– وفي نهاية المناظرة جمع علي بن عيسى بن الجراح مجموع ما أنفقه الخصيبي فكان على النحو التالي:[٤]

١– راتب الوزير (٥ آلاف دينار في الشهر)	٧٠ ألف دينار في أربعة عشر شهرا
٢– رزق ابن الوزير وارتفاع ضيعة الوزير	١٨٠ ألف دينار في أربعة عشر شهرا
٣– نفقات راتبه (٢٥٠٠ دينار في الشهر)	٣٥ ألف دينار في أربعة عشر شهرا
٤– نفقات حادثة وصلات ومؤنة مع ثمن طيب وكسوة	٢٠ ألف دينار
٥– ثمن عقارات أضافها الوزير لداره مع نفقات البناء	٤٠ ألف دينار

---

[١] عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٤٣.

[٢] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٤. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٣٧.

[٣] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٤.

[٤] المصدر ذاته، ص ص ١٥٥–١٥٦.

٦-ثمن هدايا للخليفة وابنيه والسيدة والخالة وزيدان ومفلح في النوروز والمهرجان. ٣٥ ألف دينار

٧- ثمن بغال ودواب وجمال وخدم وغلمان ١٠ آلاف دينار

٨- نفقات أخرى إلى من برسم دار الوزارة من خلفاء الحجاب والبوابين وأصحاب الرسائل وإنزال الفرسان والرجالة ٢٠ ألف دينار

فيكون بذلك مجموع ما أنفقه الخصيبي في سنة واحدة يصل إلى أربعمائة وعشرة آلاف دينار" .

ولما كان أمر الوزير علي بن عيسى بن الجراح من الضبط وتجعد الكف، ووضع الأمور مواضعها، وحفظ الأموال عما يتخرمها – أي يهلكها – ويتحيفها – أي ينقصها – ثقل على الحواشي وخدم الدار عما ألفوه مع علي بن الفرات وأبو القاسم بن الخاقاني من بسطهم وبلوغ أغراضهم وزياداتهم في أنزالهم وأرزاقهم، ثقل على الجماعة أمره فاتفق في بعض المرات أن حذف برقعة وقعت على صدره، فقرأها، فإذا بها أبيات شعرية قد هجي بها واستبعد موته ومدته، فقلبها، وكتب على ظهرها أبيات شعرية بين فيها إيمانه بالقضاء والقدر.[١]

ولما كان مذهب الوزير علي بن عيسى بن الجراح الإكثار من أعمال البر والإحسان حتى صار " لله به عناية "[٢]، فقد اتصف بحبه للبذل والعطاء في سبيل الله من ماله الخاص، إذ كان ينفق نصف ما يرتفع – دخله – إليه من ضياعه على الطالبيين والعباسيين – أي الهاشميين – والأنصار وأولاد المهاجرين، بالإضافة إلى الإنفاق على مصالح الحرمين الشريفين – مكة والمدينة – حيث قدر مجموع ما يرتفع إليه نيف وثمانون ألف دينار في السنة، كان ينفق منها نيف وأربعين ألف دينار في وجوه البر والإحسان. أما باقي المبلغ فكان يستبقيه لنفقته.[٣] ويذكر

---

[١] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ص ٣٨١-٣٨٢. أما أبياته الشعرية فهي :

لي مـــدة لا بد أبـــلغها ... معلومة فإذا انقضت مــت

ولو ساورتني الأسد الضارية ... تغلبتها ما لم يجي الوقــت

[٢] الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج١٥، ص ٢٩٩. انظر : البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٤.

[٣] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ص ٣٤٨-٣٤٩. متز، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٦٧. سرور، الحضارة الإسلامية في الشرق، مرجع سابق، ص ٤٠.

الصابئ أن الوزير علي بن عيسى بن الجراح أراد بناء دار له في بغداد، فقدرت نفقة البناء بمائة ألف درهم، ولما جمع المال من ارتفاع ضيعته، أمر خازنه ابن ما شاء الله أن ينفق هذا المبلغ في ضعفاء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي فقراء المسلمين ومساكينهم، فأخرج الخازن المال، وامتثل أمر الوزير وفرقه عليهم.[١] وكان علي بن عيسى بن الجراح يقول : كسبت سبع مئة ألف دينار، أخرجت منها في وجوه البر ستمائة ألف وثمانين ألفا.[٢]

ولما استولى أبو عبيد الله البريدي[٣] على بغداد في خلافة المتقي لله سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م خافه الناس، وخافوا على علي بن عيسى بن الجراح من التعذيب والقتل مما يدل على مدى محبتهم له حتى وهو خارج العمل الوزاري، فجمعوا له مالا لنفقه طريق هروبه إلى الموصل، غير أنه رفض ذلك وقال : أيهرب مخلوق من مخلوق؟ اصرفوا ما أعددته لنفقة الطريق إلى الفقراء.[٤]

وحتى يتم علي بن عيسى بن الجراح عدالته فقد أجرى لائمة المساجد والمؤذنين وللفقراء الذين يتخذون من المساجد ملجأ لهم رواتب جارية،[٥] وحاول جاهدا أن يسد العجز في خزينة الدولة. إذ استغنى عن المال الذي كان يرتفع برسم الوزراء من ضياع الوزراء، فقد كان خلفاء بني العباس يقطعون وزراءهم الإقطاعات بالإضافة إلى المرتبات الشهرية. وقد بلغت إيرادات إقطاع الوزارة أحيانا مائة وسبعين ألف دينار.[٦] فقد كتب إلى المقتدر بتوفير هذا المال وجعله

---

[١] الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣١٢. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٩٠.

[٢] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مصدر سابق، ج١٥. ص ٣٠٠. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٨٩.

[٣] أحمد بن محمد البريدي : أبو عبد الله، توفي سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م، بعد أن حم حمى شديدة بعد قتله أخاه أبا الحسين ، تولى الوزارة للمتقي سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م، مرتين. ابن كثير، **البداية والنهاية**، مصدر سابق، ج١١، ص ٢٢.ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٤١٠. ابن الطقطقي، **الفخري**، مصدر سابق، ص ص ٢٨٤-٢٨٥.

[٤] الحموي، **معجم الأدباء**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٩٠.

[٥] ابن الأثير: **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، صص ٦٨-٦٩. الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص٨٦.

[٦] الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٢٥١. متز، **الحضارة الإسلامية** ، مرجع سابق، ص ١٢٧. شوقي ضيف، **العصر العباسي الثاني**، ط٦، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٢٣.

في خزينة الدولة، خاصة وأنه كان يكتفي مما يرتفع إليه من ضيعته الخاصة. إذ كان يقول :" ضيعتي تكفيني".[١] كما أخبر المقتدر أنه يستغني عن راتب الوزارة الذي كان يقدر بخمسة آلاف دينار ثم أصبح سبعة آلاف دينار.[٢] ولكن المقتدر أصر على علي بن عيسى بن الجراح أن يقبض ما كان برسم الوزراء من مال الضياع ورواتب الوزارة، إلا أن علي بن عيسى بن الجراح حلف أن لا يقبض أي رزق مقابل عمله كوزير.[٣]

ومما يدل على أن علي بن عيسى بن الجراح كان راغبا عما يرتفع من مال ضياع الوزراء ما قاله ابن الفرات عن ضياع إقطاع الوزارة " قد كانت الضياع في يد علي بن عيسى عشر سنين هي أيام وزارته، وأيام نظره مع حامد، فما ارتفع منها إلا أربعمائة ألف دينار".[٤]

ولما رأى المقتدر اجتهاد وزيره علي بن عيسى بن الجراح على هذه الصورة قال: لقد استحييت من ظلمي قبل هذا له، وأخذي المال منه، ثم أمر المقتدر برد ما أخذ منه إليه فاشترى بها علي بن عيسى بن الجراح ضياعا ووقفها على أهل مكة والمدينة.[٥]

ويعزو بعض المؤرخين الفضل في إنشاء مصرف رسمي في الدولة إلى علي بن عيسى ابن الجراح [٦]، فقد ذكر التنوخي أن هذا الإجراء استمر لمدة ستة عشر عاما ٣٠١-٣١٦هـ/٩١٣-٩٢٨م. وكان الخليفة يرى أن يستمر هذا المصرف حتى تستطيع الدولة عن طريقه الاقتراض سواء عن طريقه مباشرة او عن طريق التجار الذين سمح لهم بالمعاملة مع المصرف.[٧] إذ كانت حالة الخزينة الحرجة قد اضطرته في وزارته الأولى أن يدفع الجهبذين[٨]

---

[١] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٩. الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ٢٥١.

[٢] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٩. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٨٨.

[٣] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ص ٩-١٠. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٨٨.

[٤] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٦٦.

[٥] عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ١١٤. ابن الأبار، أعتاب الكتاب، مصدر سابق، ص ١٨٥.

[٦] التنوخي، نشوار المحاضرة، مصدر سابق، ج٨، ص ٤١. الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، مرجع سابق، ص ١٨٨. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ص ٧٦-٧٧.

[٧] التنوخي، نشوار، مصدر سابق، ج٨، ص٤٢. انظر: الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص٩٣.

[٨] الجهبذ : كاتب برسم استخراج المال وقبضه وكتب الوصولات به، وعليه عمل الرزنجمات والختمات -

اليهوديين يوسف بن فنخاس وهارون بن عمران إلى تأسيس مصرف للدولة، فقد استدعاهما إلى حضرته وقال لهما : "إني احتاج في كل هلال إلى مال أدفعه في ستة ايام من ذلك الشهر إلى الرجالة مبلغه ثلاثون ألف دينار، وربما لم يتجه في أول يوم من الشهر ولا الثاني، وأريد أن تسلفاني في أول كل شهر مائة وخمسين ألف درهم، ترتجعانها من مال الأهواز في مدة الشهر، فإن جهبذة الأهواز إليكما، فيكون هذا المال سلفا لكما أبدا واقفا. لأضيف إلى هذا المال الوظيفة التي على حامد التي ترد في أول كل شهر، وهي عشرون ألف دينار، فيكون ذلك بإزاء مال القسط الأول من النوبة فيخفف عني ثقل ثقيل".[1]

كذلك كان علي بن عيسى بن الجراح يعمد إلى الاقتراض من التجار الأموال ويدفع لهم (سفاتج)[2] كانت ترد إليه من الأقاليم لم يحن موعد دفعها، إذ اقترض مبلغ عشرة آلاف دينار مقابل (ربح) دانق[3]ونصف فضة في كل دينار.[4] مما يضطره أن يدفع لهم مبلغ ألفين وخمسمائة درهم في كل شهر كزيادة على المال المقترض.[5]

ويشكك الزهراني في صحة هذه الرواية، إذ يدل ظاهر الأمر على وقوع علي بن عيسى بن الجراح في الربا، وهو يتصف بالورع والتقوى والنزاهة، ويفسر الزهراني تشكيكه في أنه " قد تكون هذه الرواية مدسوسة عليه لأغراض شخصية، أو أنه نفذ أمر صدر إليه من دار الخلافة".[6] ثم يرجح رأيه بقوله " والراجح لدي أنها من الروايات المشبوهة بحقه".[7] ولعل

وتواليها، يطالب بما يقبضه ويخرج ما يرفعه من الحساب اللازم له من الأموال الديوانية. أحمد بن الخطير بن مماتي (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز عطية، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١، ص ٣٠٤.

(١) التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٨، ص ٤١.

(٢) سفاتج : أي أن يعطي رجلا مالا للآخر وللآخذ مال في بلد المعطي، فيوفيه اياه، وهي أهم أداة للمعاملات المستندة إلى الائتمان لتجنب أخطار الطرق، ابن منظور، **لسان العرب**، ج٣، ص ١٢٣. الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، مصدر سابق، ص ٧٤.

(٣) الدانق : ١/٦ درهم، وكل درهم = ٦ دانق، كل دينار = ١٥ درهم، وذلك سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م.

(٤) الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٩٣. الدوري، **تاريخ العراق الاقتصادي**، مرجع سابق، ص ١٩٧.

(٥) التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٨، ص ٤١. الصابئ، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٩٣.

(٦) الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٧٨.

(٧) المرجع ذاته، ص ٧٩.

الوزير علي بن عيسى بن الجراح قد اباح المحظور للضرورة الملحة للخروج من الأزمة المالية المستحكمة، أو أنه أجبر من قبل الخلافة على هذا العمل.

ويكاد يجمع المؤرخون على تقوى علي بن عيسى بن الجراح وورعه وزهده وشدة احتياطه للأمور الصغيرة والكبيرة.[١] وعلى الرغم من اتفاق (متز) مع غيره من المؤرخين على تقوى علي بن عيسى بن الجراح إلا أنه يكيل له التهم مما يتعارض مع صفات علي بن عيسى بن الجراح السابقة، فقد اتهمه بداية بالكذب لأنه لم يصدق الخليفة المقتدر عندما راسله ليقر بما عنده من أموال بعد عزله في وزارة حامد.[٢] فذكر علي بن عيسى بن الجراح أنه لا يقدر إلا على ثلاثة آلاف دينار ثم وجد له عند رجل سبعة عشرة ألف دينار، ولما ضيق ابن الفرات وولده المحسن على علي بن عيسى بن الجراح، قرر عليه مبلغ ثلاثمائة ألف دينار، يعجل منها الثلث في مدة شهر، ثم يؤدي البقية على رسم المصادرات.[٣]

إن مثل هذا الاتهام ينبغي أن يتم أخذه بحذر ثم الرجوع إلى المصادر التاريخية للتأكد منه فعندما اتخذ (متز) وجود مبلغ سبعة عشر ألف دينار لعلي بن عيسى بن الجراح عند رجل ذريعة للطعن فيه. كان علي بن عيسى بن الجراح يجيب الوزير ابن الفرات عن ذلك بقوله :" هذا رجل – أي من وجد عنده المال – قلدته – أي ابن الفرات – مال ضياع البر[٤] والجهبذة، وعنده أموال حاصلة، فإما أن يكون المال منها، أو تكون قد أخذت ماله ونسبته إلي وأكرهته على أن يكتب خطه بذلك".[٥] فلم يستطع الوزير ابن الفرات أن يجيب على ذلك، أو قد يكون هذا المال دين لعلي بن عيسى بن الجراح على هذا الرجل ولم يحن موعد سداده لذلك لم يقر به

---

[١] التنوخي، نشوار المحاضرة، مصدر سابق، ج٨، ص ١٢٥. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٦. الثعالبي، تحفة الوزراء، مصدرسابق، ص ٥٤. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٧٩. الجاجرمي، نكت الوزراء، مصدر سابق، ص ٧٧. متز، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٦٩٠. اليوزبكي، الوزارة، مرجع سابق، ص ص ١٦٢-١٦٣. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ١٢٦.

[٢] متز، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٦٩.

[٣] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٠٩. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣١٦.

[٤] سيأتي الحديث عنه في باب الإدارة من هذا الفصل.

[٥] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣١٦.

الوزير، أما استجابة علي بن عيسى بن الجراح لدفع مبلغ ثلاثمائة ألف دينار فإنه كان تحت الضغط والتهديد وحتى التعذيب من قبل المحسن . إذ كان علي بن عيسى بن الجراح قد رفض أن يكتب خطه بأداء المال إذ قال :" لا أكتب بما لا أفي به ولو قطعت يدي" ثم قال : "إذا كتبت بما لا أتمكن منه وقع المكروه بحجة وأن وقع بي الآن كنت مظلوما"[١]، وقد تأكد ذلك من قول المقتدر في علي بن عيسى بن الجراح "ما أشك في أن علي بن عيسى خير عند الله من المحسن".[٢]

ومن الشواهد التي استشهد بها (متز) أيضا على كذب علي بن عيسى بن الجراح، أنه كذب في الإقرار بمبلغ ارتفاع ضياعه خوفا من المصادرة.[٣]

فقد حدث أن وبخ علي بن عيسى بن الجراح أبا عبد الله البريدي لأنه حلف للسلطان أن استغلال ضيعته عشرة آلاف دينار، وهو في الحقيقة ثلاثون ألف دينار، فقال البريدي بأنه اقتدى في ذلك بعلي بن عيسى بن الجراح الذي حلف لابن الفرات أن ارتفاع ضيعته عشرون ألفا، فوجد بعد ذلك خمسين ألفا.[٤]

ويبدو أن (متز) لم يدرك معنى ما قاله البريدي في نهاية كلامه، إذ قال في حق علي بن عيسى بن الجراح "وعلمت أنه مع ديانته لو لم يعلم إن التقية مباحة عند من يخاف ظلمه لما حلفت بتلك اليمين".[٥] مما يعني أن الكذب على السلطان الجائر لحفظ الحقوق الخاصة أمر مباح.[٦]

واستشهد متز للدلالة على تقصير علي بن عيسى بن الجراح في عمله على أنه "فرط في

---

[١] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١١٠. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٢٤.

[٢] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٢٤.

[٣] متز، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٦٩.

[٤] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٠٩. متز، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٦٩.

[٥] متز، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق ص ١١٠.

[٦] انظر :يحيى نب شرف الدين النووي (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، الأذكار المنتخبة وكلام سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم (د.م)، (د.ط.)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٨.

تضمين الشام ومصر، وترك مالا معجلا إلى مال مؤجل لايدري ما يجري فيه".[١] ويبدو أن علي بن عيسى بن الجراح قد تهاون في تضمين بلاد الشام ومصر إلى المادرائيين، فهو لم يأخذ منهما تتمة المال الذي كانا يؤدانه لابن الفرات في وزارته الثانية " صلحا عن خراج ضياعهما بمصر والشام وما أخذاه من المرافق عند تقليدهما الأعمال" في أيام إشرافه على وزارة حامد بن العباس وكذلك فهو لم يأخذ منهما ما بقي عليهما من مال المصادرة الذي طالبهما به الخاقاني.[٢]

وقد برر علي بن عيسى بن الجراح عمله هذا بقوله : كنت في الوقت كاتبا لحامد، وخليفة له على الأعمال، ومتصرفا على أمره في كبير الأمور وصغيرها، وهو ذكر لي عن أمير المؤمنين أنه أمر بإسقاط هذا المال. ووقع بذلك توقيعا كتبت في آخره بامتثاله كما يفعل خليفة الوزير فيما يأمر به صاحبه".[٣]

ثم بدأ الوزير ابن الفرات يقارع علي بن عيسى بن الجراح للإيقاع به، ولأخذ اعترافه منه بالتقصير إذ قال له : أنت كنت تعارض حامد في كل أحواله، وتخاصمه في اليسير مما يخرج عليه من مال ضمانه.... فلم تركت أن تستأذن السلطان في مثل هذا المال الجليل". فكان رد علي بن عيسى بن الجراح على ذلك أن أمر المادرائيين جرى قبل تعيينه مشرفا على وزارة حامد، لكن الوزير علي ابن الفرات أخذ يجاري علي بن عيسى بن الجراح ويتتبع قوله إذ قال له: فلما اعتمد عليك أمير المؤمنين ألا صدقته عن غلط حامد فيماغلط به وفرط فيه؟[٤]

أما المال المعجل الذي تركه علي بن عيسى بن الجراح إلى مال مؤجل لم يأخذه من الحسين بن أحمد المادرائي عن مال الضمان عن مصر والشام، فقد تذرع علي بن عيسى بن الجراح بـ "تغلب العلوي بأفريقية على أكثر تلك النواحي ما دعا إلى خروج مؤنس المظفر وانصراف المال في نفقاته وأعطيات الجند، وانكسر الباقي لأجل هذه الحادثة".[٥] غير أن ابن

---

[١] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٠٧. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣١٥. متز، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٦٩.

[٢] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٠٦. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣١٤.

[٣] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٠٦. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣١٤.

[٤] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٠٧. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣١٤.

[٥] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٠٧. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣١٥.

الفرات لم يقتنع بهذا الأمر وأجاب بقوله: "انهزم هذا العلوي منذ سنتين فهل أدى مالهما كاملا؟".(١)

وفي آخر الأمر اعترف علي بن عيسى بن الجراح بالتفريط الذي وقع منه وسأل ابن الفرات قبول عذره، بعد أن أخذ خطة بإقامة الحجة عليه وأنه قد رضي بحكم المقتدر فيه.

ويبدو أن الوزير ابن الفرات كان يعرف كيف يعمل على تحصيل الأموال من منافسيه باتهامهم بالخيانة والسرقة، ويذكر (Bowen) أن ابن الفرات ابتكر أسلوبا جديدا في تحصيل الأموال من الموظفين المعزولين، بافتراضه أنهم يحصلون على الرشاوي، لذلك كان يطالبهم بإعادتها بدفع مبالغ يحددها هو بشكل عشوائي.(٢)

وأخيرا فإن المستشرق (متز)، وبعد كل ما عرضه من شواهد لتدل على عدم نزاهة وورع علي بن عيسى بن الجراح، يصرح بخيانة علي بن عيسى بن الجراح، بل إنه يصنفه إلى جانب غيره من الوزراء الذين كانوا قد اشتهروا بالخيانة والرشوة والسرقة إذ يقول " فقد تقلد منصب الوزارة في أوائل القرن الرابع وزراء ثلاثة.(٣) يختلف أحدهم عن صاحبه كل الاختلاف، ولا يجمع بينهم إلا خصلة واحدة هي الخيانة التي بها انتهبوا خزانة الدولة".(٤)

أمام هذا الاتهام الصريح من قبل المستشرق (متز)، فالباحث لم يجد في المصادر ما يقدح في سيرة علي بن عيسى بن الجراح الذاتية والعملية، إلا الاتهامات التي كالها (متز) له. وللرد على مثل هذه الاتهامات أكتفي بعرض بعض أقوال الخلفاء والفقهاء والعلماء والمؤرخين الذين أثنوا على شخص علي بن عيسى بن الجراح وعلى إصلاحاته الإدارية والاقتصادية والتي كان لها أثر في إعمار البلاد وزيادة العمارة وتضاعف الزراعة.(٥)

فمن أقوال الخلفاء فيه. قول المقتدر بالله " ولم يبق من يصلح بتدبير المملكة غيره لأمانته ودينه".(٦)

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١١١. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣١٥.

(٢) Bown, Ali Ibn Isa, op. Cit, P. 153.

(٣) هم ابن الفرات والخاقاني وعلي بن عيسى بن الجراح.

(٤) متز، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ص ١٧٠-١٧١.

(٥) الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ٢٠. انظر: الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص١٤٤.

(٦) ابن ا لأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ٥٣. ولمزيد من التعرف على أقوال الخلفاء والأمراء في علي بن عيسى بن الجراح، انظر : الزهراني: الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٤١.

ومن أقوال الفقهاء والعلماء، قول وكيع القاضي " لقد فعل الوزير - أي علي بن عيسى- في هذه القصة – أي إلغاء مال التكملة – كفعل أبي بكر رضي الله عنه في مطالبة أهل الردة بالزكاة". وقول الزجاج النحوي " لقد حكمت بحكم لو كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاضرا ما تجاوزه".[١]

ومن أقوال المؤرخين، قول الذهبي "كان في الوزراء كعمر بن عبد العزيز في الخلفاء".[٢] وقول ابن كثير "كان من خيار الوزراء، واقصدهم للعدل والإحسان واتباع الحق"[٣]. وقول الخطيب البغدادي " إنه كان صدوقا عفيفا دينا محمودا في وزارته"[٤]، وقول ابن الطقطقي "كان شيخا من شيوخ الكتاب فاضلا ، دينا، ورعا متزهدا"،[٥] وقول الجاجرمي أنه كان: "......أعف الناس يدا ولسانا وبطنا وفرجا".[٦]

على الرغم المحاولات الجادة من بعض الوزراء، الذين حاولوا السباحة ضد تيار الضعف والانهيار لإصلاح الوضع المالي وتعديل ميزانية بيت المال. ازدادت الحالة سوءا بسبب كثرة النفقات وسوء الإدارة من جهة وعدم إتاحة الفرصة للجهود الإصلاحية المضنية التي باشرها هؤلاء الوزراء أملا في أن تؤتي ثمارها، فقد حدث أن عمل علي بن عيسى بن الجراح على تخفيض رواتب الفرسان عام ٣٠١هـ/ ٩١٣م من مائة وخمسين ألف دينار شهريا إلى خمسين ألف دينار.[٧] ثم طالب الجند بزيادة بعد القبض على الحسين بن حمدان سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م. فاضطر الوزير إلى زيادة الفرسان ثلاثة دنانير لكل فارس، وللرجالة خمسة عشر قيراطا لكل راجل.[٨] وأخيرا فإن تهاون الخليفة المقتدر في دعمه للإصلاحات الاقتصادية التي يقوم بها

---

[١] التنوخي، نشوار المحاضرة، مصدر سابق، ج٨، ص ١٢٥.

[٢] الذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٣٨.

[٣] ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج١١، ص ١٢٠.

[٤] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٤.

[٥] ابن الطقطقي، الفخري، مصدر سابق، ص ٢١٦.

[٦] الجاجرمي، نكت الوزراء، مصدر سابق، ص ٧٧.

[٧] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ص ٤٣. الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٧٩.

[٨] عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٥٦. الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ٢٠٨.

علي بن عيسى بن الجراح زاد من سوء الحالة المالية في الدولة، إذ عمد المقتدر بالله سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م، إلى زيادة أرزاق الجند ما قيمته مائتين وأربعين ألف دينار في السنة.(١)

اضطربت أمور الدولة الإدارية والمالية بعد عزل الوزير علي بن عيسى بن الجراح عن الوزارة سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م. ويذكر الدوري أن الخزينة صارت غير قابلة لأي إصلاح بعده.(٢)

إن المبالغ الكبيرة في عهد الخليفة المقتدر بالله ٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٧-٩٣٢م ينبغي النظر إليها بحذر لأن غالبية المصادر التاريخية تشير إلى أنه انفق ما تركه المكتفي، بالإضافة إلى ما كان يرد إلى دار الخلافة من الأقاليم من الخراج المفروض على الأراضي الخراجية، لذلك نلاحظ صور العجز المالي الذي اتسمت به فترة حكمه الطويلة، ولكن ما يثير الاستغراب هو كثرة الإيرادات على النفقات مما يعني أن الدخل كان أكثر من الخرج، مع وجود الأزمة المالية، وذلك حسب ما تشير إليه القائمة المفصلة بالموارد المالية للدولة التي عملها الوزير علي بن عيسى بن الجراح لميزانية الدولة لسنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م.(٣) والتي تشير إلى مجموع واردات الدولة من الخراج الأعشار ورسوم الجوالي وواردات الضياع، مقارنة مع ما تشير إليه قائمة ثانية مفصلة للنفقات عملها الوزير علي بن عيسى بن الجراح لنفس السنة.(٤) ويبدو أن الإيرادات لم تكن جميعها تحمل إلى خزينة بيت المال.

تشير قائمة الموارد المالية المفصلة التي عملها الوزير علي بن عيسى بن الجراح لميزانية الدولة لعام ٣٠٦هـ/٩١٨م الى مجموع دخل الدولة من الخراج والأعشار ورسوم الجوالي وواردات الضياع، وهذه القائمة مقسمة الى أربعة اقسام هي: جباية السواد، جباية المشرق، جباية المغرب، وجباية الاموال الخاصة، ويتضح من خلال هذه القائمة:

- كثرة المبالغ المالية المجباة من اقاليم الدولة العباسية.
- اشتملت القائمة على جباية ثلاث أقاليم موزعة على النحو التالي:-

---

(١) ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٨٣. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ١٢٩. Bowen, **Ali Ibn Isa**. Op. Cit., P. 271، الزهراني، **الوزير علي بن عيسى**، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٢) الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

(٣) انظر ملحق رقم (٢).

(٤) انظر ملحق رقم (٣).

أ- منطقة السواد ب- منطقة المشرق: وهي كل ما يقع من المناطق شرق دجلة.

ج- منطقة المغرب: وهي كل ما يقع من المناطق غرب دجلة حتى حدود مصر.

- اشتملت القائمة على قوائم بجباية الاموال الخاصة وكانت موزعة على النحو التالي:-

أ- ضياع واسط ب- ضياع هيت ج- الضياع العباسية

د- الأراضي الموقوفة هـ-الضياع الفراتية.

- اشتملت القائمة على ضرائب مالية متنوعة نذكر منها:-

- الصدقات ، عشور التجارة، الخراج ، ضرائب النقود، الجزية، أموال الارتفاقات، خراج الشجر، أموال الجهبذة، وأموال الأخماس.

- ورد في الموارد الخاصة بالمغرب او ما أطلق عليه (جباية المغرب) أموالا غير معروفة الأصول او المصادر فمثلا يرد كثيرا كلمة (مال) فقط دون ذكر الجهة التي ورد منها المال.

- وردت القائمة بنقد موحد وعملة موحدة وهي الدينار فقط، ولعل ذلك راجع الى مدى توفر الذهب او الفضة آنذاك وبقيمتها في السوق.

ويتضح من القائمة السنوية المفصلة لنفقات الدولة العباسية التي عملها الوزير علي بن عيسى بن الجراح لعام ٣٠٦هـ/٩١٨م ما يلي:

- إنها عملت لنفقات قصر الخلافة فقط. فقد خلت من ابواب النفقات العامة الاخرى والنفقات الادارية والعسكرية.

- ورد تقدير زيادة النفقات بالدراهم اذ كانت النفقات تزيد على الواردات بمقدار (١٤,٨٢٩٨٤٠) درهم. مع ان القائمة وردت بكاملها بالدنانير الذهبية.

- اختلفت عدد أيام شهور الجاري او تقدير النفقات ما بين (٣٠) يوما و(٣٧) يوما و (٤٥) يوما و (٥٠) يوما ثم قسطت بعض النفقات لأخذ نفقات شهر واحد من ثلاثة أشهر.

- ورد في آخر القائمة ان أجرة حمل الشعر تفوق سعره. اذ كان ثمن الشعير المحمول لعلوفة الدواب (١٦٨٥٥) دينار ، بينما كانت أجرة حمله (٣٣٩٠٠) دينار.

- تعكس المبالغ الشهرية المنفقة على دار الخلافة البذخ والترف اللذين ساعدا على استحكام الأزمة المالية، اذ بلغت قيمة النفقات الشهرية (١'٠٣١'٥٥٧) دينار.

د- سياسة الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح الإدارية والمالية :-

- سياسته الإدارية :

تولى الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد الوزارة العباسية على ثلاث دفعات متقطعة لثلاثة خلفاء، وقد امتازت هذه الوزارات الثلاث بصفة واحدة هي قصر عمرها، لذلك نكاد لا نرى في المصادر ما يدل على قيام الوزير بأي إجراءات إدارية سوى ما قام به في أثناء توليه وزارته الأولى للخليفة المقتدر بالله سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م.[١] إذ أقر أكثر ممن كان على سائر الدواوين بالإضافة إلى إجراء بعض التغييرات التي استهدفت تعيين الأقارب والأصدقاء في بعض الدواوين المختلفة وكل ذلك تم بموافقة الوزير علي بن عيسى بن الجراح الذي كان يتولى مهمة الإشراف على وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح، فقد أقر الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح عبيد الله الكلوذاني على دواوين السواد والأهواز بفارس وكرمان وقلد ابنه أحمد ديوان المشرق واستخلف عليه من يتولاه له، وقلد ابنه أبا محمد ديوان الفرات، وقلد أبا العباس أحمد بن عبيد الله الخصيبي الإشراف على أعمال فارس، ورد إليه الحرية في التعيين والعزل دون الرجوع إليه. كما قلد محمد بن علي المادرائي أعمال مصر.[٢]

وفي سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م استوزر الخليفة الراضي سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح، متأملا تحسين الأحوال الإدارية وحتى المالية المتردية في الدولة، غير أن ذلك لم يمنع من سير إدارة الدولة وأحوالها المالية نحو الهاوية، إذ لم يستطع الوزير مجابهة الأزمات التي تعرضت لها الدولة.[٣] وعندها اضطر الخليفة الراضي إلى استحداث منصب أمير الأمراء، حيث فقد الوزير سلطاته التي انتقلت إلى أمير الأمراء، واقتصر عمل الوزير على الإشراف على مالية الخليفة نفسه.[٤]

---

(١) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ١٢٧. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٥.
Sourdeal, Ibn Makhlad, E.I., op. cit., VIII P. 859.

(٢) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ص ١٤٧-١٤٨. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٥.

(٣) مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٥٠. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٣٠٣.
السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٤) اليوزبكي، **الوزارة**، مرجع سابق، ص ١٨٢.

- سياسته المالية :

أصبحت الخزينة المركزية في عهد ا لخليفة المقتدر بالله غير قابلة لأي إصلاح خاصة بعد عزل الوزير علي بن عيسى بن الجراح عن الوزارة سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م. وفي سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م تقلد الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح الوزارة للمقتدر. ويشير الدوري أن الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح أدرك أن المورد الرئيسي لسد حاجة الدولة اللازمة للنفقات المختلفة في بيع الضياع السلطانية. وعلى الرغم من قيامه بهذا الإجراء الذي من شأنه أن يساعد في توفير بعض الأموال اللازمة للنفقات إلا أن هذه الضياع لم تكن تكف لسد العجز الحاصل في الخزينة.[١]

ولما لم يستطع الراضي أن يسد العجز الحاصل في الميزانية، اضطر إلى بيع بعض أملاك الدولة، ولكنها أيضا لم تكف للقيام بنفقاتها، فعمد إلى استحداث منصب أمير الأمراء، مقابل مبلغ من المال، غير أن أمير الأمراء " استحوذ على أموال العراق ونقل أموال بيت المال إلى داره، ولم يبق للوزير تصرف بالكلية، ووهى أمر الخلافة واستقل نواب الأطراف بالتصرف فيها، ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد ومعاملاتها".[٢]

ويذكر مسكويه أن أموال النواحي صارت " تحمل إلى خزائن الأمراء، فيأمرون وينهون فيها، وينفقونها كما يرون، ويطلقون لنفقات السلطان ما يريدون، وبطلت بيوت الأموال"[٣]. وبذلك زال نفوذ الوزير من الناحية العملية، ولم يبق له غير الاسم فقط، والحل والربط بيد أمير الأمراء وكاتبه.

هـ- سياسة الوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح الإدارية والمالية :

تولى الوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح الوزارة للخليفة الراضي سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م.[٤] وكان الراضي " آخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش، وآخر خليفة كانت له نفقته وجوائزه

---

[١] الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص٢٢٩. جمال الدين سرور، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٢.

[٢] ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٢٣. اليوزبكي، الوزارة، مرجع سابق، ص ١٨١.

[٣] مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٣٥٢. انظر : ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٢٣.

[٤] الصولي، أخبار الراضي والمتقي، مصدر سابق، ص ٨١. المسعودي، مروج الذهب، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٢٣.

وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه، وأموره كلها تجري على ترتيب المتقدمين من الخلفاء، رغم انعدام الأموال وسوء الأحوال ".[١]

ونظرا للظروف السيئة السائدة في الدولة في عهد الخليفة الراضي فقد عجز الوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح عن تدبير أمور الدولة الإدارية والمالية على حد سواء وذلك لانقطاع المواد عن بغداد بسبب انقطاع وارد البصرة وواسط والأهواز.[٢] وقلة الأموال فطلب من الراضي أن يقرضه عشرة آلاف دينار للنفقة -فهو بذلك يريد استغلال أموال بيت مال الخاص لمصلحة بيت المال العام- مما أغضب الخليفة الراضي عليه فقبض عليه وعزله عن الوزارة.[٣]

لم يجد الخليفة الراضي الشخصية الوزارية التي يمكن معها حل المشاكل المالية والإدارية السيئة التي تعاني منها الدولة، باستثناء الوزير علي بن عيسى بن الجراح الذي رفض تولي الوزارة، غير أنه وافق على مساعدة أخيه عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح في الإشراف على شؤون الوزارة، فأول عمل قام به هو تحديد قيمة النفقة اليومية بمبلغ ثلاثة آلاف دينار، من أجل حصر النفقات الزائدة قدر الإمكان، إذ خصصت أقاليم السواد والبصرة وواسط والشام ومصر لهذا الغرض، وبقي الأمر على هذا الترتيب حتى خلافة المطيع.

و- ثقافة الكتاب ومؤهلاتهم العلمية وأثر وزراء آل الجراح في الحركة العلمية:

لخصت رسالة عبدالحميد الكاتب أهمية الكتاب ومكانتهم في الدولة إذ قال: "حفظكم الله يا أهل هذه الصناعة، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم، فإن الله جل وعز جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين ... ومن بعد الملوك، سوقا، وصرفهم في صنوف الصناعات التي سبب منها معاشهم، فجعلكم معشر الكتاب في أشرفها، صناعة أهل الأدب والمروءة والحلم والروية، وذوي الأخطار والهمم وسعة الذرع في الافضال والصل، بكم ينتظم الملك، وتستقيم للملوك أمورهم، وبتدبيركم وسياستكم يصلح الله سلطانهم، ويجتمع فيهم وتعمر بلادهم، ويحتاج إليكم الملك في عظيم ملكه، والوالي ... من ولايته، لا يستغني عنكم منهم أحد، ولا يوجد كاف إلا منكم،

---

[١] نقلا عن اليوزبكي، الوزارة، مرجع سابق، ص ١٧٨.

[٢] مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٨٩. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٣٨. الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ٣٠٠.

[٣] مسكويه، تجارب الأمم، مصدرسابق، ج١، ص ٢٣٨. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٢٣٥.

فموقعكم منهم موقع أسماعهم التي بها يسمعون، وأبصارهم ... وألسنتهم ... وأيديهم التي بها يبطشون"[1]

هناك ثقافة عامة للكتاب ينبغي ان يتحلى بها كل كاتب، فكانت معارفهم متنوعة وثقافتهم واسعة، كاتقان اللغة وآدابها وعلوم الدين وعلم الكلام والتاريخ وأنواع أخرى من المعرفة، من رسائل المتقدمين ومن الأشعار والأخبار والسير لتكون عونا للكاتب.[2]

ويفترض في ثقافة الكتاب ان تشمل جانبا من علوم الأوائل بالاضافة الى العلوم العربية والاسلامية، لذا طلب عبدالحميد الكاتب من الكتاب ان ينظر "في كل صنف من صنوف العلم فإن لم يحكمه شدا منه شدوا يكتفي به، يكاد يعرف في غزيرة عقله، وحسن أدبه، وفضل تجربته، ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره... فنافسوا معشر الكتاب في صنوف العلم والأدب، وتفقهوا في الدين، وابدأوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض، ثم العربية، فإنها ثقاف ألسنتكم، وأجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار، واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم، وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسعون إليه بهممكم، ولا يضعفن نظركم في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج منكم"[3]

وقد انتقد الجاحظ الكتاب في العصر العباسي لعدم اهتمامهم بالثقافة الدينية بقوله: "لم ير كاتب قط جعل القرآن سمير، ولا علمه تفسيره، ولا التفقه في الدين شعاره، ولا الحفظ للسنن والآثار عماده، فإن وجد الواحد منهم ذاكرا شيئا من ذلك لم يكن لدوران فكيه به طلاقة، وإن آثر الفرد منهم السعي في طلب الحديث ... وكتب المتفقهين استثقله أقرانه وقضوا عليه بالإدبار في معيشته والحرفة في صناعته، حيث حاول ما ليس في طبعه ..."[4]

وتتبين سعة ثقافة الكتاب وتنوعها في العصر العباسي الثاني من مطالعة أخبار وزراء آل الجراح ومعرفة مؤهلاتهم العلمية والثقافية، إذ كانوا يتمتعون بثقافة واسعة أهلتهم لتولي منصب الوزارة.

---

(1) نقلا عن محمد عبدوس الجهشياري (ت٣٣١هـ/٩٤٢م) الوزراء والكتاب، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٨٨، ص٥٠-٥١.
(2) أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت٣٣٨هـ/٩٣٩م) العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت، ١٩٤٠، ج٤، ص٢٢٨.
(3) الجهشياري، الوزراء والكتاب، مصدر سابق، ص٥١.
(4) عمر بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ/ م) رسائل ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٦٤، ج٢، ص١٩٤.

"اجتمعت الآراء على أنه ينبغي أن يكون وزير الملك يجمع الأصل والفضل، والقول الفصل، والأدب الجزل، والرأي الثاقب، والتدبير الصائب".(١)

لقد نشأ وزراء آل الجراح في بيت علم وأدب ومعرفة، وأكثروا من مجالسة العلماء والفصحاء من الشعراء، حتى كان لهم حظ وافر من العلم، أثروا به الخزانة العلمية في العالم الإسلامي من خلال ما ألفه بعضهم من كتب في العلوم الدينية والتاريخ والأدب والشعر، فقدموا فكرهم وجهدهم وعطاءهم للدولة الإسلامية.

شكل الحسن بن مخلد بن الجراح أول شخصية وزارية من أسرة آل الجراح تتولى الوزارة العباسية، حيث قام بأعبائها حتى وصف بأنه الوزير الأكمل إذ كان " أحد رجال العصر سؤددا ورأيا وشهامة، وكتابة وبلاغة وفصاحة ونبلا".(٢)

اتصل الحسن بن مخلد بن الجراح بأهل العلم، لحبه له ولأهله، فقد كان يصلهم بصلاته ويكثر من مجالستهم، وقد زاد حبه للعلم اتصاله بإبراهيم بن العباس الصولى.(٣) الذي كان على قدر من الأدب والعلم، وعلى الرغم من شدة تعلق الحسن بن مخلد بن الجراح بالعلم والعلماء إلا أن حظه فيه كان قليل.(٤) إذ لا تذكر المصادر التاريخية وجود مؤلفات تحمل اسمه، ويبدو أنه فضل أن يبرع في مجال العمل الديواني والإداري والمالي على أن يتفرغ للكتابة والتأليف.

وكان الوزير الحسن بن مخلد محبا للشعر والشعراء، إذ وصف بأنه كان شاعرا بليغ القول ، ولا يقدم في وقته أحد عليه ولا يقاس به.(٥)

---

(١) الثعالبي، آداب الملوك، مصدر سابق، ص ١٣٠.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج١٣، ص ٧.

(٣) هو كاتب العراق في عصره، أصله من خراسان، نشأ في بغداد وتأدب وقربه الخلفاء، فكان كاتبا للمعتصم والواثق والمتوكل، وتنقل في الأعمال والدواوين إلى أن مات متقلدا ديوان الضياع والنفقات بسامراء، له من الكتب (ديوان الرسائل) و (ديوان شعر) و (كتاب الدولة) و (كتاب العطر) و (كتاب الطبيخ). انظر : البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر سابق، ج٦، ص ص ١١٥– ١١٦. ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج١، ص ٤٤ وما بعد. محمد كرد علي، أمراء البيان، ط٣، دار الأمانة، بيروت، ١٩٦٩. ص ٢٢١–٢٥٣.

(٤) التنوخي، الفرج بعد الشدة، مصدر سابق، ج١، ص ٢١١. المقريزي، المقفى، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٥٨.

(٥) المقريزي، المقفى، مصدر سابق، ج٣، ص ص ٤٥٨–٤٥٩. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج١٣، ص ٨.

إن مما يحتاج إليه الملوك من وزرائهم عند استيزارهم " أن يكون كاتبا مرسلا، خطاطـا، أديبا، حافظا للتواريخ وأيام الناس وسير الملوك، وأخبار المتقدمين من الأمم الماضية، وأن يكون عالما بمخرجات الملوك كلها، لا يخفى عليه وجه من الوجوه فإذا علم أهل الخدمة أن الوزير عالم بالخدمة لم يقدموا على إدخال داخلة".[١]

لم يستمر الوزير محمد بن داود بن الجراح في وزارته سوى يوم واحد فقط، إذ لم يسعفه ذلك من القيام بإجراءات إدارية أو حتى مالية تخلد اسمه، غير أن ذلك لم يمنع من وجود تراث أدبي يحمل اسمه.

اتصف الوزير محمد بن داود بن الجراح بالعلم وخاصة في مجال الشعر والتاريخ، إذ " لم ير في زمانه أفضل منه"،[٢] فقد كان عالما، أخباريا، عارفا بأيام الناس، وأخبار الخلفاء والوزراء ودول الملوك[٣]، وأديبا من علماء الكتاب في بغداد، اتصل بالعلماء والفصحاء والشعراء وأخذ عنهم.[٤]

وقد زود الوزير محمد بن داود بن الجراح المكتبة الإسلامية في عصره من تراثه الأدبي بمجموعة من المؤلفات في التاريخ والأدب، وهذه المؤلفات هي: [٥]

أ- كتاب (الورقة) سماه بذلك لأنه في أخبار الشعراء ولا يزيد في خبر الشاعر الواحد على ورقة.

ب- كتاب (من سمي من الشعراء عمرا في الجاهلية والإسلام).

---

[١] قدامة بن جعفر، **الخراج**، مصدر سابق، ص ٤٨.

[٢] ابن النديم، **الفهرست**، مصدر سابق، ص ١٤٢. اليافعي، **مرآة الجنان**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٧٠.

[٣] البغدادي، **تاريخ بغداد**، مصدر سابق، ج٥، ص ٢٥٥. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج ١٣. ص٩١. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ٢٩١-٣٠٠هـ، ص ٦٣.———، **العبر**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٣٢. ابن كثير، **البداية والنهاية**، مصدر سابق، ج١١، ص ١١٧. الصفدي، **الوافي**، مصدر سابق، ج٣، ص ٦١. الحنبلي، **شذرات الذهب**، مصدر سابق، ج٣، ص ٤١٠.

[٤] التنوخي، **نشوار المحاضرة**، مصدر سابق، ج٥، ص ١٠. الثعالبي، **تحفة الوزراء**، مصدر سابق، ص ١١٦. البغدادي، **تاريخ بغداد**، مصدر سابق، ج٥، ص ٢٥٥.

[٥] ابن النديم، **الفهرست**، مصدر سابق، ص ٢٠٦. الصفدي، **الوافي**، مصدر سابق، ج٣، ص ٦٢. الزركلي، **الأعلام**، مرجع سابق، ج٦، ص ١٢. كحالة، **معجم المؤلفين**، مرجع سابق، ص ١٨٤.

في بيته شيوخ العلم، فيصلهم بكرمه وصلاته.[١] ولما كان بيته مقصد العلماء ومجتمعهم، فقد كثرت فيه المناظرات العلمية، والتي كان يتصدى لمعظمها الوزير نفسه، ومن جملة هذه المناظرات ما حدث سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م، وبينما كان الوزير علي بن عيسى بن الجراح يجلس للمظالم، فجئ إليه برجل زعم أنه نبي مدعيا أن خاتم النبوة في ظهره، فلما رآها الوزير وجدها نتوء في الجسد – كالغدة – فقال له : هذه سلعة الحماقة، وليس بخاتم النبوة، فأمر بضربه وتقييده وحبسه.[٢]

وأما أشهر مناظرات الوزير علي بن عيسى بن الجراح، فهي مناظرته للحسين بن منصور الحلاج.[٣] إذ انتشرت الإشاعات في بغداد أن الحلاج يحيى الموتى، وأن الجن يخدمونه، ويحضرون له ما يختاره ويشتهيه. وقد أظهر إلى علي بن عيسى بن الجراح أن بعض الكتاب في القصر يعبد الحلاج، فبعث الخليفة المقتدر به إلى علي بن عيسى بن الجراح ليناظره فخاطبه خطابا فيه غلظة. فقال الحلاج لعلي بن عيسى بن الجراح : قف حيث انتهيت، ولا تزد عليه شيئا وإلا قلبت عليك الأرض، فتهيب علي بن عيسى بن الجراح من مناظرته واستعفى المقتدر منه.[٤] وقيل أن الوزير ناظره ولم يجد عنده شيئا من العلوم، ولم يجده يحسن من القرآن شيئا، ولا من الفقه، ولا من الحديث، ولا حتى من العربية فقال له الوزير : تعلمك الوضوء والفرائض أولى من رسائل لاتدري ما فيها، ثم تدعي الألوهية.[٥] ويبدو أن الوزير اقتنع أن الحلاج من كبار المتعبدين الزهاد. إذ أنه خالط الصوفية، وقبله متقدميهم معهم، فقيل فيه : الحسين بن

---

(١) الجاجرمي، **نكت الوزراء**، مصدر سابق، ص ٧٧.

(٢) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٥٥. المقريزي، **المقفى**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٦٩.

(٣) الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٤٧. عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٧٩ وما بعدها. البغدادي، **تاريخ بغداد**، مصدر سابق، ج٨، ص ١١٢ وما بعدها. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٢١٩ وما بعدها. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٣، ص ٢٠٤. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٢٦. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٠٢. متز، **الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ج٢، ص ٥٩-٦٠.

(٤) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٨٠. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢١٤. البغدادي، **تاريخ بغداد**، مرجع سابق، ج٨، ص ١١٢.

(٥) ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٢٠٤. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٠٢. ابن العبري، **مختصر تاريخ الدول**، مصدر سابق، ص ١٥٦.

منصور عالم رباني، ومن نفاه عن الصوفية نسبه إلى الشعبذه في فعلـــه، وإلــى الزندقــة فــي عقده.[١]

كان بيت الوزير علي بن عيسى بن الجراح ملتقى العلماء والأدباء تجري فيه المنـــاظرات العلمية والدينية، وقد كان الوزير على علاقة حميمة مع المؤرخ الكبير محمد بن جرير الطـبري، صاحب التاريخ المعروف بـــ (تاريخ الرسل والملوك). ولما كان الطبري فقيها ومحدثا. فقد كـان يتصدر كثيرا لمناظرة الحنابلة خاصة، الذين كانوا يرمونه بالرفض والإلحاد لأنه -كمـــا يزعـم (متز) جمع كتابا ذكر فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل، فسئل في ذلك، فقال: "لـم يكن فقيها وإنما كان محدثا"[٢]. وقد حدث أن حضر الطبري إلى دار الوزير علي بن عيسى بـن الجراح لمناظرة الحنابلة، فحضر هو، ولكن الحنابلة لم يحضروا.[٣] ويبدو أنهم تهيبوا من وجـود الوزير علي بن عيسى بن الجراح الذي كان على دراية تامة بأمور الفقه، كما يبدو أن الطـبري أراد أن يكون الوزير حكما بينه وبين الحنابلة.

كما كان الوزير على علاقة طيبة مع الكاتب قدامه بن جعفر المقدســـي صـــاحب كتـاب (الخراج وصناعة الكتابة)، إذ كان قدامة يستشير الوزير فيما يكتب ومرد ذلك لمـــا يتمتـع بـه الوزير من علم ومعرفة ، فقد ذكر التوحيدي أن قدامة بن جعفر عرض كتابه – ولعله الخـــراج- على الوزير علي بن عيسى بن الجراح سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، فوجده الوزير قـــد بـالغ وأحســن، وتفرد في وصف فنون البلاغة في المنزلة الثالثة، بما لم يشاركه فيه أحد من طريق اللفظ، ممـــا يدل على المختار المجتبى المعيب المتجنب".[٤]

ولم يقف حب الوزير للعلم والعلماء بمجالستهم، وإجراء المناظرات بحضرته فقط بل أنه رفـد المكتبة الإسلامية في عصره بمجموعة من الكتب، ألفها في العلوم الدينية والتاريخ، حملت اسمه، غير أنه لم يصل إلينا من هذه الكتب شيء، بل كان الضياع هو رأس مالها وهذه الكتب هي:[٥]

---

(١) البغدادي، **تاريخ بغداد**، مصدر سابق، ج٨، ص ١١٢.

(٢) متز، **الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ج١، ص ٢٩١.

(٣) ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٢٠٠. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصـــدر ســابق، حـوادث وفيات ٣٠١-٣١٠هـ، ص ٣٢. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٢٨.

(٤) التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٤٥.

(٥) ابن النديم، **الفهرست**، مصدر سابق، ص ٢٠٦. الحموي، **معجم الأدباء**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٨٨.

١- معاني القرآن وتفسيره، ساعده فيه أبو الحسين الواسطي وأبو بكر بن مجاهد المقرئ.

ويبدو أن لثقافة الوزير الدينية أثر في تأليفه هذا الكتاب، إذ كان يحفظ القرآن الكريم، ويعرف معانيه وتفسيره.

٢- جامع الدعاء.

٣- ديوان الرسائل.

٤- الكتاب وسياسه المملكة وسيرة الخلفاء .

ويبدو أنه ألف هذا الكتاب نتيجة علاقته الطيبة مع المؤرخ الطبري وقدامه بن جعفر. ومع الأسف أنه لم يبق من هذه الكتب شيئا يمكننا من الاطلاع عليه لمعرفة مدى سعة ثقافة الوزير علي بن عيسى بن الجراح ومنهجه، كما أننا لا نجد مقتطفات منها في مصادر أخرى.

وأما الوزير عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح فقد رفد المكتبة الإسلامية في عصره بمجموعه من الكتب، وكانت السمة الغالبة على هذه الكتب أنها كتبت في التاريخ وهذه الكتب هي:[١]

١- سيرة آل الجراح وأخبارهم وأنسابهم في القديم والحديث.

٢- التاريخ من سنة سبعين ومائتين إلى أيامه.

٣- الخراج وهو كتاب كبير لم يتمه.

٤- أخبار الوزراء.

ولعل الزمن في المستقبل القريب كفيل بإظهار هذه الكتب إلى حيز الوجود، أو على الأقل وجود بعض مقتطفات من هذه الكتب في بعض المصادر الأخرى.

= الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ص ١٣-١٤. Bowen, Ali Ibn Isa, E. I. Op cit., P. 387

[١] ابن النديم، الفهرست، مصدر سابق، ص ٢٠٧. الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر سابق، ج١٨، ص ص ٢١٢-٢١٥.

الفصل الثالث

* موقف الخلافة العباسية في عهد وزراء آل الجراح من حركات المعارضة:

أ- حركـــــــــــة الزنـــــــــج

ب- حركـــــــــــة القرامطـــــــــة

ج- حركـــــــــــات العلوييـــــــــن

أ- حركة الزنج:

تميزت الفترة التي قام بها الزنج بحركتهم ٢٥٥-٢٧٠هـ/ ٨٦٨-٨٨٣م، بنفوذ العنصر التركي في الدولة العباسية، وبكثرة التجاوزات التركية على صلاحيات الخليفة والوزراء، فأمست الدولة تعيش وضعا متدهورا، دل على مدى الوهن الذي وصلت إليه، وخاصة بعد قيام عدد من الحركات التي لم تستطع جيوش الخلافة أن تقضي أو تسيطر عليها بسهولة، ومن هذه الحركات (حركة الزنج)، التي أشغلت الدولة العباسية قرابة أربعة عشر عاما. وبقدر ما تتعلق هذه الحركة بموضوع الدراسة، فإن الحديث عنها سيقتصر على الفترة الثانية من الصراع مع جيوش الخلافة العباسية، ابتداء من سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٤م، وهي الفترة التي تولى فيها وزراء من آسرة آل الجواح مؤسسة الوزارة وبالتحديد الوزير الحسن بن مخلد بن الجراح الذي تولى الوزارة العباسية من سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م ولغاية سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م، يتخللها فترات قصيرة من العزل.وعلى الرغم من عدم وجود دور مباشر أو حتى غير مباشر للوزير الحسن بن مخلد بن الجراح تجاه حركة الزنج، وقد عمدت إلى ذكرها باعتبار أنها من أوائل الحركات التي تعرّض لها أول شخصية وزارية من أسرة آل الجراح بالإضافة إلى معرفة مدى استغلال مثل هذه الحركات للتغيرات الإدارية في الوزارة. وذلك لأن أمور الدولة انتقلت إلى الموفق طلحة الذي حجر على أخيه المعتمد على الله، وأصبح الجيش تحت قيادته المباشرة حتى أنه حصر نشاطه في نطاق درء خطر حركة الزنج في جنوب العراق في هذه الفترة، بالإضافة إلى قصر عمر وزارات الحسن ابن مخلد بن الجراح، حتى اقتصرت أعماله على محاولته توطيد أركان مؤسسة الوزارة، وتخليصها من سيطرة المؤسسة العسكرية، بوقوفه إلى جانب الخليفة ضد القادة الأتراك الذين كان على عداء معهم. لذلك لم يتصرف الوزير الحسن بن مخلد بن الجراح من تلقاء نفسه في التعامل مع حركة الزنج بل كان تحت إمرة الأمير الموفق الذي ركز جميع أمور الدولة بيده، وكان إليه تعيين وعزل الوزراء.

الزنج "جماعات من العبيد السود الذين جلبوا بطرق متنوعة، وفي أوقات مختلفة من أفريقيا الشرقية – خاصة من الصومال وزنجبار – استخدموا في أعمال أهمها استصلاح أراضي السواد".[1] عن طريق تجفيف المستنقعات، وكسح الطبقة الملحية الناتجة عن التجفيف

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٩٠. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٧٦. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ١٤٣. أحمد علبي، ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد ٢٥٥-٢٧٠هـ/ ٨٦٩-٨٨٣م، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩١، ص ١٠٣.

والتي تسمى السباخ.[١] أو الشورج، فتتراكم هذه الكسوح على شكل كثبان، فكان الزنج يجمعون هذه الكسوح الملحية ومن ثم ينقلوها بواسطة البغال إلى حيث يتم الاتجار بالملح، فتصبح الأرض بعد إزالة الأملاح عنها مؤاتية للزراعة[٢]، وسمي الزنج الذين يعملون بذلك بغلمان الشورجيين.

كان هؤلاء العبيد يرزخون تحت وطأة ظروف اقتصادية واجتماعية سيئة، إذ كان عددهم كبير بحيث كانوا ينظمون في جماعات، كل مجموعة تتألف من عدد من خمسمائة وخمسة آلاف زنجي، وكانوا لا يتقاضون أجورا يومية، بل كانوا يقتاتون بقليل من الطحين والتمر والسويق، وبلا مأوى.[٣]

كما كان لانعدام الشعور بالولاء الذي يربط العبد بسيده في المجتمع الإسلامي دور في تجمع هؤلاء العبيد للحركة، إذ كانوا يشعرون بأن لهم الحق بأن يعيشوا وان ينالوا جزءاً من العدالة، مما بعث فيهم شعور عام بالمصلحة دفعتهم إلى التكتل، آملين في التحرر والكسب.[٤] لذلك نجدهم" يسارعون للانضمام إلى أية حركة متى توفر لها القائد المناسب الذي يثير الهمم، ويذكي العزائم".[٥] وقد وجد هؤلاء العبيد زعيماً أدرك حقيقة أوضاعهم السيئة، واستغلها لتحقيق مصالحه الشخصية. فأراد أن يضع حداً لبؤسهم ويخرجهم مما هم فيه من التعاسة والحرمان الاقتصادي والاجتماعي والنفسي، بأن وعدهم بالحرية وبالسيادة على مالكي رقابهم.[٦]

وقد اشتهر الزعيم الذي قاد الزنج في حركته ضد السلطة العباسية باسم (صاحب الزنج)، إذ استطاع أن ينظمهم في منطقة السواد (العراق الجنوبي) ويجمعهم حوله، ويقودهم في انتفاضة ضد الحكم العباسي، فقد أثاره فضوله في محاولة للسيطرة على منطقة البصرة ليحكمها باسمه،

---

[١] السباخ: هي أرض غلب عليها الملح، ولم ينتفع بها في زراعة الحبوب، انظر: ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، مصدر سابق، ص ٢٠٤.

[٢] مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ص ق١، ص ١٦. علبي، **ثورة الزنج وقائدها**، مرجع سابق، ص ١٠٧. ــــــ، **ثورة العبيد في الإسلام**، دار الآداب، بيروت، (د.ت.)، ص ٣٥.

[٣] مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سباق، ج٤، ق١، ص ١٦. علبي، **ثورة الزنج وقائدها**، مرجع سابق، ص ١٠٨. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ١٤٨.

[٤] الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٧٧.

[٥] فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ١٥٥.

[٦] الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ٧٨.

أسوة بغيره من أمراء الأطراف الذين استطاعوا أن يحكموا بعض المناطق كالطولونيين في المغرب والصفاريين في المشرق تحت اسم أمير وباعتراف شرعي من الخلافة في بغداد.

تقلب (صاحب الزنج) بين الأنساب العلوية مدعياً النسب تلو الآخر[1]، ليكتسب شرفا [2]، متخذاً منه وسيلة للحصول على شرعية ما يسبغها على نفسه، مادام أنه في مواجهة السلطة العباسية، بالإضافة إلى اكتساب بعض الرموز العلوية، والطالبية إلى جانبه. ولكن " أكثر الناس يقولون أنه دعيّ آل أبي طالب، ينكرونه".[3]

وجدت حركة الزنج لنفسها أنصارا في الأوساط الاجتماعية، إذ انضم إليها عناصر مختلفة من شرائح المجتمع الإسلامي من عرب ومواليهم،[4] بالإضافة إلى الزنوج الذين يعملون في كسح الأراضي الملحية،[5] والأعراب والفلاحين[6]، كما انضم للحركة فئات أخرى من أصحاب الحرف في المدن[7] والعبيد (الأباق).[8]

وقد اختلفت الدوافع وراء انخراط كل عنصر في صفوف الحركة، فمنهم من يطمع في تحقيق مطامع شخصية سياسية أو اقتصادية كما هو حال العرب الذين كان طموحهم في تحقيق مزيد من السيادة السياسية لأنفسهم، وتحدي السلطة المركزية في بغداد بالإضافة إلى تحقيق مكاسب مادية من جراء السلب والنهب، ومنهم من يطمح في التحرر من رابطة الولاء للعربي

---

[1] الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج٩، ص ٤١٠ – ٤١٢. ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٧، ص ٢٠٦. علبي، ثورة الزنج وقائدها، مرجع سابق، ص ٥٠. عصام سخنيني، ثورة الزنج، مرجع سابق، ص ١٦٧، ١٧٤.

[2] الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٧٩.

[3] المسعودي، مروج، مصدر سابق، ج٤، ص ١٩٤. انظر : اليعقوبي، تاريخ، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٠٧.

[4] الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج٩، ص ٤١١. ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٧، ص ٢٠٦. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ١٥٦. سخنيني، ثورة الزنج، مرجع سابق، ص ١٨٤.

[5] الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج٩، ص٤١٣. مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤ق١، ص ١٦.

[6] ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٣٧. الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٨٢. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ١٦٠.

[7] الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٨٣.

[8] الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج٩، ص ٤١٤. مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص١٦. فاروق عمر، الخلافة العباسية، مرجع سابق، ص ١٥٦.

وهذا حال موالي العرب، أما الدافع الرئيسي وراء انخراط الزنوج تحت لواء الحركة فهو متمثل في الوعود والأماني التي نادى بها (صاحب الزنج) من تحسين أوضاعهم المعاشية، وتمليكهم الأموال والعبيد.[١] أما الأعراب فكان سبب انخراطهم في الحركة هو طمعهم في تحقيق مكاسب مادية أو خوفا وتحاشيا لخطر (صاحب الزنج)[٢]، وأخيرا فإن الفلاحين قد انخرطوا في صفوف الحركة للتخلص من معاملة ملاكي الأراضي.[٣]

لقد مرت معارك الزنج مع جيوش الخلافة العباسية بمرحلتين، فالأولى كانت مرحلة انتصارات متوالية حققها الزنج امتدت ما بين ٢٥٥-٢٦١هـ/ ٨٦٨-٨٧٤م، وذلك عائد إلى اضطراب شؤون الخلافة العباسية التي كانت تعاني من صراعات داخلية بين الخلافة من جهة والقادة الأتراك من جهة أخرى، وانشغال هؤلاء القادة بالصراع على السلطة والثروة فيما بينهم، بالإضافة إلى اعتماد الخلافة على جيش نظامي ركيزته الأولى الخيالة للقتال وسط بيئة جغرافية كالبصرة، تكثر فيها المستنقعات والبطائح مما جعل أمر الحركة أمرا صعبا، ثم انشغال الخلافة بخطر الصفاريين الذين جنحوا إلى الانفصال، وبات خطرهم يهدد مركز الخلافة، وأما المرحلة الثانية فتبدأ سنة ٢٦١-٢٧٠هـ/ ٨٧٤-٨٨٣م، وفيها تغير الموقف لصالح العباسيين بعد أن تسلم الموفق طلحة القيادة العسكرية للجيش العباسي، موظفا كل إمكانات الدولة لقمع الحركة، وقد ساعده في ذلك الخليفة والوزير بالإضافة إلى الاستقرار الإداري في مؤسسة الوزارة، إذ أصبح تعيين الوزراء يتم عن طريقه، لذلك نجده يختار الوزير الكفؤ لملء هذا المنصب. وسيتم التركيز على هذه المرحلة وذلك لأن أول وزير من أسرة آل الجراح تولى الوزارة كان في هذه الفترة، وهو الحسن بن مخلد بن الجراح ٢٦٣-٢٦٥هـ/ ٨٧٦-٨٧٨م.

تولى الحسن بن مخلد بن الجراح الوزارة للخليفة المعتمد على الله سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م واستمر حتى سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م تخللها فترات عزل قصيرة، وعلى الرغم من تعاقب عدد من الوزراء الذين تولوا منصب الوزارة، إلا أن هذا الأمر لم يربك مؤسسة الوزارة بل بقيت مستقرة وذلك بفضل وجود شخص الموفق طلحة الذي تمكن من تركيز الأمور بيده، بدافع إعادة القوة والاستقرار للخلافة، إذ أصبح هو الحاكم الفعلي للدولة، واختص هو في اختيار الوزراء.

---

[١] الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج٩، ص ٤١٥. مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص١٧.

[٢] الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٨٣.

[٣] المرجع ذاته.

ولما كان الموفق طلحة هو الحاكم الفعلي للدولة، كان هو أيضا صاحب الحل والربط في أمورها لذلك لم يكن للوزير أي دور في سياسة الدولة وخاصة في التعامل مع مثل حركة الزنج، إذ كان الموفق طلحة هو صاحب التدبير والتخطيط، وصاحب التصرف بأموال بيت المال.

مني الزنج في سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م بهزيمة كبيرة على يد أحمد بن ليثويه – والي كور الأهواز من قبل السلطة العباسية – إذ أرسل علي بن أبان – قائد جيش الزنج- أخاه خليل بن ابان على رأس جيش لمحاربة ابن ليثويه انتقاما منه بعد أن هزم على يديه سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م في الباهليين. فأظهر ابن ليثويه براعة في القتال إذ استخدم أسلوب (الحرب خدعة) فكمن لجيش الزنج بجزء من جيشه، وخرج لقتالهم علنا بالجزء الآخر، ولما اشتد القتال بينهما أظهر ابن ليثويه انهزامه، جارا جيش الزنج للكمين، فخرج الكمين على الزنج، وأعملوا فيهم القتل، فقتل من قتل وانهزم الباقون، والتحقوا بعلي بن أبان، ثم أرسل الزنج فرقة جديدة إلى (المسرقان)[(١)] بقيادة خليل بن أبان، فوجه إليهم ابن ليثويه ثلاثين فارسا من أعيان أصحابه ويبدو أن ابن ليثويه قد استخف بهذه الفرقة، وأصابه الغرور، فلم يستعد لها، لذلك فقد مني أصحابه بالهزيمة، وقتلوا جميعا بعد أن نصب لهم الزنج كمينا أوقعوهم فيه.[(٢)]

وفي سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م أغار الزنج على واسط وتمكنوا من دخولها بعد حرب جرت بينهم وبين محمد بن المولد – والي واسط من قبل العباسيين- وكان (صاحب الزنج) قد ولى سليمان بن جامع – أحد قادته – واسط. فتحارب الطرفان، وانهزم محمد بن المولد وهرب عن واسط التي أصبحت خالية من جيش الخلافة العباسية، فدخلها سليمان بن جامع بزنوجه ونهبوها ثم أضرموا فيها النار، مما أثار الرعب في أهالي المدن والقرى المجاورة، فتركوها هربا وهم حفاة عراة.[(٣)]

---

(١) المسرقان: هو نهر بخوزستان عليه عدة قرى وبلدان ونخل، يسقي ذلك كله، ومبدأه من تستر. الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٥، ص ١٢٥.

(٢) الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج٩، ص ص ٥٣٠-٥٣١. ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٧، ص ٣٠٧.

(٣) الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج٩، ص ٥٢٣. مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٣٦. ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٩١. الذهبي، العبر، مصدر سابق، ج١، ص ٣٧٨. الدوري، دراسات، مصدر سابق، ص ٩٢.

ويبدو أن الزنج قد استغلوا الظروف القائمة في العاصمة بغداد من اضطراب في مؤسسة الوزارة الناجم عن عزل الوزير الحسن بن مخلد بن الجراح من قبل مقدم الأتراك موسى بن بغا، واستيزار سليمان بن وهب مكانه، لأن الوزير الحسن بن مخلد بن الجراح لم يكن على علاقة طيبة مع الأتراك، كما أن استيزار الحسن بن مخلد بن الجراح جاء برغبة الخليفة المعتمد دون استشارة أحد، مما أثار حفيظة القادة العسكريين عليه.[١]

استغل الزنج انشغال جيش الخلافة في حربه ضد الصفاريين الذين جنحوا إلى الانفصال، الأمر الذي دعا الموفق طلحة – قائد الجيش – إلى إسناد قيادته إلى أبي مسرور البلخي ليواجه الزنج، وأسرع هو بالعودة إلى بغداد لمواجهة يعقوب الصفار ثم تبعه أبو مسرور البلخي لنجدة جيش الخليفة،[٢] مما دفع الزنج إلى اتخاذ زمام المبادرة، فتقدموا إلى جبل [٣]عن طريق النهر ومعهم ثلاثين سميرية محملة بالرجال، بهدف الحصول على المؤن، فتمكنوا من أخذ أربعة سفن محملة بالطعام ثم قفلوا راجعين، وفي طريق عودتهم مروا بالنعمانية[٤] فدخلوها وسبوا أهلها، ثم أحرقوها، ثم توجهوا إلى جرجرايا.[٥] ومن شدة الفزع الذي أصاب الناس من جراء الأفعال الشنيعة التي يقوم بها الزنج فقد هرب أهل السواد باتجاه بغداد[٦] مستنجدين بالسلطة المركزية.

تحسن وضع الموفق طلحة بعد سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م، إذ توفي يعقوب الصفار وتولى بعده ابنه عمرو الذي جنح إلى السلم مع الخلافة العباسية.[٧] مما أتاح الفرصة للموفق طلحة للتفرغ

---

[١] الطبري ، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٥٣٢. المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٩٩.

[٢] ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٧، ص ٢٩٠.

[٣] جبل : بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي، الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٠٣.

[٤] النعمانية: بليدة بين واسط وبغداد على ضفة دجلة من أعمال الزاب الأعلى وهي قصبة. الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، ج٥، ص ٢٩٤.

[٥] جرجرايا : بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي، الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٢٣.

[٦] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٥٤٥. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص٣٩. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٢، ص ١٩٧.

[٧] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٥٤٤.

للقتال على جبهة واحدة وهي القضاء على حركة الزنج، فبدأ بتسخير كل طاقات الدولة المالية والعسكرية لمحاربة الزنج، فقد وجد في خزائن بيت المال بعد وفاة المعتمد دينار واحد[١] مما يدل على انفاق جميع الأموال في محاربة الزنج، كما ساعده الاستقرار الذي حصل في مؤسسة الوزارة وهدوء الأوضاع في بغداد، إذ لم يبق للخليفة المعتمد رأي في اختيار الوزراء، فقد اختص بذلك الموفق حتى مماته، بالإضافة إلى تولي الوزارة شخصيات وزاريه ذات كفاءة وإدارة عالية مثل ابن شيرزاد وغيره.[٢]

تفرغ الموفق طلحة لقتال الزنج عازما على توجيه ضربة قاضية لهم، وخاصة بعد أن حنكته التجارب في حربهم، كما استفاد من الأخطاء السابقة التي وقع فيها جيش الخلافة أثناء حروبهم السابقة.[٣] فأحاط نفسه بجميع أسباب النصر من تأمين المواصلات وطرقها وتأمين التموين بالإضافة إلى إحكامه الحصار الاقتصادي على الزنج.[٤] وبعد حروب طويلة بين جيش الخلافة بقيادة الموفق طلحة وبين جيش الزنج، تمكن الموفق سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م من القضاء على آخر فلول الزنج وتدمير مدينتهم وقتل (صاحب الزنج).[٥]

إذن فقد استغل الزنج الظروف السائدة في حاضرة الخلافة العباسية الناجمة عن الاضطراب في المؤسسة الإدارية ممثلة بالوزارة وخاصة في أعقاب عزل الوزير الحسن بن مخلد بن الجراح ثم تعيينه ثم عزله ثم تعيينه، إذ تمكن الزنج من دخول واسط وإحراقها وسبي أهلها، وفي هذا دلالة على أن استقرار ورسوخ مؤسسة الوزارة، وتوليها شخصيات كفؤة أثر في التقليل من طمع الطامعين وثورة الثائرين.

---

(١) ابن حمدون، التذكرة، مصدر سابق، ج١، ص ٤٥٢.

(٢) السامرائي، المؤسسات الإدارية، مرجع سابق، ص ٨٩.

(٣) الدوري، دراسات، مرجع سابق، ص ٩٢.

(٤) الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج٩، ص ٦١٠.

(٥) الطبري، تاريخ، مصدر سابق، ج٩، ص ٦٥٤. مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٥٧. ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٧، ص ٤٠٣. ابراهيم بن محمد بن دقماق (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م)، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين علي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥، ج١، ص ١٥٧. فاروق عمر، نشأة الحركات الدينية السياسية (دراسة تاريخية)، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩، ص ٣٣١.

ب- حركة القرامطة :

القرامطة واحدة من فرق (الباطنية الغالية) التي انشقت عن الحركة الاسماعيلية وحاولت إيجاد عقيدة جديدة لها توفق بين الإسلام والعقائد القديمة. شغلت الخلافة العباسية قرابة قرن من الزمان، وأشاعت الاضطراب والقلق في الشرق العربي بما أوجدته من أفكار ثورية.[1]

وظهر القرامطة على المسرح الديني بعد أن سبغتهم فرق أخرى كانت في الواقع بمثابة مقدمات مذهبية مهدت لظهورهم، حتى أن كثير من المؤرخين جعلوا منها ومن الفرق التي سبقتهم شيئا واحدا. وأطلقوا على السابقين واللاحقين اسم (القرامطة). فعندما ألف ابن الجوزي كتابه (القرامطة) وتحدث فيه عن ألقابهم قال: "وأما ألقابهم فإنهم يسمون: الإسماعيلية[2]، والباطنية[3]، والقرامطة، والخرمية[4]، والبابكية[5]، والمحمرة[6]، والسبعية[7]،

---

[1] ولمزيد من إلقاء الضوء على سبب التسمية بالقرامطة وابتداء أمرهم، انظر : الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١٠، ص ٢٣. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٦٨. ميكال يان دي خويه، **القرامطة (نشأتهم، دولتهم، وعلاقاتهم بالفاطميين)**، ترجمة وتحقيق حسني زينة، ط١، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٨. عارف تامر، **القرامطة (أصلهم، نشأتهم، تاريخهم، حروبهم)**، دار مكتبة الحياة ، بيروت، (د. ت)، ص ٥٢. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ١٢٦. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ١٦١ وما بعدها.

[2] الإسماعيلية : ينتسب القرامطة إلى الإسماعيلية الباطنية الذين يرون الإمامة في محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. انظر : عبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، **الفرق بين الفرق**، تحقيق محمد محيى الدين عبد المجيد، (د. ط.)، المطبعة العصرية، بيروت، ١٩٩٥، ص ص ٦٢-٦٣.

[3] الباطنية: هم الذين ادعوا أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري مجرى اللب من القشر، غرضهم بذلك إبطال الشرائع، ابن الجوزي، **القرامطة**، تحقيق محمد الصباغ، ط٢، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٦٨، ص٣٧.

[4] الخرمية: هم أهل الإباحة من المجوس، فتلقب القرامطة باسمهم لمشابهتهم اياهم في عقائدهم ومذهبهم وتطلق عادة على المزدكية الفارسية في العصر الإسلامي، ابن الجوزي، **القرامطة**، مصدر سابق، ص ٤٨.

[5] البابكية : هم أتباع (بابك الخرمي) وهم جزء من الخرمية الذين استحلوا المحرمات، فشابههم بذلك القرامطة، ابن الجوزي، **القرامطة**، مصدر سابق، ص ٤٩.

[6] المحمرة : سموا بذلك لأنهم صبغوا الثياب بالحمرة أيام بابك وكانت شعارهم. ابن الجوزي، **القرامطة**، مصدر سابق، ص ٤٩-٥٠.

[7] السبعية:وهم الذين زعموا أن الكواكب السبعة مدبرة للعالم السفلي، ابن الجوزي، **القرامطة**، مصدر سابق، ص ٥٠.

والتعليمية[1]".[2] وهذا ما يثبت أن القرامطة انتحلوا فكرة الولاء لآل البيت، وألبسوا عقائدهم عباءة التشيع للأئمة الذين تحدروا من هذا البيت.

لقد تشابهت ظروف الحركة القرمطية مع مثيلاتها من الحركات التي سبقتها كحركة الزنج ٢٥٥-٢٧٠هـ/ ٨٦٨-٨٨٣م، إذ ظهرت كلتا الحركتان في نفس البيئة الجغرافية وهي (العراق الجنوبي) ، كما حملت نفس الشعارات الدينية التي نادى بها قادتها كإدعاء النسب العلوي، والولاء لآل البيت وبرقعة عقائدهم بالتشيع لهم، وذلك لتحقيق الأهداف الشخصية ثم لاستقطاب أكبر عدد من المؤيدين للقضية العلوية، والتي طالما رفعت شعار المعارضة للسلطة القائمة، وأخيرا فإن عناصر حركة القرامطة تكاد تكون هي نفس العناصر التي انخرطت في حركة الزنج من العرب والأعراب والعبيد وغيرهم مع تشابه كبير في دوافع الانخراط السياسية والاجتماعية والاقتصادية.[3]

تمكن القرامطة من إقامة عدد من الكيانات التي تمردت على الدولة المركزية ولفترة زمنية محدودة في المناطق التابعة للدولة الإسلامية، نتيجة التنظيم السري لهذه الحركة، ثم لضعف الخلافة العباسية وانشغالها بمشاكلها الداخلية متمثلة في السيطرة العسكرية على الخلافة والصراع السياسي بين القادة العسكريين الأتراك والوزراء على السلطة.وكانت أولى هذه الكيانات التي تحمل اسم (القرامطة) قد ظهرت في سواد الكوفة ، ثم ظهر الكيان الثاني في بلاد الشام، وكيان ثالث في اليمن، وظهر رابع هذه الكيانات في البحرين، وهو أشهر هذه الكيانات وأهمها.[4]

---

(١) التعليمية : لأن مذهبهم إبطال الرأي وإفساد تصرف العقل ودعوة الخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم. ابن الجوزي، **القرامطة**، مصدر سابق، ص ٥٠.

(٢) ابن الجوزي، **القرامطة**، مصدر سابق، ص ٣٥.

(٣) انظر : فاروق عمر، **الاستشراق والتاريخ الإسلامي**، مرجع سابق، ص ١٥٣. ـــــ، **نشأة الحركات الدينية السياسية**، مرجع سابق، ص ص ٢٣٠-٢٣١. محمد نجيب أبو طالب، **الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية**، دار المعارف، ١٩٩٠، ص ١٩٨

(٤) لمزيد من التفاصيل عن هذه الكيانات راجع : الطبري، **تاريخ**، مرجع سابق، ج١٠، ص ٢٢ وما بعدها، مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٦٨ وما بعد، ثابت بن سنان وآخرون، **الجامع في أخبار القرامطة**، تحقيق سهيل زكار، ط٣، دار حسان، دمشق، ١٩٨٧، ج١، ص ١٢٣ وما بعد. حمدان الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٤٥٤ وما بعد، أبو عبيد البكري، **المسالك والممالك**، تحقيق أدريان ليوفن، وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، (د. ط.)، ص ٣٧٢ وما بعد.

بدأت علاقة آل الجراح مع القرامطة اعتبارا من خلافة المكتفي بالله، عندما ندب محمد بن داود بن الجراح للخروج إلى الكوفة والمكوث بها، وإنفاذ الجيوش من هناك لقتال القرامطة بزعامة (زكرويه) وذلك على أثر كمن القرامطة لقافلة الحج الخراساني سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م وقتلهم الحجيج وسبيهم النساء ونهبهم الأموال والأمتعة، ثم تمكن جيش الخلافة من الانتصار على القرامطة وقتلهم وأسر زكرويه، وأطلق من كان في يده من الأسرى.(١)

وما يهمنا في هذا المقام هو قرامطة البحرين لأنهم الكيان السياسي الذي استمر طويلا من الناحية الزمنية، واستطاع خلال هذه الفترة أن يقض مضجع الخلافة العباسية قرابة قرن من الزمان، ثم لعلاقة الوزير علي بن عيسى بن الجراح المباشرة معهم سلميا وحربيا، تمكن من خلالها من تهدئة القرامطة فترة من الوقت حتى تسنى للخلافة العباسية تكثيف الجهود للتصدي لهم فيما بعد، ولست في صدد الحديث عن تفسير لفظ (قرمط) ولا اشتقاقها، ولا البحث عن عقيدة وما هية مبادئ وفلسفة القرامطة ولا في تنظيم دعوتهم السري.(٢)

بدأت علاقة الخلافة العباسية مع القرامطة تأخذ طابع المهادنة في عهد الخليفة المقتدر بالله، وبالتحديد منذ أن تولى علي بن عيسى بن الجراح الوزارة العباسية سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م، مما يدل على مدى تأثير مؤسسة الوزارة على اتخاذ القرار السياسي في الدولة إذا ما تولاها الشخص المناسب كعلي بن عيسى بن الجراح الذي كان يعمل دائما لمصلحة الدولة والعامة، وبالتالي توافق سياسة المهادنة مع إصلاحات الوزير علي بن عيسى بن الجراح المالية والإدارية عن طريق الحد من الإنفاق على تسيير الجيش والحملات ضد القرامطة مما تطلب مبالغ مالية ضخمة لا يتأتى للدولة توفيرها إلا عن طريق المصادرة وزيادة الضرائب وهذا ما يتنافى مع إصلاحات الوزير. إذ لم يكتب النجاح للسياسة الحربية التي اتخذتها السلطة العباسية لمواجهة خطر القرامطة الذي بدأ يستنزف موارد الدولة الاقتصادية والبشرية لذلك فضل المقتدر اتباع

---

(١) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٢٢-٢٤.

(٢) حول عقيدة القرامطة ومبادئهم، راجع : الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١٠، ص ص ٢٥-٢٦. ابن الجوزي، **القرامطة**، مصدر سابق، ص ٥٠ وما بعد. دي خويه، **القرامطة**، مرجع سابق، ص ٣١ وما بعد. الدوري، **دراسات**، مرجع سابق، ص ١٢٦ وما بعد. فاروق عمر، **الخلافة العباسية**، مرجع سابق، ص ١٦١ وما بعد. مصطفى غالب، **الحركات الباطنية في الإسلام**، ط٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٢. ص ١٣١ وما بعد. ــــــ، **القرامطة بين المد والجزر**، ط٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣. ص ١٦٩. حسن بزون، **القرامطة بين الدين والثورة**، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ١٩٩٧، ص ٢٤٥ وما بعد.

سياسة المهادنة علها تجدي نفعا ويعزو البعض فكرة اتباع هذه السياسة إلى الوزير علي بن عيسى بن الجراح الذي بادر إلى استئذان الخليفة بمباشرة المفاوضات معهم. ففي سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م "تقلد أبو الحسن علي بن عسى آل الجراح الوزارة فشاوره المقتدر في أمر القرامطة، فأشار بمكاتبة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي .... فتقدم إليه بمكاتبته وإنفاذ الكتاب على يدي من يرى، فكتب كتابا طويلا جدا يذكرهم بالله ويدعوهم إلى الطاعة".(١) ويستطرد الوزير علي بن عيسى بن الجراح في آخر الكتاب قائلا " إن أمير المؤمنين جعل هذا ظهيرا عليك وحجة من الله بينة فيك وقاطعا لعللك وبابا يعصمك إن صدقت عما أراده من الخير بك وعظمت النعمة فيما بذله من العهد لك".(٢) ويشير ابن الجوزي أن الوزير علي بن عيسى بن الجراح حث القرامطة في كتابه " على طاعة الخلفاء ويعاتبه على تركه الطاعة، ويوبخه على ما يحكى عن أصحابه من إعلان الكفر، وإنكارهم من يسبح الله عز وجل ويقدسه وإطراحهم الصلوات والزكوات واستهزائهم بأهل الدين واسترقاقهم الأحرار، ثم تواعده فيه بالحرب إن لم يطع".(٣)

إن اتباع الوزير علي بن عيسى بن الجراح لأسلوب الترغيب والترهيب في مفاوضاته ومراسلاته مع القرامطة لهو دليل على أنه فتح لهم باب الرجوع إلى الحق، وتقديم الولاء والطاعة للسلطة الشرعية في بغداد، وأنه بإمكانهم التكفير عن خطاياهم، مما يشعر القرامطة أن السلطة العباسية غير ناقمة عليهم ولا تتوعدهم بالانتقام إن هم رجعوا إلى الطاعة. غير أن الوزير لم يترك للقرامطة حق الاختيار المطلق، بل أنه توعدهم بالحرب إذا أصروا على الخروج على السلطة الشرعية.

ويذكر ثابت بن سنان أن علي بن عيسى بن الجراح كاتب أبا سعيد الجنابي يقول له "زعمت أنك رسول المهدي، وقد قتلت العلويين وسبيت آل الأخيضر العلويين ومن باليمامة،

---

(١) مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٤. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ١٤٢. دي خويه، **القرامطة**، مرجع سابق، ص ٦٦. بزون، **القرامطة بين الدين والثورة**، مرجع سابق، ص ٢٢٩.
Bowen, Ali Ibn Isa, op. cit. P. 136

(٢) مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٤.

(٣) ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ١٤٢. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٢٦٣. دي خويه، **القرامطة**، مرجع سابق، ص ٦٦.

واسترقت العلويات، وغدرت بأهل البحرين".[١]

اغتيل أبو سعيد الجنابي في قصره في نفس السنة التي تقلد فيها الوزير علي بن عيسى ابن الجراح الوزارة، فلما وصل حملة كتاب الوزير إلى الجنابي علموا بموته، فأخبروا الوزير بذلك. فأمرهم بمتابعة المهمة، فحملوا الكتاب إلى أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الذي خلفه، فاستقبلهم بحفاوة وخف للإفراج عن الأسرى، وأعاد السفراء إلى بغداد بجواب.[٢]

بعث أبو طاهر سليمان الجنابي إلى الخليفة المقتدر بجواب -ردا على كتابه- يظهرون فيه الولاء معبرين عن تعظيمهم للخليفة، وامتنانهم للوزير علي بن عيسى بن الجراح على عدالته، مما يثبت مدى الثقة والاحترام التي كان يحظى بها الوزير حتى من الخارجين عن الدولة، مدافعين فيه عن أنفسهم، إذ جاء في الكتاب "أننا لم نخرج من الطاعة، ولكنا كنا قوما مستورين، فنقم علينا ذلك فجار من الناس لا دين لهم فشنعوا علينا وقذفونا بالكبائر، ثم خرجوا إلى سبنا وضربنا، ثم نادوا قد أجلناكم ثلاثة أيام فمن أقام بعدها أحل بنفسه العقوبة، فخرجنا فوثبوا علينا قبل الأجل وضربونا وأغرمونا الأموال، فسألناهم أن يؤمنونا على أنفسنا فلم يفعلوا. وأمر صاحب البلد بقتلنا فهربنا، فأخذوا حرمنا وسلبوهم سلبا قبيحا. وانتهبوا منازلنا فلجأنا إلى البادية، فخرج ناس إلى المعتضد بالله فشنعوا علينا، فصدق مقالتهم، وبعث إلينا من يخاصمنا، فدافعنا عن أنفسنا، فقويت وحشتنا من الخلق، وأما ما ادعى علينا من ترك الصلاة وغيرها، فلا يجوز قبول دعوى إلا ببينة، وإذا كان السلطان ينسبنا إلى الكفر بالله تعالى. فكيف يسألنا أن ندخل في طاعته".[٣]

ويذكر ثابت بن سنان أن أبا طاهر سليمان الجنابي أجاب على كتاب الوزير بقوله "إن أهل البحرين بغوا علينا، وغدروا بنا، ورمونا وقالوا: إنا نشترك في أزواجنا، ونرى الإباحة، وتعطيل الشريعة، وقد كذبوا علينا، ونحن قوم مسلمون وما نحل من اتهمنا بغير الإسلام".[٤]

---

(١) ثابت بن سنان، **أخبار القرامطة**، مصدر سابق، ص ١٥١.

(٢) الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق،ج١٠، ص ١٤٧. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٧٥. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٣٤-٣٥. دي خويه، **القرامطة**، مرجع سابق، ص٦٦، Bowen, **Ali Ibn Isa**, op. cit. P. 137

(٣) ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ١٤٢-١٤٣. دي خويه، **القرامطة**، مرجع سابق، ص ٧١.

(٤) ثابت بن سنان، **أخبار القرامطة**، مصدر سابق، ص ١٥٢.

ويضيف ابن الجوزي بأنه لما وصل كتاب القرامطة إلى الوزير موضحا فيه ما هم عليه من الاعتقاد، وعدهم – بكتاب بعثه إليهم – بالخير.[١] وطلب منهم مطالب منها " إن كنتم صادقين فأطلقوا من في أيديكم من أسارى المسلمين".[٢] ويؤكد ثابت بن سنان أنهم أطلقوا ثلاثين ألفا. وأظهروا الإسلام والصلاة وقراءة القرآن وخجلوا من الفضيحة.[٣]

ويذكر صاحب (تثبيت دلائل النبوة) أنه كان للقرامطة بعض الأنصار في دولة بني العباس، يحثوهم على الثورة للقضاء على سلطان العباسيين بهدف تحقيق المآرب الشخصية، لعلهم مدفوعين بحقد دفين على سلطان العرب يعرف باسم (الشعوبية) فيقول :" كان بنو بسطام وبنو القاسم بن عبد الله، وآل الفرات، وأمثالهم يستولون على دولة المقتدر بالله، وكانوا يتشيعون، فراسلوا أولاد أبي سعيد وقالوا لهم : أنتم خرجتم أيام المعتضد والمكتفي، فلما صار الأمر إلى هذا الصبي المقتدر بالله قعدتم قوموا فنحن كتابه وأصحابه، والدولة لكم، ولا يوحشنكم قتل أبي سعيد وما كان فيه فإن الناس قد تناسوا ذلك"[٤]، غير أن أولاد أبي سعيد الجنابي رفضوا هذا العرض لانشغالهم بترتيب أمورهم الداخلية بعد مقتل أبي سعيد أولا، ثم لمكاتبة الوزير علي بن عيسى بن الجراح لهم ومهادنتهم، إذ منحهم ذلك الوقت الكافي لتثبيت زعاماتهم، وأخيرا لاحترامهم للوزير وثقتهم الكبيرة فيه، إذ ردوا على العرض المقدم لهم للقضاء على سلطان العباسيين بقولهم " هذا الرجل علي بن عيسى رجل صالح، وما دام هو الناظر فما نختار مخالفته"[٥]، وهذا تأكيد واضح على نجاح الوزير علي بن عيسى بن الجراح في سياسة المهادنة التي اتبعها مع القرامطة،وأنها أتت ثمارها ولو مؤقتا، كما أن القرامطة أدركوا أنه ما دام علي ابن عيسى بن الجراح هو الوزير فإن أحوالهم ستتحسن نتيجة إصلاحات الوزير الهادفة إلى تحسين أحوال العامة، كذلك يبدو أن القرامطة شعروا بالخوف من هؤلاء وأدركوا أنهم يستهدفون

---

[١] ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ١٤٣.

[٢] ثابت بن سنان، **أخبار القرامطة**، مصدر سابق، ص ١٥٢.

[٣] المصدر ذاته. انظر أيضا : مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٣٤-٣٥.

Bowen, **Ali Ibn Isa**, op. cit. P. 13

[٤] القاضي عبد الجبار الهمداني (ت ٤١٥هـ/ ١٠٢٥م)، **تثبيت دلائل النبوة**، واقع ضمن كتاب ثابت بن سنان (أخبار القرامطة)، تحقيق سهيل زكار، ط٣، دار حسان، دمشق، ١٩٨٧، ص ص ١٥٢-١٥٣.

[٥] القاضي عبد الجبار، **تثبيت دلائل النبوة**، مصدر سابق، ص ١٥٣.

إلى تحقيق مصالح شخصية، وأنه إذا ما تعارضت هذه المصالح مع القرامطة فإنـــهم ســـينقلبون ضدهم، كما انقلبوا ضد السلطة الشرعية التي صنعتهم.

ويؤكد ثابت بن سنان ذلك في ذكره لمشادة كلامية جرت بين الخليفة المقتدر بالله ووزيـــره ابن الفرات، بعد تعرض القرامطة للحجاج سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م، متهما إياه بالتواطؤ مع القرامطـــة للعمل على زعزعة أركان الدولة إذ يقول له " الساعة تقول أي شيء نصنع، وما هو الرأي بعـــد أن زعزعت أركان الدولة وعرضتها للزوال، في الباطن بالميل مع كل عدو يظـــهر، ومكاتبتـــه ومهادنته، وفي الظاهر بإبعادك مؤنسا ومن معه إلى الرقة، وهم سيوف الدولة، فمن يدفـــع الآن هذا الرجل إن قصد الحضرة، أنت أو ولدك؟ وقد ظهر الآن أن قصدك بإبعاد مؤنس وبـــالقبض علي وعلى غيري أن تستضعف الدولة، وتقوي أعداءها، فتشفي غيظ قلبك ممن صادرك وأخـــذ أموالك. ومن الذي سلم الناس إلى القرمطي غيرك لما يجمع بينكما من التشيع والرفـــض، وقـــد ظهر أيضا أن ذلك الرجل العجمي كان من أصحاب القرمطي، وأنت أوصلته".[١]

ويبدو أنه لما تولى ابن الفرات الوزارة بعد عزل حامد بن العباس ومشرفه علي بن عيســى بن الجراح عنها سنة ٣١١هـ/٩٢٣م، بدأ القرامطة يشعرون أن ابن الفرات قد حقق مكاسبه وأنـــه سيقف في وجوههم، لذلك رأوا أن يبادروا هم بالقبض على زمام المبادرة (ليتغدوا بـــه قبـــل أن يتعشى بهم) وذلك لسيطرة الوزير ابن الفرات على الأمور في الدولة حتى غلب على أم المقتـــدر وأطلق يد ابنه المحسن الذي عمد إلى مصادرة الناس بغير حق وقتلهم إذا لزم الأمر، كما أن ابـــن الفرات عاقب علي بن عيسى بن الجراح لاتهامه له بأنه راسل القرامطة، مما أثار حفيظتهم وهـــو من كان يناصرهم.

استمرت سياسة المرونة في التعامل مع القرامطة، ومهادنتهم بهدف استمالتهم هي الســـائدة في سياسة العباسيين لأنهم وجدوا أنها أجدى نفعا من سياسة الحرب التي تتطلب نفقـــات طائلـــة وإعداد الجيوش، وهذا ما كانت تفتقر له الدولة العباسية في تلك الفترة. غير أن القرامطة غـــيروا هذه السياسة واتبعوا سياسة العنف وذلك على إثر قيام الخلافة العباسية بعزل الوزير حـــامد بـــن العباس ومشرفه علي بن عيسى بن الجراح، وتعيين ابن الفرات وزيرا للمرة الثالثة وذلـــك ســـنة ٣١١هـ/ ٩٢٣م[٢]، إذ أخذت هجمات القرامطة تتصف بالشدة والعنف، فهاجموا البصرة بعد ولاية

---

[١] ثابت بن سنان، أخبار القرامطة، مصدر سابق، ص ٣٨.

[٢] مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٢٠.

ابن الفرات بأربعة أيام ويظهر هنا مجددا وجود أنصار للقرامطة في عاصمة الخلافة يمدونهم بالأخبار بواسطة الحمام الزاجل مما يؤكد ما ذهب إليه صاحب (تثبيت دلائل النبوة) من وجود عملاء للقرامطة في بغداد. إذ يذكر عريب أن "خبر ولاية ابن الفرات والقبض على حامد وعلي بن عيسى بن الجراح قد وصل إلى الجنابي وأصحابه من وقته من قبل من كان يكاتبهم لأن بعض البصريين الثقات حكوا أن القرامطة كانوا يقولون لهم يوم دخولهم – البصرة– ويلكم ما أرك – أي ضعيف العقل– سليطينكم في إبعاد ذلك الشيخ عن نفسه، وليعلمن ما يلقى بعده، قالوا: ونحن لا ندري ما يقولون حتى وردنا الخبر بعد ذلك بالقبض على حامد وعلي وولاية ابن الفرات، فعلمنا ما أرادت القرامطة، وأن الخبر أتاهم من وقته على جناح طائر على اركن الناس آلته، واعتقدوا الناس صحته".[١] وأن ما أورده عريب يؤكد ما ذهبنا إليه من أن علي بن عيسى بن الجراح كان يحظى باحترام وتقدير الخارجين على الدولة لعدله ونزاهته.

وقد نعت دي خويه العباسيين ووزيرهم علي بن عيسى بن الجراح بالجهل في تعاملهم مع القرامطة بالمهادنه فيقول " كون علي بن عيسى لم يتوقف عن مراسلة زعيم القرامطة محاولا استرضاءه ببعض التنازلات، لو كان الوزير يعلم حقيقة الأمر لفطن بسرعة إلى عدم جدوى هذه المحاولات".[٢] ويدلل على جهل البلاط في بغداد أنه لم يفطن إلى وجود علاقة ما بين قوة عبيد الله النامية – يقصد به الشيعي– والقرامطة ولا خطر ببال العباسيين أن جهودهما المتظافرة هو القضاء على خلافتهم مما يثبت جهلهم".[٣]

على كل حال تمكن القرامطة من دخول البصرة، فقتلوا الموكلين ببابها، فاعترضهم قائدها سبك الفلحي من قبل الخلافة العباسية، فقتلوه وقتلوا من كان معه، ثم خرج أهل البصرة لقتاله في شارع المربد من دون قيادة، وأشعل القرامطة النار في كل ركن في البصرة، حتى أنهم أحرقوا المربد فالتهمت النار بعض المساجد كالجامع وقبر طلحة فانهزم أهل البصرة، وألقوا بأنفسهم في الماء فغرق أكثرهم، فعاث القرامطة بالمدينة سلبا وسبيا مدة سبعة عشر يوما[٤]. ولما وصل

---

[١] عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٩٧. انظر : دي خويه، القرامطة، مرجع سابق، ص ص ٧٣-٧٤. الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص ٤٦٥.

[٢] دي خويه، القرامطة، مرجع سابق، ص ص ٦٦-٦٧.

[٣] لمزيد من التفاصيل حول علاقة الفاطميين بالقرامطة راجع : دي خويه, القرامطة، مرجع سابق، ص٦٧.

[٤] ثابت بن سنان، أخبار القرامطة، مصدر سابق، ص ٣٦. عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ص ٩٧-٩٨.

الخبر إلى بغداد أرسلت السلطة العباسية جيشا لإنقاذ المدينة المنكوبة، لكن القرامطة انسحبوا منها قبل وصول جيش الخلافة.[1]

استغلت فتنة القرامطة لتحقيق أغراض شخصية، فقد أصبحت الخيانة والتواطؤ معهم يتبادلها الوزراء المتنافسون على السلطة والنفوذ. فلما تولى الوزير ابن الفرات وزارته الثالثة سنة ٣١١هـ/ ٩٢٣م وعزل علي بن عيسى بن الجراح من الإشراف على وزارة حامد بن العباس، بادر إلى إخبار الخليفة أن علي بن عيسى بن الجراح خائن وممالئ للقرامطة، نظرا للعداء بين الطرفين بسبب انتهاج علي بن عيسى بن الجراح سياسة الإصلاح الإداري والمالي مما ألحق الضرر بمصالح الوزير ابن الفرات وحالت دون تحقيق أطماعه في نهب أموال وأراضي الدولة بالإضافة إلى ضمان عدم عودته مجددا للوزارة، فعوقب علي بن عيسى بن الجراح على جرمه المزعوم بمصادرة أمواله ونفيه إلى اليمن.[2] فيذكر الصابئ أن الوزير ابن الفرات جمع بين علي بن عيسى بن الجراح وبين رجل كان رسول علي بن عيسى بن الجراح إلى القرامطة في وزارته الأولى وكانوا كاتبوه يطلبون منه مادة المساحي والطلق[3]، فارسل لهم ما طلبوا، كما أوعز ابن الفرات إلى ابن ثوابه بكتابة كتاب على لسان علي بن عيسى بن الجراح جوابا عن كتاب ورد من القرامطة إليه، ويدعي فيه أن علي بن عيسى بن الجراح لم يقل فيه للقرامطة " إنكم خارجون عن ملة الإسلام لمخالفتكم الإجماع، وعصيانكم الإمام، بل قال ولكنكم خارجون عن جملة أهل الرشاد والسداد، وداخلون مع أهل العناد والفساد"[4] فرد علي بن عيسى بن الجراح عن نفسه هذه التهمة مدافعا بقوله :" إنما اعتمدت بذاك المصلحة، وأن

= مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٢١. الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ٢٣٨. الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص ٤٦٥ وما بعدها.

[1] عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٩٨. مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٢١. المسعودي، التنبيه والإشراف، مصدر سابق، ص ٣٤٦. الكبيسي، عصر المقتدر، مرجع سابق، ص ٤٦٧.

[2] عريب، الصلة، مصدر سابق، ص٩٨. الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص٢٣٨. دي خويه، القرامطة، مرجع سابق، ص٧٤.

[3] الطلق، مادة يطلى بها الجسد فلا تؤثر فيه النار. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣١٨.

[4] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣١٨.

أستعيدهم إلى الطاعة بالرفق والاستمالة"[1] ثم شرح له أهداف هذه العلاقة، وما حققته من مكاسب قائلا "أردت استمالتهم وإدخالهم في الطاعة وكففتهم عن الحاج وأعمال الكوفة والبصرة مدة ولايتي دفعتين، وأطلقوا الأسرى الذين كانوا من المسلمين عدة".[2]

ويبرر عريب وابن الجوزي مكاتبة الوزير علي بن عيسى بن الجراح للقرامطة أنه خاف منهم على الحجاج وغيرهم، فأراد أن يشغلهم بالمكاتبة والمراسلة والدخول في الطاعة محاولا استرضاءهم ببعض التنازلات، فهاداهم وأطلق لهم التسوق بسيراف[3]، ولعله كان يدرك أن الخلافة ستقف عاجزة إذا ما تعرض القرامطة للحجاج لانشغالها في مشاكلها الداخلية في النزاع بين الوزراء والقادة الأتراك، فاستطاع بذلك أن يأمن جانبهم مدة من الوقت يتسنى خلالها للسلطة العباسية الاستعداد لمواجهتهم إلا أن بعض الناس اتهموا الوزير بمواطأتهم وموالاتهم، ولكنهم لما علموا أخبار ما يفعله القرامطة بالناس من سبي وقتل – بعد عزل الوزير علي بن عيسى بن الجراح – أدركوا أن الذي فعله علي بن عيسى بن الجراح كان الصواب[4]، ثم يدافع عريب عن الوزير علي بن عيسى بن الجراح وينفي عنه مثل هذه التهم بقوله :" وكان الرجل – أي علي بن عيسى بن الجراح – ارجح عقلا وأحسن مذهبا من الدخول فيما نسب إليه".[5]

ويعقب فاروق عمر على سبب انتقاد المجتمع لأسلوب علي بن عيسى بن الجراح بقوله: "ولذلك فنحن نستطيع أن ندرك لماذا انتقد أسلوب علي بن عيسى بن الجراح في التفاوض مع القرامطة، وذلك لأن آراءهم الدينية والعقائدية – كما صورها المؤرخون وكتاب الفرق المعاصرين– كانت غير مقبولة لدى المجتمع العربي الإسلامي آنذاك، ناهيك عن هجماتهم على القرى والمدن والقوافل ونهبهم وسلبهم الأموال".[6]

---

(1) الصابي، **الوزراء**، مصدر سابق، ص ٣١٨.

(2) مسكويه **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٠٩. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٢٢. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٤٧٩.

(3) سيراف: هي مدينة جليلة على ساحل بحر فارس. الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، ج٣، ص٢٩٤.

(4) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٥٧. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ١٥٥.

Bowen, Ali Ibn Isa, op. cit. P. 140.

(5) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٥٧.

(6) فاروق عمر، **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**، مرجع سابق، ص ٢٧٤.

وينفرد صاحب (العيون والحدائق) بذكر أن جماعة من القرامطة الذين طلبوا الأمان من السلطة العباسية وأرسلوا إلى بغداد "زعموا أن علي بن عيسى بن الجراح كاتبهم بالمسير إلى البصرة، وأنه وجه إليهم عدة أوقات بهدايا وسلاح"[١]، ويبدو أن الوزير ابن الفرات هو من دبر هذه المكيدة أيضا للإيقاع بعلي بن عيسى بن الجراح وإبعاده عن حاضرة الخلافة ليتسنى له تحقيق أغراضه الشخصية، فنفى علي بن عيسى بن الجراح خيانته وتعاونه مع القرامطة بما يضر الدولة الإسلامية.

ويرى دي خويه أن علي بن عيسى بن الجراح لم يتمكن من الحؤول دون نهب البصرة – على الرغم من مكاتبتهم– ولكن يبدو أنه استطاع تهدئتهم بعض الشيء، إذ أن الحوادث التي هزت العالم الإسلامي من قبل القرامطة لم تقع إلا بعد استقالته.[٢]

أخذ القرامطة بعد سنة ٣١١هـ/ ٩٢٣م – أي بعد عزل علي بن عيسى بن الجراح عن الإشراف على وزارة حامد بن العباس – يقومون بهجمات منظمة وعنيفة ضد المدن والحجاج، وأصبحت هذه الهجمات تتصف بالتكرار على مدن سواد العراق، والتعرض لقوافل الحجاج، وخاصة بعد أن طلب أبو طاهر الجنابي من الخلافة العباسية أن تسلم البصرة والأهواز إليه، غير أن الخلافة لم تجبه إلى طلبه مما أثار حنقه فبدأ بمهاجمة مدن السواد وقوافل الحجاج دون أن يقف بوجهه أحد خوفا منه.[٣]

تنقلت قوافل الحجاج بأمان اعتبارا من عام ٣٠٣هـ/ ٩١٥م على أثر مكاتبة الوزير علي بن عيسى بن الجراح للقرامطة مطالبا إياهم بعدم التعرض للحجاج، واستمر الأمر على ذلك حتى عام ٣١٢هـ/ ٩٢٤م، إذ أنبئت قافلة للحجاج كانت عائدة من مكة أن القرامطة يتربصون لهم بالطريق، ففكر القوم أولا بتحاشي الخطر والمسير إلى وادي القرى[٤] للوصول إلى الشام،

---

[١] مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٢٢. انظر: مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٠٩. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٤٧٩.

[٢] دي خويه، **القرامطة**، مرجع سابق، ص ٧٥.

[٣] مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٢٦. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٣٩. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٥٥.

[٤]وادي القرى: هو واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة، كثير القرى. الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، ج٥، ص ٣٤٥.

المدينة، فعبر أبو طاهر القرمطي إلى الجانب الشرقي لنهر الفرات وترك معظم أتباعه في الجانب الغربي، وكان فيهم ابن أبي الساج أسيرا، فعلم الحجرية أصحاب السميريات بعبور أبي طاهر القرمطي الجسر وتركه معظم أتباعه في الجانب الآخر، فتحينوا هذه الفرصة، فأحرقوا الجسر ليلا وبذلك تمكنوا من قطع الاتصال والإمداد بين أبي طاهر القرمطي وبقية أتباعه.(١)

وأمام تصاعد الأحداث عمد المقتدر ويسانده الوزير علي بن عيسى بن الجراح إلى تجهيز جيش جديد تحت قيادة مؤنس المظفر ونصر الحاجب وأبوالهيجاء بن حمدان، إلا أن جيش القرمطي ظل يتقدم نحو بغداد، دون وضع أي اعتبار لضخامة الجيش العباسي، مما اضطر الجيش العباسي أن يتخذ موقف المدافع، حيث أقدم على قطع القنطرة التي على نهر زبارا بناحية عقرقوف(٢) وبهذه الحيلة الدفاعية تمكن جيش الخلافة من وقف زحف القرامطة في الوقت المناسب " فإنها لو كانت صحيحة لعبر أصحاب القرمطي عليها وما هالهم وفور عسكر السلطان ولانهزم أصحاب السلطان وملك القرمطي بغداد".(٣) إذ " لم يكن عند أحد من الخواص والعوام شك في أن القرمطي يملك بغداد".(٤)

إذن لم ينجح القرامطة بعبور نهر الفرات إلى الجهة الشرقية باتجاه بغداد، ولذلك فقد توجه القرامطة إلى هيت(٥)، التي كان قد سبقهم إليها سعيد بن حمدان وهرون بن غريب، من قبل الخلافة وتحصنوا داخل سورها، فقاتلوا القرامطة من ورائه وقتلوا منهم عدد كبير مما اضطر القرامطة إلى الانسحاب ومغادرة هيت باتجاه الدالية التي كانت تخلوا من جند للخلافة، فقتلوا بعضا من أهلها ثم توجهوا إلى الرحبة فحاربهم أهلها، ولكنهم تمكنوا من إعمال السيف فيهم،

---

(١) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ١١٥. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ص ٢٣٨-٢٣٩. المسعودي، **التنبيه والإشراف**، مصدر سابق، ص ٣٤٨. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٥٣. Bowen, **Ali Ibn Isa,** op. cit. P. 267.

(٢) عقرقوف : قرية نواحي دجيل، بينها وبين بغداد أربعة فراسخ، الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، ج٤، ص١٣٧.

(٣) مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٧٧.

(٤) المصدر ذاته، Bowen, **Ali Ibn Isa**, op. cit. P. 270.

(٥) هيت : هي بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار، ذات نخل كثير. الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، ج٥، ص ٤٢١.

فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وغنموا منهم غنائم كثيرة.[١]

واصل القرامطة صعودهم في نهر الفرات، يلقون الرعب في قلوب سكان المدن والقرى والبادية التي كانت تسارع تباعا في طلب الأمان منهم فيؤمنوهم كما فعل مع أهل قرقيسيا ورأس عين وكفر توثا، كما فرضوا على الأعراب في البادية إتاوة مقدارها دينار عن كل رأس، ومن ثم توجه القرامطة نحو الشرق إلى أن وصلوا سنجار حيث حاربهم أهلها، إلا أنهم أدركوا في النهاية أنهم غير قادرين على الوقوف في وجههم، كما أدركوا عجز الدولة نفسها عن مساعدتهم مما اضطرهم إلى طلب الأمان من القرامطة فأمنوهم.[٢]

كانت الاضطرابات التي تصيب الدولة الإسلامية تشكل مرتعا خصبا لبعض فئات المجتمع أصحاب النفوس المريضة. إذ استغل أحد أصناف سكان بغداد يعرفون (بالعيارين) الظروف الحرجة التي تمر بها الدولة من جراء حروبهم مع القرامطة فبدأوا يعيثون في الأرض فسادا ينهبون ويسلبون السكان، فأدرك الوزير علي بن عيسى بن الجراح خطورة هؤلاء وأنه ينبغي توحيد الجبهة الداخلية أولا ثم التفرغ لقتال الخارجين، لذلك عمل على درء خطر هؤلاء العيارين فأمر القائد نازوك بالطواف ليلا ونهارا في بغداد لاتقاء شرهم، والقبض عليهم، إذا وجدوا في المدينة.[٣]

توجه القرامطة بعد ذلك إلى الرقة، وكان مؤنس المظفر قد خرج لمواجهتهم من الموصل إلى الرقة، فلما علم القرامطة بقدوم جيش الخلافة، رحلوا عن الرقة، واتجهوا إلى الرحبة، وهناك تزودوا بالمؤن ثم قفلوا راجعين عن طريق نهر الفرات مرورا بهيت، فأرادوا دخولها ولكنهم فشلوا للمرة الثانية لمناعة أسوارها من جهة واستبسال أهلها في الدفاع عنها من جهة

---

[١] مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٤٠. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٤٨. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٢٥٥. المسعودي، **التنبيه والإشراف**، مصدر سابق، ص٣٤٨. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ٢٧٢. ا بن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ١٧٣. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٤٧٥.

[٢] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ١١٧. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٨٢. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ص١٨١-١٨٢. دي خويه، **القرامطة**، مرجع سابق، ص ٨٩. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٤٧٦.

[٣] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ١٧٩. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٢٥٥.

.Bowen, **Ali Ibn Isa**, op. cit. P. 268

ثانية، ثم توجه القرامطة إلى الكوفة مارين بقصر ابن هبيرة، وقتلوا جماعة من أهلــه، فأرسـل المقتدر بالله جيشا تحت قيادة نصر الحاجب، وهارون بن غريب، وبنــي بــن نفيـس لمواجهـة القرامطة، إلا أن هذا الجيش لم يصطدم بالقرامطة لعلة أصابت أحد قادته، وهو نصر الحــاجب، واكتفى القرامطة بما حازوه من أموال، فقفلوا راجعين إلى هجر.[١]

كان عدد من سكان سواد الكوفة يعتقون مذهب القرامطة غير أنهم كانوا يكتمونــه خوفـا من السلطة المركزية، ولما شعر هؤلاء باضطراب الأوضاع في بغداد سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م علـى أثر اشتداد ضربات قرامطة البحرين لمدن العراق وقراه، أعلنوا تمردهــم وأظـهروا اعتقـادهم علنا، فاجتمع في سواد الكوفة عشرة آلاف رجل وعلى رأسهم شخص يدعى (حريث بن مسـعود) الذي تمكن من الاستيلاء على ناحية أعمال الموفقي وبني بها دارا سماها (دار الهجرة)، وكــان اتباعه ينهبون ويسبون ويقتلون كل من وجدوه أمامهم، فتعرض لهم بني بن نفيس – وكان يتقلـد أعمال الحرب بواسط- فقاتلهم ولكنهم تمكنوا من هزيمته " وأخذوا الجزية ممــن خالفــهم علـى رسوم أحدثوها، وجبوا الغلات".[٢] فأرسل المقتدر إليهم جيشا بقيادة هارون بن غريب فــانتصر عليهم وتمكن من تشتيت شملهم، فقتل من قتل وأسر من أسر.[٣]

كما ظهر جماعة أخرى من القرامطة في عين التمر ونواحيها في نفس الســنة، وجعلـوا رئيسهم شخص يدعى (عيسى بن موسى) الذي تمكن من السيطرة على الكوفة، وطــرد عمـال الخلافة عن السواد، وجبى الخراج لنفسه، فأرسل المقتدر إليهم جيشا آخر بقيادة صافي البصري، فتمكن من إلحاق الهزيمة بهم وتشتيت شملهم، فقتل أكثر مما أسر، وبذلك انتهى وجود القرامطــة في السواد.[٤]

---

[١] المسعودي، **التنبيه والإشراف**، مصدر سابق، ص ٣٥٠. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر ســابق، ج١، ص ١٨٣. الهمداني، **التكملة**، مصدر ســابق، ص ٢٥٦. ابــن الأثــير، **الكــامل**، مصــدر ســابق، ج٨، ص ١٨٢.الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ص ٤٧٧-٤٧٨.

[٢] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ١١٩.

[٣] المصدر ذاته، ص ١١٩. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ص ١٨٦-١٨٧. الكبيســي، **عصـر المقتدر**، مرجع سابق، ص ص ٤٨٠-٤٨١.

[٤] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ١١٩. ابن الأثير، **الكامل**، مصــدر ســابق، ج٨، ص ص ١٨٦-١٨٧. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ص ٤٨٠-٤٨١.

"ولما رأى علي بن عيسى بن الجراح اختلال النواحي في أيام وزارة الخاقاني والخصيبي ونقصان الارتفاع وزيادة النفقات وما لحق من زيادة الرجالة بعد إنصرافهم من الأنبار في حرب القرمطي. وأن زيادتهم بلغت مائتي وأربعين ألف دينار في السنة، مضافة إلى النفقات المفرطة، هاله ذلك واستعظمه، ووجد رجال السلطان قد ضعفوا عن القرمطي، وتبين انحراف نصر الحاجب عنه، وذلك لميل مؤنس إليه استعفى المقتدر من الوزارة....".[١]

عمد المقتدر بالله إلى عزل علي بن عيسى بن الجراح سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م بناء على طلبه، وقلد مكانه أبو علي ابن مقلة، وناصب نصر الحاجب علي بن عيسى بن الجراح العداء لميل مؤنس المظفر إليه، لأن نصر كان يخالف مؤنس في جميع ما يشير به، لذلك أخذ العمل على إيقاع به لدى المقتدر، فأوغر صدره عليه حتى هم المقتدر بضربه بالسوط على باب العامة، فتذكر بعض المصادر أنه " لما نكب علي بن عيسى بن الجراح ادعى نصر الحاجب أنه وجد رجلا يدعى بالجوهري أقرأنه صاحب القرمطي، وأنه جعله سفيرا بينه وبين علي بن عيسى بن الجراح وحكى عنه أن علي بن عيسى بن الجراح كان يكاتب القرمطي على يده".[٢] فنفى علي بن عيسى بن الجراح التهمة المنسوبة إليه بقوله :" بهتني وما خلق الله لما يقوله أصلا، ويبدو أن لابن مقلة يد في تدبير هذه المكيدة لأنه كان يطمع في الوزارة وسعى جاهدا للحصول عليها، فأراد بذلك إبعاد علي بن عيسى بن الجراح عن بغداد لئلا يقف حجر عثرة في طريقه، وقد نجح نصر الحاجب وابن مقلة في إقناع المقتدر بأن علي بن عيسى بن الجراح متواطئ مع القرامطة فهم بضربه بالسياط وإيقاع المكروه به على باب العامة وأمام الفقهاء والقضاة والكتاب، لولا تدخل السيدة –أم المقتدر– التي حالت دون ذلك لوقوفها على بطلان ما ادعى به على علي بن عيسى بن الجراح، وأخبرت ابنها المقتدر بذلك فانتهى عما عزم عليه.[٣]

وقد استغلت فتنة القرامطة مرة ثانية لتحقيق الأطماع الشخصية المادية والإدارية والتخلص من رجال الإصلاح بنسب تهم الخيانة والتآمر على الدولة بمراسلتهم المتمردين الذين يهددون أمن الدولة كالقرامطة.

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٨٤.ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ١٨٣.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٨٦. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٤٢.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ١٨٧. الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ٣٣٤. الهمداني، التكملة، مصدر سابق، ص ٢٥٧.

ويستنتج مما سبق أن علاقة الوزير علي بن عيسى بن الجراح مع القرامطة مرت بمرحلتين، استمرت المرحلة الأولى: منذ وزارته الأولى سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م، وحتى سنة ٣١١هـ/ ٩٢٣م. –عندما عزل علي بن عيسى بن الجراح عن الإشراف على وزارة حامد بن العباس– وخلال هذه المرحلة قام علي بن عيسى بن الجراح بممارسة الدبلوماسية مع القرامطة على أمل أن يحافظ على السلام. لأنه كان ضروريا لنجاح مخططاته وإصلاحاته المالية والإدارية بأن تظل قوات الخلافة مشغولة أقل قدر ممكن في الحرب، إذ كانت الحرب هي أكثر الجهات التي تنفق عليها الخزينة، وقد نجحت هذه السياسة إلى حد كبير إذ توقف القرامطة خلالها من تهديد الخلافة، ومروا في حالة سكون شبه تام استمرت عشر سنوات، وعلى الرغم من أن هذه السياسة قد أثارت موجة من السخط الغاضب في بغداد لأنهم أساءوا فهم التصرف الذي قام به علي بن عيسى بن الجراح، ولكن مع نجاح سياسة علي بن عيسى بن الجراح لاحظ الناس أن الشكوك التي اتهموا بها علي بن عيسى بن الجراح ليس لها أساس من الصحة، ومع ذلك فقد استغلت هذه الشكوك للعمل ضده أكثر من مرة واستطاعت أن تحقق بعض النجاح.[١]

أما المرحلة الثانية : والتي بدأت منذ سنة ٣١١ هـ/ ٩٢٣م، واستمرت حتى تم شراء القرامطة بالأموال اعتبارا من سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م – أي بعد نهب الحجر الأسود من قبل القرامطة مرورا بفترة إمرة الأمراء– وقد اتسمت هذه المرحلة بالمعارك العنيفة بين جيش الخلافة والقرامطة، تمكن خلالها القرامطة من إلحاق الهزائم المتكررة بجيش الخلافة، وقتل سكان المدن والقرى وسكان البادية. ويبدو أن القرامطة كانوا يتلقون أوامرهم من الإمام الفاطمي، إذ كانت أهدافهم واحدة وهي القضاء على سلطان العباسيين بالإضافة إلى مذهبهم المشترك وهو التشيع، وقد أشار دي خويه إلى " أن البلاط في بغداد لم يفطن إلى وجود علاقة ما بين قوة عبيد الله النامية والقرامطة، ولا خطر ببال العباسيين أن هدف جهودهما المتضافرة هو القضاء على خلافتهم مما يثبت جهلهم".[٢]

بلغ الهجوم القرمطي حده الأقصى في الوحشية واستهانته بالخلافة العباسية بارتكابهم أكبر حادثة روعت العالم الإسلامي، وذلك سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م –أي بعد عام من عزل علي بن عيسى بن الجراح عن وزارته الثانية –عندما هاجم أبو طاهر الجنابي مكة المكرمة يوم التروية فقتل

---

[١] انظر : فاروق عمر، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، مرجع سابق، ص ص ٢٧٣-١٧٤.

[٢] دي خويه، القرامطة، مرجع سابق، ص ٦٧.

الحجاج في المسجد الحرام، وداخل الكعبة وطرح جثثهم في بئر زمزم، ودفن آخرين في المسجد الحرام، واقتلع الحجر الأسود من مكانه وباب البيت الحرام ونقلهما إلى هجر وبقي الحجر الأسود عندهم مدة ٢٢ سنة. وكان بجكم أمير الأمراء قد دفع لهم مبلغ خمسين ألف دينار ليعيدوه، إلا أنهم رفضوا حتى أعيد في خلافة المطيع سنة ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م.[١]

ثم تقلد سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح الوزارة سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م مع إشراف علي بن عيسى بن الجراح على الدواوين، وفي السنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م تمكنت إحدى قوافل الحجاج من أداء مناسك الحج والعودة إلى بغداد سالمة دون أن تتعرض لهجوم القرامطة ففرح الناس ببغداد بذلك.[٢] ويبدو أن القرامطة لم يتعرضوا لهذه القافلة لانشغالهم بالهجوم على الكوفة في تلك السنة حتى هرب أهلها إلى بغداد مستنجدين بالسلطة العباسية. ومكث القرامطة في الكوفة خمسة وعشرين يوما ثم ارتحلوا عنها عائدين إلى هجر[٣]. ويضيف دي خويه أن أبا طاهر فتح عمان في سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م فاضحى بذلك سيد الجزيرة العربية بغير منازع.[٤]

ويبدو أن أبا طاهر الجنابي لم يعد يأبه بمن يتولى منصب الوزارة مادام أن الدولة ضعيفة ولا تستطيع أن تحرك ساكنا للوقوف في وجهه، بالإضافة إلى أنه

---

[١] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ١١٩. ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، مصدر سابق، ج١، ص ١٦٩. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ص ٢٤٩-٢٥٠. المسعودي، **التنبيه**، مصدر سابق، ص ٣٥٠-٣٥١. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠١. ابن الوردي، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٥١. أبو الفداء، **المختصر**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٠٣. السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، مصدر سابق، ص ٤٥. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٤٨٩ وما بعد، حسن بزون، **القرامطة بين الدين والثورة**، مرجع سابق، ص ٢٣١. دي خويه، **القرامطة**، مرجع سابق، ص ٩٨.

[٢] مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ص ٢١١. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٥٣.

[٣] حمزة بن الحسن الأصفهاني (توفي قبل سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)، **تاريخ سني ملوك الأرض**، (د. م.)، (د.ط.)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١، ص ١٦٢. الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، **حوادث ووفيات ٣١١-٣٢٠هـ**، ص ٣٩١. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٥٩. دي خويه، **القرامطة**، مرجع سابق، ص ١٠٠.

[٤] دي خويه، **القرامطة**، مرجع سابق، ص ١٠٠.

يحقق الانتصار تلو الانتصار على جيوش الخلافة، ويحقق المكاسب المادية التي يطمع بها دون منازع.

ووصلت الحالة في بغداد حدا من الفوضى خلال العشر سنوات الأخيرة قبل مجيء البويهيين إلى السلطة -وهي فترة إمرة الأمراء ٣٢٤-٣٣٤هـ/٩٣٥-٩٤٥م - بسبب النزاع بين قادة الجيش على السلطة لدرجة أن أحدهم استعان بالقرامطة كحلفاء له ضد منافسيه.(١)

فمن ذلك أن القرامطة دخلوا الكوفة سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م، فراسل أمير الأمراء ابن رائق أبا طاهر القرمطي وبذل له ما طلبه من السلطان في كل سنة مالا وطعاما بقيمة مائة وعشرين ألف دينار، ووعده أن يتم تسجيل ذلك في الديوان ليبقى رسما له، مقابل بقاء القرامطة في هجر ودخولهم في طاعة السلطان، إلا أن القرامطة رفضوا ذلك وعادوا إلى بلدهم من دون اتفاق.(٢)

وفي سنة ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م انضم القرامطة(٣) الذين كانوا في جيش الخلافة إلى جانب ابن رائق في حربه ضد بجكم والخليفة، وذلك بسبب تأخر أرزاقهم، ووعد ابن رائق لهم بمنحهم الأرزاق، فقوي ابن رائق بهم إذ كان عددهم يتجاوز ثلاثمائة رجل.(٤)

وأخيرا فإن ابن الأثير يذكر أن أمر القرامطة بدأ يضعف ويفسد وذلك ابتداء من سنة ٣٢٦هـ/ ٩٣٧م، إذ لم يعد بإمكانهم مهاجمة المدن والقرى وقتل الحجاج ونهبهم، وذلك لانشغال قادتهم بتصفية الحسابات فيما بينهم، إذ بدأ النزاع يدب بينهم طمعا في السلطة، فلذلك انشغل القرامطة عن مواصلة القتال مع جيوش الخلافة العباسية.(٥)

---

(١) فاروق عمر، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، مرجع سابق، ص ٢٧٤.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ٢٦٧.

(٣) هم الذين استأمنوا لقواد الخليفة ثم ادمجوا في الجيش فأصبحوا طائفة فيه مثل الساجية وغيرهم.

(٤) مجهول، العيون والحدائق، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ص ٣٢٤-٣٢٥. مسكويه، تجارب الأمم، مصدر سابق، ج١، ص ص ٤٠٥-٤٠٦. ابن ا لأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٣٤.

(٥) ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج٨، ص ٣٥١-٣٥٢.

"على أننا سنرى وجهة النظر هذه [١] ستتغير بعد فترة ليست بالطويلة حين يسيطر البويهيون على السلطة في بغداد سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م، حيث لا يجدون حرجا في التفاوض مع القرامطة بل والتوصل إلى اتفاق معهم".[٢]

ج – الحركات العلوية :

لم ينس العلويون حقهم في الخلافة منذ مقتل الحسين بن علي في كربلاء، بل كان ذلك شغلهم الشاغل، فهم استمروا في كل أدوار حياتهم يتنزعون إلي نيل حقهم بكل وسيلة فإذا وجدوا الفرصة سانحة لأعمال القوة وتجريد السيف اغتنموها، ولم يدعوها تمر، وإذا وجدوا في أنفسهم ضعفا استكانوا وآثروا المعيشة الهانئة، والاشتغال بالتجارة والانصراف إلى الدين على الاشتغال بالسياسة والحرب، ولما ظفر العباسيون بالخلافة وأقاموا دولتهم على أنقاض دولة بني أمية، لم يرق ذلك للعلويين، لأنهم اشتركوا مع العباسيين في العمل على إزالة دولة بني أمية، فنابذوهم العداء، ونظروا إليهم كما كانوا ينظرون إلى الأمويين، فظلوا يناضلون ويكافحون ابتغاء الوصول إلى الخلافة.

استمرت حركات العلويين ضد السلطة العباسية في هذه الفترة ٢٦٣-٣٣٤هـ/ ٨٧٦-٩٤٥م، في مناطق متعددة من الدولة الإسلامية، تمكنت بعضها من تكوين كيان سياسي مستقل يحمل اسم الجماعة التي كونته، كما هو الحال بالنسبة للزيدية [٣] في طبرستان والديلم، والفاطميين[٤] في إفريقيا ثم انتقالها إلى مصر، وذلك بفضل تنظيمها السري المحكم، والقيادة

---

[١] المقصود بها انتقاد المجتمع لأسلوب الوزير علي بن عيسى بن الجراح في التفاوض مع القرامطة بدل الحرب المدمرة التي تستنفذ الأموال والرجال، لأن المجتمع كان يعتبر القرامطة كفارا غير مسلمين، عدا كونهم لصوصا غدارين ينهبون أموال غيرهم بغير حق، وأنهم امتداد للمزدكية الإباحية وأنهم كانوا يغالون في العقيدة ويعتقدون بالحلول والتناسخ وألوهية أئمتهم.

[٢] فاروق عمر، **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**، مرجع سابق، ص ٢٧٤.

[٣] الزيدية: هي إحدى فرق الشيعة التي تدعو إلى إمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، وأن تكون الإمامة في أولاد فاطمة الزهراء. ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، **المعارف**، تحقيق ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٦٢٢.

[٤] الفاطميون: هي السلالة التي حكمت شمال إفريقيا في مصر من ٢٩٧-٥٦٧هـ/ ٩٠٩-١١٧١م، وكان أول خلفائها عبيد الله المهدي وآخرهم العاضد، وبلغ عددهم أربع عشرة خليفة وقد دامت مدة حكمها منتسان

=

المنظمة، كما ظهرت حركات أخرى في مناطق متفرقة كالكوفة والبصرة وغيرهما، إلا أن هذه الحركات قد باءت بالفشل الذريع، ولم تحقق الهدف المنشود الذي قامت من أجله. إذ تمكنت السلطة العباسية من إلقاء القبض على قائدها، ثم العمل على إجهاضها وهي في الرحم، بسبب عدم وجود تنظيم دقيق، بالإضافة إلى التسرع في العمل دون وجود أنصار حقيقيين لدعم هذه الحركات.

إن حدة حركات العلويين في العصر العباسي الثاني كانت ضعيفة بسبب سياسة التتبع التي انتهجها كل من المعتز والمهتدي والمعتمد، حيث أن فشل الحركات العلوية في فترات سابقة على أيدي من سبقهم من الخلفاء أجهض باقي المحاولات التي لم يكن لها أمل في النجاح، كما يلاحظ في هذا العصر ظهور شخصيات كانت تدعي النسب إلى العلوية، أطلق عليهم اسم (أدعياء العلوية) ليضفوا على حركاتهم طابع الشرعية، وبهدف استقطاب أكبر عدد ممكن من الاتباع المناصرين للقضية العلوية، وقد برزت هذه الظاهرة بشكل خاص في عصر المقتدر ٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٧-٩٣٢م، والذي يكاد يخلو من أية حركة علوية نقية النسب للعلويين سوى حركة الناصر الأطروش. وسيقتصر الحديث في هذا المقام على الحركات التي ظهرت أثناء تولي وزراء من آل الجراح الوزارة، للتعرف على مدى نجاح هذه الحركات واستغلالها للأوضاع السياسية وسوء الحالة الاقتصادية.

يعتبر الزيديون من العلويين الذين تمكنوا من تأسيس كيان سياسي خاص بهم في طبرستان[١] على يد (الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب) الذي كان قد خرج مع يحيى بن عمر[٢] أبان خلافة المستعين سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م. ولما

وخمسين سنة. فاروق عمر، المدخل إلى التاريخ الإسلامي منذ فجر الإسلام وحتى مطلع العصر الحديث، منشورات جامعة آل البيت، المفرق، ١٩٩٩، ص ٣١١.

[١] طبرستان : مناطق جبلية تقع على بحر قزوين، جعلتها الجبال مناطق منعزلة إلى حد أن بقيت الزردشتية (المجوسية) فيها إلى أن فتحها الخليفة المنصور سنة ١٤٤هـ/٧٦١م، الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٤، ص ١٣. أحمد بن عمر ابن رسته (ت٢٩٠هـ/ ٩٠٢م) (د.م.)، (د.ط.)، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٧، ص ١٤٩. اليعقوبي، البلدان، (واقع ضمن كتاب الأعلاق النفيسة)، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٧، ص ص ٣٧٦-٣٧٧.

[٢] يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ثائر خرج أيام المتوكل فسجنه ثم أطلق سراحه، فخرج إلى الكوفة فدعا إلى الرضا من آل محمد سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م إلى أن

قتل يحيى بن عمر فر الحسن بن زيد مع بعض أصحابه إلى الديلم ثم إلى طبرستان حيث نشر دعوته فبايعه أهلها لسخطهم على ولاة العباسيين.ثم دخل الحسن بن زيد مدينة آمل عاصمة طبرستان سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م حيث لقب بالداعي الكبير، ثم غزا بعد ذلك الري ثم جرجان إلى أن توفي سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م. فتولى بعده محمد بن زيد الذي لقب بالداعي الصغير، وكانت الحرب بينه وبين العباسيين سجالا، ملاحقة جيوش العباسيين في الديلم والطالقان تارة ويحتل هو نيسابور تارة أخرى، حتى انتهى أمره بالقتل وقطع رأسه سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م. وقد خضعت طبرستان بعدها للسامانيين إلى أن استعادها زيدي آخر هو الناصر الأطروش سنة ٣٠١هـ/٩١٣م.[١]

استولى الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب على طبرستان سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م، حيث لقب بعدها بالناصر، كما كان يعرف (بالأطروش)، في فترة تولى فيها الوزير علي بن عيسى بن الجراح الوزارة العباسية للخليفة المقتدر بالله.[٢]

وكان الحسن بن علي الأطروش قد دخل الديلم بعد مقتل محمد بن زيد سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م، وأقام بينهم نحو ثلاثة عشر سنة يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم منهم خلق كثير، معتنقين المذهب الشيعي الزيدي، واجتمعوا حوله، وتمكن بذلك من بناء المساجد في بلادهم، ثم أخذ يدعوهم إلى الخروج معه إلى طبرستان ولكنهم كانوا يرفضون الخروج لحسن معاملة الوالي العباسي – الذي كان يعينه الأمير الساماني التابع للخلافة العباسية في بغداد لهم– ثم حدث أن ولت السلطة العباسية محمد بن إبراهيم بن صعلوك أمرهم، فأساء السيرة، فانتهز الحسن بن علي الفرصة، فأثار الديلم ضده، ودعاهم للخروج معه فأجابوه إلى ذلك. ثم جرت معركة بين الطرفين، انهزم فيها صعلوك، وقتل من أصحابه أربعة آلاف رجل، وحصر الأطروش الباقين ثم أمنهم على أموالهم وأنفسهم وأهليهم، ولكن سرعان ما أعمل قائده وزوج ابنته (الحسن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب) فيهم القتل. ثم ذهب الأطروش إلى

قتل، أبو الفرج الأصفهاني، (ت ٣٥٦هـ/٩٥٠م) **مقاتل الطالبيين**، تحقيق أحمد صقر، (د.ط.)، دار المعرفة، بيروت، (د.ت.)، ص ٦٣٩.

[١] الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج٩، ص ٢٧١ وما بعدها، المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٤، ص ١٥٣. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٢، ص ص ٣٤-٣٥. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٧، ص ١٣٠ وما بعدها. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٩٥.

[٢] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٤٧. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٤٤٢.

آمل تلبية لنداء أهلها، ثم وطد أقدامه من شالوس إلى سارية دون أن يقف السامانيون في وجهه، لانشغالهم بتوطيد سلطانهم بعد وفاة أحمد بن إسماعيل، كما لم تحرك الخلافة العباسية ساكنا تجاهه لانشغالها هي الأخرى بأمورها الداخلية الناجمة عن الصراع بين القادة الأتراك والمؤسسة المدنية، مما مكن الحسن بن علي الأطروش من الاستيلاء على طبرستان كلها[١]. واستمر إلى أن مات سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٧م.

تمكن الحسن بن القاسم الذي خلف الأطروش بعد وفاته سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٧م من غزو نيسابور سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م، كما تمكن أيضا من إنفاذ جيش إلى طوس، ولكنه قتل سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م بعد ذهابه إلى الري لنجدة آمل التي كان قد احتلها أسفار بن شيرويه الديلمي ومرداويج بن زيار. غير أنه كان يحد من سلطاته على الدوام أبناء (الأطروش) إذ أخذ أبو القاسم جعفر بن الأطروش آمل سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م بمساعدة محمد بن صعلوك عامل الري، كما استولى عليها مرة أخرى عام ٣١٢هـ/ ٩٢٤م. غير أنها لم تستقر في ملكه إلا فترة وجيزة، وفي عام ٣١١هـ/ ٩٢٣م استولى أخوه أبو الحسين أحمد على هذه المدينة، وقد حارب ابنه أبو علي حسين وأخوه وخلفه أبو جعفر خصما للإمامية هو (إسماعيل بن جعفر) الذي دس له السم علم ٣١٩هـ/ ٩٣١م. وفي الوقت نفسه أقام قريب آخر للأطروش نفسه أميرا وهو أبو الفضل جعفر ولقب بـ (الثائر في الله). وما إن انقضى عام ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م حتى تمكن من الاستيلاء على آمل مدة من الزمن وساعده على ذلك سياسة التذبذب التي اتبعها في الحرب بين وشمكير بن زيار وبين بني بويه – إذ كان نجمهم آخذا في البزوغ– ومستعينا بتدخل الحسن الفيروزاني وقد دامت ولايته على طبرستان حتى عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م.[٢]

---

(١) الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٤٩. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ١٧٦. المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٧٤. الصابئ، المنتزع من كتاب التاجي، تحقيق محمد حسين الزبيدي، (د.ط.)، (د.د.ن.)، (د.م.ن.)، (د.ت.)، ص ص ٥٦-٥٧. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٨٢. شتروتمان، مادة (اطروش)، **دائرة المعارف الإسلامية**، مرجع سابق، ج٢، ص ص ٣٠٩-٣١٠. أحمد محمود صبحي، **الزيدية**، ط٢، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٢، ص ص ١٩٠-١٩١.

(٢) المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٧٤. الصابئ، **المنتزع**، مصدر سابق، ص ص ٥٨-٥٩. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مصدر سابق، حوادث ووفيات ٣٠١-٣١٠هـ، ٣١١-٣٢٠هـ، ص ١٥ وما بعد، حمزة الأصفهاني، **سني ملوك الأرض**، مصدر سابق، ص ١٨٢. أبو الفداء، **المختصر**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٩٥. شتروتمان، مادة (اطروش) **دائرة المعارف الإسلامية**، مرجع سابق، ج٢، ص ٣١١.

وفي بداية عصر المقتدر ، كانت إمارة مكة بيد محمد بن سليمان العلوي الذي "خطب لنفسه بالإمارة في سنة إحدى وثلثمائة بعد خلع طاعة العباسيين".

وفي سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م قبضت السلطة العباسية على رجل من أدعياء العلوية ظهر في بغداد، إذ أدعى أنه (محمد بن الحسن بن علي بن موسى بن جعفر الرضا) فعهد إلى نقيب الطالبيين ابن طومار[١] بمناظرته، فلم يثبت لابن طومار صحة نسبه، وتأكد له أنه مدعي النسب، فطلب بنو هاشم من السلطة العباسية أن يشهر ويعاقب، فحمل وشهر بالجانبين ثم سجن في سجن المصريين بالجانب الغربي من بغداد.[٢]

وفي نفس السنة تعرضت قافلة الحاج للهجوم من قبل رجل علوي خرج ومعه بنو صالح ابن مدرك الطائي، إذ قطعوا الطريق عليهم ونهبوهم وسبوا (٢٥٠) امرأة وهلك الباقون بالقتل والعطش.[٣]

وفي سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م، ظهر دعي علوي آخر في منطقة تسمى (الجامدة)[٤]، فقتل عامل هذه المدينة ثم نهبها وسيطر على بيت مالها، فحاز أموالا كثيرة، ويبدو أن السلطة العباسية قد سيرت له جيشا تمكن من قتله وقتل عدد كبير من أتباعه، وأسر الباقون.[٥]

وفي نفس العام – أي عام ٣٠٣ هـ/ ٩١٥م ثار رجل طالبي بجهة واسط، وانضم إليه جماعة من الأعراب والسودان، وكان للأعراب رئيس يقال له محرز بن رباح، فلما بلغهم أن صاحب فارس والأهواز والبصرة بعث إلى العاصمة ثلثمائة ألف دينار من المال المتجمع من

---

[١] ابن طومار : هو أحمد بن عبد الله بن صالح بن علي بن المهدي العباسي، كان يتولى النقابة على جميع بني هاشم (العباسيين والطالبيين) توفي سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج٧، ص ص ٦٥-٦٦.

[٢] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٤٧. ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ١٥.

[٣] ابن الجوزي، **المنتظم**، مصدر سابق، ج١٣، ص ١٥١. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ص ٩٠-٩١.

[٤] الجامدة : قرية كبيرة جامعة من أعمال واسط بينها وبين البصرة. الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، ج٢، ص ٩٥.

[٥] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٥٤. ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ص ٩٥-٩٦.

قبله، حصلت في ثلاثة شذاوات[١] فتصدى الرجل الطالبي ومؤيدوه إلى انتهابها، وكمنوا لها في الطريق ففطن بها أهل الشذاوات، فأفلتت واحدة حيث صعدت قاصدة بغداد، بينما رجعت الاثنتان إلى البصرة، ولم يظفر الثائر بشيء، فعز عليهم أن تؤول محاولاتهم بخيبة الأمل عندئذ قرروا مهاجمة مدينة "واسط وأوقعوا بأهلها وأحرقوا مسجدها واستباحوا الحرم"[٢]، وبلغ حامد بن العباس خبرهم – وكان يتقلد أعمال الخراج والضياع بكسكر وكور دجلة- فوجه إليهم من قبله محمد بن يوسف المعروف بخزري – وكان يتقلد له معونة واسط- وضم إليه غلمانه وكتب إلى المقتدر بالخبر، فأمده بجيش من العاصمة، وقد تمكن حامد بن العباس من قتل الرجل الطالبي ومحرز بن رباح رئيس الأعراب، وأكثر الأعراب الخارجين معهما، وأسر منهم نحو مائة أعرابي، حيث أرسلوا إلى بغداد فشهروا هناك، وبعدئذ أرسلوا إلى واسط حيث قتلهم حامد بن العباس أجمعين، وصلبهم على جسر واسط.[٣]

يلاحظ مما سبق مدى استغلال الطامحين للظروف السائدة في بغداد لتحقيق مآربهم الشخصية، إذ أن كل الذين خرجوا على السلطة العباسية في هذه الفترة كانت لهم أطماع شخصية في تحقيق مكاسب مادية أو شهرة اسميه، كما هو حال المنخرطين إلى جانب الخارجين الطامحين، كما يلاحظ أنه لم يكتب النجاح لأي من هؤلاء الطامحين في تحقيق مآربهم، إذ كانت السلطة العباسية تقف لهم بالمرصاد، خاصة بعد الاستقرار الإداري النسبي الذي كان قائما بوجود شخص الوزير علي بن عيسى بن الجراح في الوزارة، بالإضافة إلى قرب خروج هؤلاء الطامحين من مركز صنع القرار في بغداد، وباءت كل هذه المحاولات بالفشل الذريع.

أما في المغرب الإسلامي فقد كان الفاطميون قد وطدوا أقدامهم في تونس في البداية وبعد ستين عاما انتقلوا بكل ما لديهم إلى مصر، ولم ينظروا إلى الوراء البتة بعد ذلك، إذ استطاع عبيد الله المهدي أن يؤسس الدولة الفاطمية في أفريقيا -بعد أن مهد له رئيس دعاته فيها أبو عبد الله الشيعي المسرح السياسي- فأعلن نفسه أميرا للمؤمنين، متخذا لقب المهدي سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م.[٤]

---

[١] نوع من السفن.

[٢] عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٥٤.

[٣] عريب، الصلة، مصدر سابق، ص ٥٤. الكبيسي، **عصر المقتدر**، مرجع سابق، ص ٤٤٧.

[٤] ابن الطقطقي، **الفخري**، مصدر سابق، ص ص ٢٦٢-٢٦٣.

وبقدر ما تتعلق الدولة الفاطمية بموضوع الدراسة، فسيتم الحديث عن علاقة الدولة العباسية مع الدولة الفاطمية في فترة تولي وزراء آل الجراح الوزارة العباسية ابتداء من علي بن عيسى بن الجراح سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م وانتهاء بعبد الرحمن بن عيسى بن الجراح سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م.

اتسمت علاقة العباسيين مع الفاطميين بالمنافسة والتوتر على تزعم العالم الإسلامي سياسيا ودينيا، إذ كان الفاطميون يسعون على الدوام لتنفيذ مخططهم ومخطط من سبقهم من العلويين في القضاء على الدولة العباسية والحلول محلها. فقد استغل الفاطميون فرصة انشغال الدولة العباسية في ترتيب أمورها الإدارية والمالية بتولية الوزير علي بن عيسى بن الجراح الوزارة سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م بعد الضعف الذي أصابها، إذ وجه الفاطميون حملتهم الأولى بهدف غزو مصر، والتعرف على مدى قوة رد الدولة العباسية على هذه الحملة، فسار بداية حباسة بن يوسف الكتامي في جيش كبير قدر بمائة ألف رجل كمقدمة لجيش ولي عهد المهدي أبي القاسم، فتمكن الجيش من الاستيلاء على الفيوم والإسكندرية فسيطر بذلك على معظم الأراضي الخراجية، ولحق الناس في مصر من جراء ذلك ضيق شديد، فأرسلت الخلافة العباسية جيشا بقيادة مؤنس الخادم حارب جيش الفاطميين وتمكن من طردهم إلى القيروان.[1]

ولما وصل خبر حملة الفاطميين على مصر إلى بغداد عمد الوزير علي بن عيسى بن الجراح إلى تجهيز عدد من الجمازات[2] من مصر إلى بغداد بهدف الاطلاع على الأمور ومستجداتها على الساحة المصرية، ونقل الأخبار من موقع الحدث مباشرة يوم بيوم، ولما ورد خبر انهزام الجيش الفاطمي، بشر الوزير علي بن عيسى بن الجراح الخليفة المقتدر بالله بذلك النصر، فتصدق الخليفة بمائة ألف درهم، كما تصدق الوزير نفسه بمبلغ أربعة آلاف دينار ثمن ضيعه له كان قد باعها.[3] ولما كانت الدولة العباسية سنية المذهب، والدولة الفاطمية شيعية المذهب، فقد وقف الوزير علي بن عيسى بن الجراح موقفا حازما من محاولات الدولة الفاطمية السيطرة على مصر، عدا عن ذلك فإن

---

(١) الطبري، **تاريخ**، مصدر سابق، ج١٠، ص ١٤٩-١٥٠. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ص ١٧٦-١٧٧. عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٢٥٢.الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٢٠٥.

Von Grunebaum, **Classical Islam**, A History 600-1258, London , 1967, P.114-115.

(٢) الجمازات : هي الدابة السريعة السير.

(٣) عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٥٢. الهمداني، **التكملة**، مصدر سابق، ص ٢٠٥.

مصر تعتبر مصدر دخل ثابت يتأتى من أرضها الخراجية المفروض عليها إلى الخزينة المركزية في بغداد، فإذا ما سيطر الفاطميون على مصر، فسينقطع هذا الدخل، وخاصة أن الدولة العباسية تعاني من أزمة مالية حادة في تلك الفترة.

قام الفاطميون بمحاولة ثانية لغزو مصر سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٩م[١] وأخرى ثالثة سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م[٢]، غير أنهم لم يتمكنوا خلالها من الاحتفاظ بمصر لفترات طويلة، إذ سرعان ما كانت الخلافة العباسية ترسل جيوشها التي تتمكن على الفور من طرد الفاطميين ودحرهم إلى بلادهم.

ويشير أيمن فؤاد إلى أن تكرار المحاولات الفاطمية للسيطرة على مصر قد نبهت الخلافة العباسية إلى أن استمرار هذه المحاولات يتطلب وجودا عسكريا قويا في مصر،.... فأسند العباسيون إلى محمد بن طغج الأخشيد ولاية مصر بالإضافة إلى ولايته على الشام".[٣]

ويبدو أن الفاطميين كانوا حذرين في محاولاتهم السيطرة على مصر، وذلك لأن قوة الفاطميين لم تكن قد نمت بعد في هذا الوقت المبكر، ولم يكونوا يملكون القوة العسكرية اللازمة للقيام بمثل هذا المغامرة التي تفوق قدراتهم، ولكنهم كانوا يسعون للسيطرة على التجارة الإفريقية المارة بين الشمال والجنوب عبر الصحراء الليبية – المصرية (الساحل الجنوبي للبحر المتوسط) إلى الموانيء المزدهرة على الساحل، لذلك كان هدفهم من محاولات غزو مصر المتكررة هو إخراج النفوذ المصري من برقة، وحصره قدر الإمكان داخل حدود الوادي.[٤]

وفي سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م تمكن الجيش الفاطمي الذي أعده المعز لدين الله الفاطمي بقيادة قائده جوهر الصقلي من دخول مصر، وتسلمها من أهلها دون أية مقاومة حقيقية مقابل أمان كتبه الصقلي لأهل مصر.[٥]

---

[١] عريب، **الصلة**، مصدر سابق، ص ٧٣. مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٠٣. مسكويه، **تجارب الأمم**، مصدر سابق، ج١، ط أمدورز، ص ٧٥. (يذكر أن الحملة كانت سنة ٣٠٨م).

[٢] مجهول، **العيون والحدائق**، مصدر سابق، ج٤، ق١، ص ٢٩٥.

[٣] أيمن فؤاد سيد، **الدولة الفاطمية في مصر**، تفسير جديد، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٥٨.

[٤] محمد شعبان، الدولة العباسية (الفاطميون ٧٥٠-١٠٥٥م، ١٣٢-٤٤٨هـ)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١. ص ٢٢٩. أيمن سيد، **الدولة الفاطمية**، مرجع سابق، ص ٥٩.

[٥] ابن الأثير، **الكامل**، مصدر سابق، ج٨، ص ٥٩٠. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٢. Grunebaum, **Classical Islam.**, Op. cit. P. 115.

الخاتمة :

لقد حظي آل الجراح منذ ظهورهم على مسرح الأحداث في الدولة العباسية بتأييد رسمي وشعبي مميزين، إذ سرعان ما حازوا على ثقة الخلافة العباسية ومحبة العامة، وكان لهذا التأييد أثر كبير في اختيارهم لمنصب الوزارة.

قد أدرك وزراء آل الجراح مدى أهمية كسب قلوب الرعية واستمالتهم إلى جانبهم، فعملوا على التقرب منهم بالأسلوب الإداري الحسن وإصلاح أحوالهم المعيشية "فأعظم الأشياء على الناس عامة وعلى الولاة خاصة أن يُحرموا صالح الوزراء والأعوان". [١] فأحسن وزراء آل الجراح بذلك سفارتهم للخلفاء لدى رعاياهم، ومن هنا أتت محبة العامة لهم.

لقد عمل وزراء آل الجراح على القيام بحقوق الملك وحقوق الرعية الواجبة على وزير الدولة "فمن شروط الوزير أن يكون مكين الرحمة للخلق، رؤوفاً بهم، ليأنسوا برحمته ما يجرحه السلطان بغلظته"[٢]، فأصلحوا أحوال الدولة إدارياً ومالياً، وطهروها من الفساد والمفسدين، ثم عملوا على إصلاح أحوال العامة برفع الظلم عنهم، وتوفير الحياة الكريمة لهم. ومن هذا المنطلق قال الخليفة المقتدر بالله لوزيره علي بن عيسى بن الجراح: "اتق الله يعطفني عليك، ولا تعصه فيسلطني عليك".[٣]

وقد تولى آل الجراح منصب الوزراة العباسية مدة تزيد عن سبعين سنة، تخللها فترات من العزل والإنقطاع، عملوا خلالها على المحافظة على مركزهم وإثبات وجودهم، وتثبيت دعائم وزارتهم، إذ استطاعوا المحافظة على هيبة الوزارة رغم الظروف السيئة المحيطة بهم، فحرصوا على إيجاد قاعدة رسمية وأخرى شعبية لهم في بغداد وغيرها، وقد فتحت الأعمال الجليلة التي قام بها وزراء آل الجراح في خدمة الدولة العباسية المجال أمام الشعراء كالبحتري وغيره، لينظموا قصائد في مدحهم.

---

[١] محمد بن الوليد القهري الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)، سراج الملوك، تحقيق محمد أبو بكر، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ج١، ص ٢٨٩.

[٢] المصدر ذاته، ص ٢٩٣.

[٣] المصدر ذاته، ص ٢٩٤.

لقد كانت أسرة آل الجراح فارسية نسبا، ولكنها نشأت في العراق، فتكون بذلك قد استعربت لساناً وبيئة وفكراً وولاءاً، وقد تنقل أفرادها بين المناصب الإدارية من كتابة في الدواوين إلى رئاسة بعضها، وصولاً إلى الوزارة، ثاني أرفع المناصب في الدولة وأعلاها مكانة بعد الخلافة، بسبب كفايتهم الإدارية، وتميزهم العلمي والثقافي، الذي كانوا يتمتعوا به، مما زاد في شهرتهم، فجذب أنظار الخلفاء العباسيين إليهم، إذ طلبوهم لتولي الوزارة، فأثبتوا خلالها حسن الإدارة والكفاية اتي كادت أن تضاهي ما كان يتمتع به وزراء العصر العباسي الأول، مع الأخذ بنظر الاعتبار الظروف والمستجدات والفارق الزمني.

أبرزت الدراسة كذلك التطورات التي شهدتها مؤسسة الوزارة العباسية في العصر العباسي الثاني من خلال البحث في أسرة آل الجراح منذ وصولهم إليها، وتربعهم على سدتها، كما ألقت الضوء على شخصية الوزير العباسي في فترة الدراسة ومدى نفوذه وسلطته في الإدارة والسياسة والحرب وطبيعة علاقته بالخليفة وظروف ارتقائه وأسباب عزله، بالإضافة إلى مدى تدخل القادة الأتراك والحاشية والحرم المستمر في تعيين من يريدون من وزراء الخلافة وعزلهم وفق ما تقتضيه مصالحهم، وذلك حرصاً منهم على إحكام سيطرتهم على مؤسسة الخلافة والأجهزة الإدارية الأخرى وخاصة تلك المتعلقة بالأمور المالية، وأخيراً كيف أثرت الظروف وأحداث هذه الفترة في نمو سلطة الوزير، وزيادة أو قلة تأثيره على الخليفة وبالتالي في رسم سياسة الدولة.

وخلصت الدراسة إلى أن وزراء آل الجراح تمتعوا بقدر من الفطنة والدهاء السياسي، والذكاء الإداري والمقدرة المالية، مما ساعدهم في تدعيم وجودهم، وحصولهم على ثقة الخلفاء الذين اتخذوا منهم أداة لتحقيق مصالح الدولة، ثم لتحقيق أهدافهم الشخصية من ضرب أعدائهم، أو التقارب مع منافسيهم على السلطة مثلاً.

وبدت لنا الأهمية الخاصة التي حازها الوزير علي بن عيسى بن الجراح دوناً عن أفراد أسرته، بأن له من المنزلة والمكانة والشهرة ما تفوق به عليهم، حتى أن شهرة هذه الأسرة برزت من خلال شهرته، وكان جلّ اعتماد الخلفاء عليه في الأمور المعضلة، ولما كان يتمتع بالعلم والفصاحة والقدرة والكفاية في الأمور السياسية والإدارية والمالية، فقد طلب أكثر من مرة، ومن أكثر من خليفة لتولي منصب الوزارة، بالإضافة إلى نجاحه في إنشاء بعض الدواوين الإدارية والتي اقتضت الظروف في تلك الفترة استحداثها.

وأخيراً لا آخراً فقد توصلت الدراسة إلى مدى الاهتمام والعناية التي أولاها الوزير علـــي بن عيسى بن الجراح للنواحي الحضارية في الدولة العباسية، فكان له اهتمام بالحياة الاقتصاديـــة والاجتماعية وغيرها، وهذا يفسر بطبيعة الحال الحيز الواضح الذي شـــغله هــذا الوزيــر فـــي الدراسة.

كما كان لأفراد أسرة آل الجراح عموماً إسهام بالحركة العلمية والأدبية في بغــــداد، مـــن خلال تشجيع العلماء والأدباء وتقريبهم، وعقد المجالس العلمية في دورهم، فضلاً عـــن نتاجـــهم العلمي والأدبي الخاص الذي أثروا به المكتبة العربية الإسلامية.

وأخيراً يمكن القول أن وزراء آل الجراح لم يكونوا مجرد نماذج وزارية عابرة كغــــيرهم من وزراء العصر العباسي الثاني، بل أنهم مثلوا مدرسة مستقلة لها أصولها الثقافيــــة والعلميـــة والإدارية برعوا من خلالها في الأعمال السياسية والإدارية والمالية والعلمية التي قاموا بها أثنـــاء توليهم للوزارة العباسية.

والله نعم المولى ونعم النصير،،

قائمة بالمصادر المطبوعة والمراجع باللغة العربية وباللغات الأجنبية والبحوث باللغة العربية وباللغة الأجنبية :

- المصادر المطبوعة :

١-القرآن الكريم .

- إبراهيم بن علي القيرواني الحصري (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م).

٢-**زهر الآداب وثمر الألباب**، شرح زكي مبارك، ط٤، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢.

- إبراهيم بن محمد بن دقماق (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م).

٣-**الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين**، تحقيق كمال الدين علي، ط١، عالم الكتب ، بيروت، ١٩٨٥.

- أحمد بن سهل البلخي (ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م).

٤-**فارس نامة**، اهتمام وتصحيح كاي ليسترانج ورينولد نيكلسون، دار الفنون، كامبريج، ١٩٢١.

-أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

٥-**لسان الميزان**، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.

- أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

٦-**تاريخ بغداد أو (مدينة السلام)**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

- أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).

٧-**مآثر الأنافة في معالم الخلافة**، تحقيق عبد الستار فراج، (د.ط.)، زارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٥.

- أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).

٨-**السلوك لمعرفة دول الملوك**، (د.م.)، (د.ط.)، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٦.

٩-**المقفى الكبير**، تحقيق محمد اليعلاوي (د.ط.)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١.

- إسماعيل بن علي بن محمود أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م).

٢١- **تاريخ أبي الفداء المسمى (المختصر في أنباء البشر)**، علق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

- أبو بكر بن محمد العامري اليماني (ت ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م).

٢٢- **غربال الزمان في وفيات الأعيان**، صححه وعلق عليه محمد ناجي العمر، إشراف عبد الرحمن الأزياني، (د.ط.)، مطبعة زيد، دمشق، ١٩٨٥.

- أبو بكر بن مسعود الكاساني (ت ٥٨٧هـ/١١٩١م).

٢٣- **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، (د.م.)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.

-ثابت بن سنان وآخرون (ت ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م).

٢٤- **الجامع في أخبار القرامطة في الإحساء – الشام- العراق- اليمن**، دراسة وتحقيق سهيل زكار، ط٣، جزئين، دار حسان، دمشق، ١٩٨٧.

- جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

٢٥- **تاريخ الخلفاء**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٣.

- حمزة بن الحسن الأصفهاني (توفي قبل سنة ٣٦٠هـ).

٢٦- **تاريخ سني ملوك الأرض**، (د.م.)، (د.ط.)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١.

- الخليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

٢٧- **الوافي بالوفيات**، اعتناء وداد القاضي، (د.ط.)، دار النشر فرانظ شتايز، فيسبادن، ١٩٨٢.

- عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م).

٢٨- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، وضع حواشيه خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

- عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ ٨٨٩م).

٢٩- **المعارف**، تحقيق ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩.

- عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (ت ٤١٥هـ/ ١٠٢٥م).

٣٠- **تثبيت دلائل النبوة** (واقع ضمن كتاب الجامع لأخبار القرامطة)، دراسة وتحقيق سهيل زكار، ط٣، دار حسان، دمشق، ١٩٨٧.

- عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م).

٣١- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٦.

- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م).

٣٢- **القرامطة**، تحقيق محمد الصباغ، ط٢، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٦٨.

٣٣- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

- عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).

٣٤- **تاريخ ابن خلدون**، (د.م.)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

-عبد الرحمن سنبط قنيتو الأربلي (ت ٧١٧هـ/ ١٣١٧م).

٣٥- **خلاصة الذهب المسبوك**، تصحيح مكي السيد جاسم، ط٢، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٤.

- عبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م).

٣٦- **الفرق بين الفرق**، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، (د.ط.)، المطبعة العصرية، بيروت، ١٩٩٥.

-عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م).

٣٧- **آداب الملوك**، تحقيق جليل عطية، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠.

٣٨- **الإعجاز والإيجاز**، تخريج وحواشي محمد التونجي، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٢.

٣٩- **تحفة الوزراء**، تحقيق سعد أبو دية، (د.ط.)، دار البشير، عمان، ١٩٩٤.

٤٠- **لطائف المعارف**، تحقيق إبراهيم الابياري وحسن الصيرفي، (د.ط.)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠.

٤١- **ثمار القلوب**، تحقيق إبراهيم صالح، ط١، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٤.

- أبو عبيد البكري.

٤٢- **المسالك والممالك**، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيربي، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ت.).

- عريب بن سعيد القرطبي (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م).

٤٣- **صلة تاريخ الطبري** (واقع ضمن ذيول تاريخ الطبري)، ط١، دار الفكر، ١٩٨٧.

- علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٥٤م).

٤٤- **جمرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، (د.ط.)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢.

- علي بن الحسن بن عساكر (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م).

٤٥- **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق محي الدين عمر بن غرامة العمروي، (د.ط.)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

٤٦- **تهذيب تاريخ دمشق**، هذبه ورتبه عبد القادر بدران، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩.

- علي بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م).

٤٧- **مقاتل الطالبين**، تحقيق أحمد صقر، (د.ط.)، دار المعرفة، بيروت، (د.ت.).

- علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).

٤٨- **التنبيه والإشراف**، تحقيق عبد الله صادق، (د.ط.)، دار الصاوي، القاهرة، ١٩٣٨.

٤٩- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، (د.ط.)، المكتبة العصيرية، بيروت، (د.ت.).

- علي بن ظافر الأزدي (ت ٦٠٣هـ/ ١٢١٦م).

٥٠- **أخبار الدول المنقطعة**، تحقيق عصام هزايمة، (د.ط.)، مؤسسة حمادة، اربد، ١٩٩٩.

- علي بن محمد بن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

٥١- **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

- علي بن محمد التوحيدي (ت ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م).

٥٢- **الإمتاع والمؤانسة**، تحقيق زكي نجيب محمود، (د.ط.)، دار المعارف، تونس، ١٩٨٥.

٥٣- **الرسالة البغدادية**، تحقيق عبود الشالجي، (د.ط.)، منشورات الجمل، بيروت، ١٩٨٧.

-علي بن محمد الشابشتي (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م).

٥٤- **الديارات**، تحقيق كوركيس عواد، ط٣، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦.

- عمر بن مظفر الوردي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).

٥٥- **تاريخ ابن الوردي**، (د.م.)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.

- عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م).

٥٦- **مناقب الترك** (واقع ضمن رسائل الجاحظ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط١، مكتبة الجاحظ، القاهرة، ١٩٧٩.

٥٧- رسائل، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤.

- غريغورس بن هارون بن العبري (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).

٥٨- **تاريخ مختصر الدول**، تصحيح وتعليق أنطون صالحاني، (د.ط.)، دار الرائد اللبناني، بيروت، ١٩٨٣.

-أبو الفداء الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٢م).

٥٩- **البداية والنهاية**، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، (د.ط.)، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٣.

-القاسم بن سلام، أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ ٨٣٨م).

٦٠- **الأموال**، تحقيق محمد خليل هراس، ط١، (د.د.ن.)، (د.م.ن.)، ١٩٦٨.

- قدامة بن جعفر (ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م).

٦١- **الخراج وصناعة الكتابة**، تحقيق محمد حسين الزبيدي، (د.ط.)، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١.

- مجهول، (توفي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي).

٦٢- **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**، تحقيق عمر السعيدي، (د.ط.)، نشره المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٧٢.

- المحسن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م).

٦٣- **الفرج بعد الشدة**، تحقيق عبود الشالجي، (د.ط.)، دار صادر، بيروت، ١٩٨٧.

٦٤- **نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة**، تحقيق عبود الشالجي، (د.ط.)، دار الغرب الإسلامي، ١٩٧١.

- محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ٣٤٨م).

٦٥- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢.

٦٦- **دول الإسلام**، عني بطبعه ونشره عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (د.ط.)، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٩٨٨.

٦٧- **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، (د.ط.)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤.

٦٨- **العبر في خبر من غبر**، تحقيق أبو هاجر زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.

٦٩- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق علي محمد معوض وعادل عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

- محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).

٧٠- **مفاتيح العلوم**، (د.م.)، ط١، دار المناهل، بيروت، ١٩٩١.

- محمد بن إسحاق بن النديم (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).

٧١- **الفهرست**، تحقيق رضا تجدد.

- محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

٧٢- **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط.)، دار سويدان، (د.م.ن.)، (د. ت.).

- محمد بن الحسن بن حمدون (ت ٣٠٩هـ/ ٩٢١م).

٧٣- **التذكرة الحمدونية**، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦.

- محمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م).

٧٤- **عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف**، تحقيق عبد الرحيم محمد عبد الحي علي، (د.ط.)، دار الينابيع، (د. م. ن.)، ١٩٩٧.

- محمد بن عبد الله بن الأبار (ت٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م).

٧٥- **أعتاب الكتاب**، تحقيق صالح الأشتر، ط٢، دار الأوزاعي، ١٩٨٦.

- محمد بن عبد الملك الهمداني (ت ٥٢١هـ/ ١٢٥٩م).

٧٦- **تكملة تاريخ الطبري** (واقع ضمن ذيول تاريخ الطبري)، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧.

-محمد بن عبدوس الجهشياري(ت٣٣١هـ/٩٤٢م).

٧٧- ٧٥-الوزراء والكتاب، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٨٨.

-محمد بن علي الداوودي (ت ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م).

٧٨- **طبقات المفسرين**، (د. م.)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

- محمد بن علي الأزرق (ت ٨٩٦هـ/١٤٩٠م).

٧٩- **بدائع السلك في طبائع الملك**، تحقيق علي سامي النشار، (د. ط.)، منشورات وزارة الإعلام، العراق، ١٩٧٧.

- محمد بن طباطبا بن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م).

٨٠- **الفخري في الآداب السلطانية**، (د. م.)، (د. ط.)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

- محمد بن علي بن العمراني (ت ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م).

٨١- **الأنباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق قاسم السامرائين (د. ط.)، لايدن، ١٩٧٣.

- محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).

٨٢- **لسان العرب**، (د. ط.)، دار صادر، بيروت، (د. ت.).

٨٣- **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، تحقيق أحمد راتب حموش ومحمد ناجي العمر، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨.

- محمد بن هلال الصابئ (غرس النعمة).

٨٤- **الهفوات النادرة**، تحقيق صالح الأشقر، طبع في مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٧.

- محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م).

٨٥- **سراج الملوك**، تحقيق محمد أبو بكر، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٤.

- محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م).

٨٦- **أخبار الراضي والمتقي بالله** (مأخوذ من كتاب الأوراق)، تحقيق هيوت، (د.ط.)، مطبعة الصاوي، القاهرة، ١٩٣٥.

- محمود بن سعيد مقديش (ت ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م).

٨٧- **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق علي الزواوي ومحمد محفوظ، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨.

- مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م).

٨٨- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، (د.م.)، (د.ط.)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢.

- المؤيد بن محمد الجاجرمي (مجهول تاريخ الوفاة).

٨٩- **نكت الوزراء**، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود، (د.ط.)، مركز إحياء التراث العلمي العربي، بغداد، ١٩٨٤.

-الهلال بن المحسن الصابئ (ت ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م).

٩٠- **رسوم دار الخلافة**، تحقيق ميخائيل عواد، (د.ط.)، (د.د.ن.)، بغداد، ١٩٦٤.

٩١- **المنتزع من كتاب التاجي**، تحقيق محمد حسين الزبيدي، (د.ط.)، (د.د.ن.)، (د.م.ن)، (د.ت.).

٩٢- الوزراء أو (**تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، (د.ط.)، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨.

- الوليد بن عبد الله البحتري (ت ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م).

٩٣- **ديوان البحتري**، تحقيق كامل الصيرفي، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.

- ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

٩٤- معجم الأدباء أو (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، (د.م.)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١.

٩٥- معجم البلدان، (د.م.)، (د.ن.)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩.

- يحيى بن شرف الدين النووي (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م).

٩٦- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم، (د.م.)، (د.ط.)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٨.

- يوسف بن تغري بردي(ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م).

٩٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

المراجع العربية :

- أحمد شلبي،

١- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٦٦.

-أحمد علبي،

٢- ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد ٢٥٥-٢٧٠هـ/ ٨٦٩-٨٨٣م، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩١.

٣- ثورة العبيد في الإسلام، دار الآداب، بيروت، (د. ت).

- أحمد محمود صبحي،

٤- الزيدية، ط٢، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٢.

- آدم متز،

٥- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥.

- أيمن فؤاد سيد،

٦- الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢.

- تقي الدين عارف الدوري،

٧- عصر إمرة الأمراء في العـــراق ٣٢٤-٣٣٤هـ/٩٣٦-٩٤٦م، دراســة سياســية، اقتصادية، اجتماعية، ط١، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٥.

- توفيق سلطان اليوزبكي،

٨- الوزارة، نشأتها وتطورها في الدولة العباسية، ط٢، دار الكتب، جامعـــة الموصـــل، ١٩٧٦.

- جرجي زيدان،

٩- تاريخ التمدن الإسلامي، راجعه وعلق عليه حسين مؤنس، دار الهلال، ١٩٥٨.

- حسام الدين السامرائي،

١٠- المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة ٢٤٧-٣٣٤هـ/ ٨٦١-٩٤٥م، قدم له عبد العزيز الدوري، دار الفكر العربي.

- حسن بزون،

١١- القرامطة بين الدين والثورة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ١٩٩٤.

- حسين الكساسبة،

١٢- المؤسسات الإدارية (الدواوين)، جامعة مؤتة، ١٩٩٥.

-حمدان عبد المجيد الكبيسي،

١٣- عصر الخليفة المقتدر بالله ٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٧-٩٣٢م، دراسة في أحوال العراق الداخلية، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٤.

- خالد الجنابي،

١٤- تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثـــاني ٢١٨-٣٣٤هـ/ ٨٣٣-٩٤٥م، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩.

- خليل السامرائي،

١٥- تاريخ الدولة العربية الإســـلامية فـــي العصـــر العباســـي ١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٤٩-١٢٥٨م، مديرية دار الكتب، جامعة الموصل، ١٩٨٨.

- خير الدين الزركلي،

١٦- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجـــال والنســـاء مـــن العـــرب والمســـتعربين والمستشرقين)، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤.

- شوقي ضيف،

١٧- العصر العباسي الثاني، ط٦، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦.

- طه الولي،

١٨- القرامطة أول حركة اشتراكية في الإسلام، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١.

-ضيف الله الزهراني،

١٩- النفقات وإدارتها في الدولة العباسية من سنة ١٣٢-٣٣٤هـ/٧٤٩-٩٤٥م، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨٦.

٢٠- الوزير العباسي علي بن عيسى بن الجراح ٢٤٥-٣٣٤هـ/ ٨٥٩-٩٤٥م، إصلاحاته الاقتصادية والادارية، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٩٤.

-عارف تامر،

٢١- القرامطة، أصلهم، نشأتهم، تاريخهم، حروبهم، دار مكتبة الحياة، بيروت.

- عبد العزيز الدوري،

٢٢- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٧٤.

٢٣- دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ط١، شركة الرابطة، بغداد، ١٩٤٥.

- عبد الكريم عبده حتاملة،

٢٤- البنية الإدارية للدولة العباسية في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ط١، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٨٥.

- عصام سخنيني،

٢٥- ثورة الزنج،

- عمر رضا كحالة،

٢٦- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ط٤، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢.

٢٧- معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣.

- فاروق عمر فوزي،

٢٨- التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، ط٢، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٥.

٢٩- الخلافة العباسية، جزءان، دار الشروق، عمان، ١٩٩٨.

٣٠- الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، ط٢، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٧.

٣١- المدخل إلى تاريخ آل البيت منذ فجر الإسلام وحتى مطلع العصر الحديث، منشورات جامعة آل البيت، المفرق، ١٩٩٩.

٣٢- نشأة الحركات الدينية السياسية في الإسلام (دراسة تاريخية)، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩.

- كارل بروكلمان،

٣٣- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٤٩.

- محمد باقر الحسيني،

٣٤- العملة الإسلامية في العصر الأتابكي، مطبعة دار الحافظ، بغداد، ١٩٦٦.

- محمد جمال الدين سرور،

٣٥- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، (د.ط.)، دار الفكر العربي، ١٩٦٥.

- محمد الخضري بك،

٣٦- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، دار الفكر العربي، القاهرة، - ١٩٧.

-محمد عبد الحي شعبان،

٣٧-الدولة العباسية (الفاطميون ١٣٢-٤٤٨هـ/٧٥٠-١٠٥٥م)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١.

- محمد عبده،

٣٨- الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ط٢، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٣.

- محمد كرد علي،

٣٩- أمراء البيان، ط٣، دار الأمانة، بيروت، ١٩٦٩.

-محمد نجيب أبو طالب،

٤٠- الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية، دار المعارف، ١٩٩٠.

- مصطفى غالب،

٤١- الحركات الباطنية في الإسلام، ط٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٢.

٤٢- القرامطة بين المد والجزر، ط٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣.

- ميكال يان دي خويه،

٤٣- القرامطة، نشأتهم، دولتهم، وعلاقتهم بالفاطميين، ترجمة وتحقيق حسني زينة، ط١، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٨.

- نعمان ثابت،

٤٤- العسكرية في عهد العباسيين، مديرية المطابع العسكرية، بغداد، ١٩٨٧.

- وهبة الزحيلي،

٤٥- الفقه الإسلامي وأدلته، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩.

- يوسف العش،

٤٦- تاريخ عصر الخلافة العباسية، راجعه ونقحه محمد أبو الفرج العش، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢.

- المراجع الأجنبية:

- Bowen, Harold,

1- **The life and Times of Ali Ibn Isa, The Good Vizier**, Cambridge, London, 1927.

- Grunebaum, Von,

2- **Classical Islam, A History 600-1258**, London, 1967.

- Muir, William,

3- **The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall**, Beirut, 1963.

- Sourdel, Domenik,

4- **Le Vizirat Abbaside De 749 A 936 (132 a 324 de L'Heire)**, 2 vol, Damascus, 1960.

- البحوث الأجنبية:

- Bowen, Harold,

1- Ali Ibn Isa, **Encylopaedia of Islam.**, New Edition,V.I., Leiden,1960.

- Sourdel, Dominik,

2- Ibn Makhlad, **Encylopaedia of Islam.**, New Edition, Leiden, V.III 1979.

- البحوث والمقالات المعربة :

هناك مجموعة من المقالات المعربة في دائرة المعارف الإسلامية منها :

Zettersteem:

- بجكم، دائرة المعارف الإسلامية، ج٣، ١٩٣٣.

- ابن الجراح، دائرة المعارف الإسلامية، ج١، ١٩٣٣.

- ابن مخلد، دائرة المعارف الإسلامية، ج١، ١٩٣٣.

-جعفر المقتدر، دائرة المعارف الإسلامية، ج٢، ١٩٣٣.

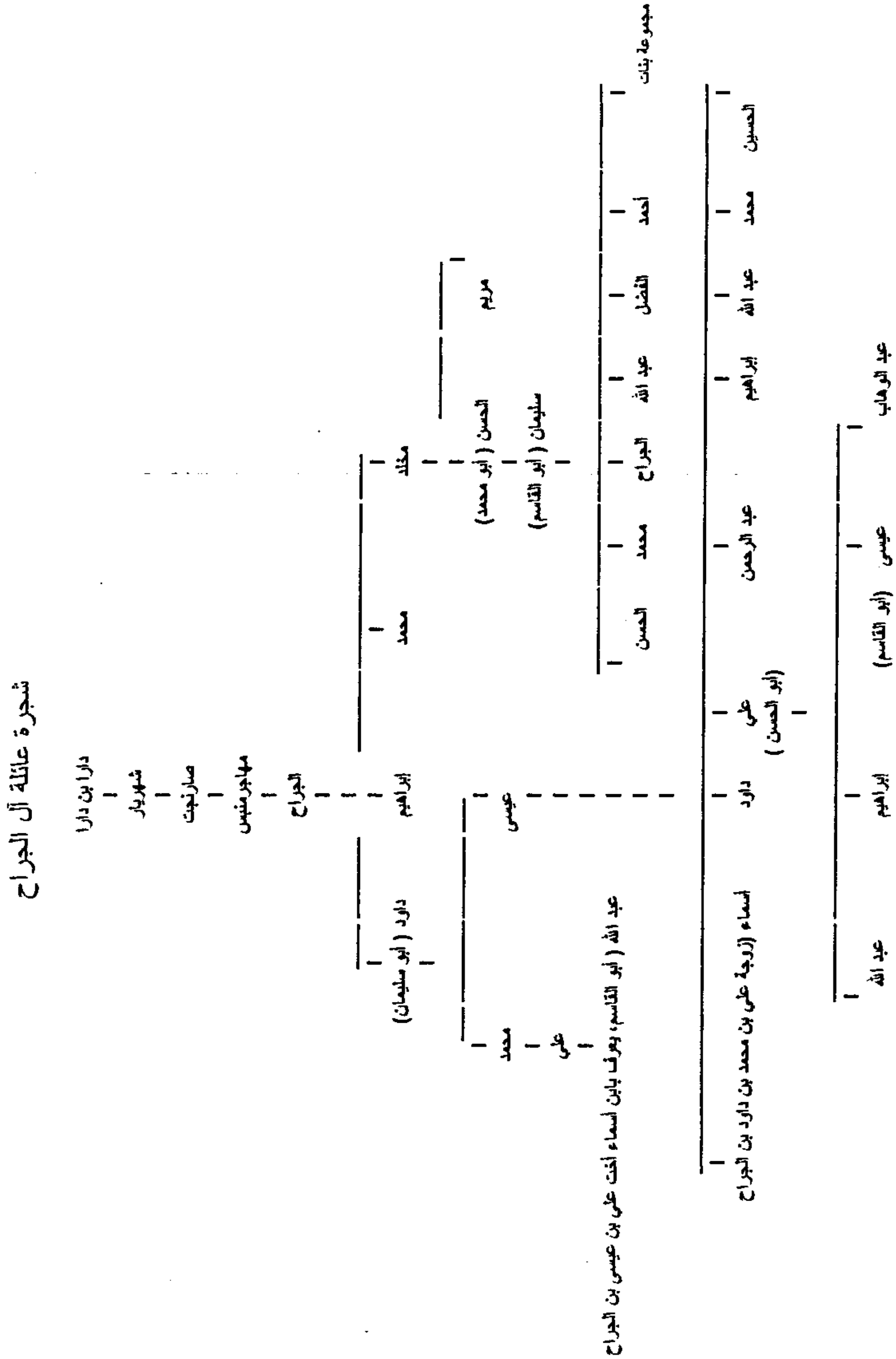
- أمير الأمراء، دائرة المعارف الإسلامية، ج٢، ١٩٣٣.

Strothmann:

- الأطروش: دائرة المعارف الإسلامية، ج٢، ١٩٣٣.

- عبدالواحد طه ذنون، آل الجراح في العصر العباسي الثاني، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٤٥، ١٩٩٨.

الملحق رقم (١) يبين شجرة نسب آل الجراح*



* ماخوذ من كتاب Bowen, **Ali Ibn Isa,** op cit. P.34. ، مع حذف بعض الأسماء التي ثبت أنـــها لا تنتمـــي لهذه الأسرة.

ملحق رقم (٢) بأسماء الخلفاء والوزراء في الفترة

ما بين ٢٥٦-٣٣٤هـ/٨٧١-٩٤٥م

اسم الخليفة	اسم الوزير	فترة وزارته	عدد المرات
المعتمد على الله ٢٥٦-٢٧٩هـ	عبيد الله بن يحيى بن خاقان	رجب ٢٥٦-٢٦٣هـ	
	الحسن بن مخلد بن الجراح	٢٦٣هـ ثم عزل في نفس السنة	
	سليمان بن وهب	ذو الحجة ٢٦٣-٢٦٤هـ	
	الحسن بن مخلد بن الجراح	٢٦٤هـ عزله الموفق في نفس السنة	للمرة الثانية
	سليمان بن وهب	٢٦٤هـ-٢٦٥هـ	للمرة الثانية
	إسماعيل بن بلبل	ذو الحجة ٢٦٥- صفر ٢٧٧هـ	
	أحمد بن صالح بن شيرزاد	صفر ٢٧٧هـ وعزل في نفس السنة	
	عبيد الله بن سليمان بن وهب	٢٧٧- ربيع ثاني ٢٨٨هـ	
المعتضد بالله ٢٧٩-٢٨٩هـ	عبيد لله بن سليمان بن وهب	استبقي	
المكتفي ٢٨٩-٢٩٥هـ	القاسم بن عبيد الله	ربيع الثاني ٢٨٨هـ-٢٩١هـ	
	العباس بن الحسن الجرجاني	٢٩١- ربيع أول ٢٩٦هـ	
المقتدر بالله ٢٩٥-٣٢٠هـ	العباس بن الحسن	استبقي	
عبد الله بن المعتز ٢٩٦هـ يوم واحد فقط	محمد بن داود بن الجراح	٢٩٦هـ/ بعد الفتنة	تولى يوم واحد فقط
المقتدر بالله	علي بن محمد بن الفرات	ربيع أول ٢٩٦- ذو الحجة ٢٩٩هـ	
	محمد بن عبيد الله الخاقاني	ذو الحجة ٢٩٩- محرم ٣٠١هـ	
	علي بن عيسى آل الجراح	محرم ٣٠١- ذو الحجة ٣٠٤هـ	
	علي بن محمد بن الفرات	ذو الحجة ٣٠٤ – جمادى الأولى ٣٠٦هـ	للمرة الثانية
	حامد بن العباس	جمادى الآخرة ٣٠٦- ربيع ثاني ٣١١هـ	
	علي بن محمد الفرات	ربيع ثاني ٣١١-ربيع أول ٣١٢هـ	للمرة الثالثة
	عبيد الله بن محمد الخاقاني	ربيع أول ٣١٢- رمضان ٣١٣هـ	

	أحمد بن عبيد الله الخصيبي	رمضان ٣١٣- ذو القعدة ٣١٤هـ	
	علي بن عيسى بن الجراح	ذو القعدة ٣١٤-ربيع أول ٣١٦هـ	للمرة الثانية
	محمد بن علي بن الحسن (ابن مقلة)	ربيع أول ٣١٦- جمادى أولى ٣١٨هـ	
	سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح	جمادى أولى ٣١٨- رجب ٣١٩هـ	
	عبيد الله بن محمد الكلوذاني	رجب ٣١٩- رمضان ٣١٩هـ	
	الحسين بن القاسم	رمضان ٣١٩- ربيع ثاني ٣٢٠هـ	
	الفضل بن جعفر (ابن الفرات الثاني)	ربيع ثاني ٣٢٠ — شوال ٣٢٠هـ	
القاهر بالله ٣٢٠-٣٢٢هـ	محمد بن علي (ابن مقلة)	شوال ٣٢٠- شعبان ٣٢١هـ/	للمرة الثانية
	محمد بن القاسم بن عبيد الله	شعبان ٣٢١- ذو القعدة ٣٢١هـ	
	أحمد بن عبيد الله الخصيبي	ذو القعدة ٣٢١- جمادى أولى ٣٢٢هـ	للمرة الثانية
الراضي بالله ٣٢٢-٣٢٩هـ	محمد بن علي (ابن مقلة)	جمادى أول ٣٢٢- جمادى أول ٣٢٤هـ	للمرة الثالثة
	عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح	جمادى أول ٣٢٤- جمادى ثاني٣٢٤هـ	
	محمد بن القاسم الكرخي	جمادى ثاني ٣٢٤- رجب ٣٢٤هـ	
	سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح	رجب ٣٢٤- ذو الحجة ٣٢٤هـ	للمرة الثانية
	الفضل بن جعفر (ابن الفرات الثاني)	ذو الحجة ٣٢٤- ربيع ثاني ٣٢٦هـ	للمرة الثانية
	محمد بن علي (ابن مقلة)	ربيع ثاني ٣٢٦- شوال ٣٢٧هـ/	للمرة الرابعة
	الفضل بن جعفر (ابن الفرات الثاني)	شوال ٣٢٧- رجب ٣٢٧÷ـ	للمرة الثالثة
	أحمد بن محمد البريدي	رجب ٣٢٧- ذو القعدة ٣٢٨هـ	
	سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح	ذو القعدة ٣٢٨-شعبان ٣٢٩هـ	للمرة الثالثة
المتقي بالله ٣٢٩-٣٣٤هـ	سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح	استبقي	
	أحمد بن محمد بن ميمون	شعبان ٣٢٩- رمضان ٣٢٩هـ	

	أحمد بن محمد البريدي	رمضان ٣٢٩- شوال ٣٢٩هـ	للمرة الثانية
	محمد بن أحمد الأسكافي القراريطي	شوال ٣٢٩- ذو القعدة ٣٢٩هـ	
	محمد بن القاسم الكرخي	ذو القعدة ٣٢٩- ذو الحجة ٣٢٩هـ	للمرة الثانية
	أبو عبد الله الكرفي	ذو الحجة ٣٢٩- ربيع الثاني ٣٢٩هـ	كاتب امير الأمراء
	أحمد بن محمد البريدي	ربيع ثاني ٣٣٠-جمادى أول ٣٣٠هـ	للمرة الثانية
	محمد بن أحمد الإسكافي القراريطي	جمادى أول ٣٣٠- جمادى ثاني ٣٣٠هـ/	للمرة الثانية
	علي بن محمد بن علي (ابن مقلة)	رمضان ٣٣١-صفر ٣٣٣هـ	
	محمد بن علي السامري	صفر ٣٣٣-٣٣٤هـ	

* السامرائي، **المؤسسات الإدارية**، مرجع سابق، ص ١٨٦-١٩٠.

*ملحق رقم (٣) نسخة نص علي بن عيسى بن الجراح في إسقاط التكملة في إقليم فارس[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين إلى النعمان بن عبد الله، سلام عليك، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد فإن أفضل الأعمال قدراً وأجملها ذكراً، وأكملها أجراً، وأذخرها ذخراً، ما كان للتقى جامعاً، وللهدى تابعاً، وللورى نافعاً، وللبلوى دافعاً، وقد جعل الله أمير المؤمنين فيما استرعاه من أمور المسلمين مؤثراً ما يرضيه، مثابراً على ما يزلف[2]عنده ويُحظيه، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله، عليه يتوكل، وبه يستعين ."وقد عرفت حال السجزية والخرمية الذي تغلبوا على كور فارس وكرمان، واستعملوا الجور والعدوان، وأظهروا العتو والطغيان، وانتهكوا المحارم، وارتكبوا العظائم، حتى أنفذ أمير المؤمنين جيوشه إليهم، وتورد بها عليهم، فأزالهم وأبادهم ، وشتتهم وأبارهم[3] بعد حروب تواصلت، ووقائع تتابعت، أحل الله بهم فيها سطوته، وعجل لهم نقمته، وجعلهم عبرة للمعتبرين، وعظة للمستمعين. "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد" [4]. ولما محق الله أمر هؤلاء الكفار، وفرق عدد أوباشهم الفجار، وجد أمير المؤمنين افظع ما اخترعوه، وأشنع ما ابتدعوه، في مدتهم التي طال أمدها، وعظم ضررها، تكملة اجتبوها بكور فارس في سني غوايتهم لما طالبوا أهلها بالخراج على أوفر عبرتهم.[5] من غير اقتصار فيه على الموجودين، حتى فضوا [6]عليهم خراج ما خرب من ضياع المفقودين، فأنكر أمير المؤمنين ما استقر من هذا الرسم الذميم، وأكبر ما استمر به الظلم العظيم، ورأى صيانة دولته عن قبيح معرته، وحراسة رعيته من عظيم مضرته، مع كثرته

---

[1] الصابئ، الوزراء، مصدر سابق، ص ص ٣٦٩-٣٧١.

[2] أزلفه: قربه.

[3] أبارهم : أهلكهم.

[4] الآية ١٠٢ من سورة هود.

[5] العبرة من معانيها : الأصل الذي ترد إليه النظائر.

[6] فضوا : قسموا وفرقوا.

ووفور جملته، فارفع عن الرعية هذه التكملة رفعاً مشهوراً، فقد جعل الله من سنها مدحوراً، وناد في المساجد الجامعة بإزالتها وإبطال جبايتها. ليذيع ذلك في الجمهور، ويتمكن السكون إليه في الصدور، ويحمد الله الكافة على ما أتاحه الله لها من تعطف أمير المؤمنين ورعايته، وجميل حياطته وعنايته، وأجب بما يكون منك في ذلك، فإن أمير المؤمنين يتوكفه[1] ويراعيه ويتشوفه إن شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله. وكتب علي بن عيسى يوم الخميس النصف من رجب سنة ثلاث وثلاثمائة.

---

[1] يتوكف الخبر: ينتظر ظهوره، ويتوكف الأثر: يتتبعه.

* ملحق رقم (٤) القائمة المفصلة السنوية لـــواردات الدولـــة العباســـية ســـنة ٣٠٦هـ/٩١٨م حسب قائمة الوزير علي بن عيسى بن الجراح [1]

أولا جباية السواد :

١,٨٤٧,٧٣٤	دينار	أموال السواد وطساسيجه وصدقات أراضي المغـــرب (أي الغـرب) بالبصرة والمراكب بها وسائر ما ينسب إليها ويجري معها. وتفصيل ذلك ما يلي :
١٦٦,٢٨٣		بادوريا وكلوذي ونهربين
١٩٨,٣١٣		الأنبار وقطربل، وسد
٧٥,٥٧٦		بهرسير، والرمقان، وإيغار يقطين، وجازرو المدينة العتيقة
٢٥,٠٠٠		كوثي، ونهر درقيط
٩,٥٢٦		الزاب الأعلى، ونهر كشتاسب
١٦,٧٣٦		الفلوجه العليا، والارحاء
١٣,٥٨٥		الفلوجه السفلى، والنهرين وعين التمر
١٤٠,٢٥٩		السيب الأعلى، وسوراء، وبابل، وخطرنيه، وباروسما الأعلى
٣٨,٣٥٠		نهر الملك، ومورجان، ونهر جوبر، والاساسان، والمالكيات
٤٦,٣٣٦		باروسما الأسفل
١١٠,١٥٤		طساسجة الكوفة والخزن
٥٠,٢١٩		العمارات بسرمن رأى
٢٠,٥٩٠		نهر بوق، والدير الأسفل
٢٤,٣٠٠		بزرجسابور
٢٠,٠٣٥		الراذانان
١٣,٦٦٦		روستقباد
٤٦,٤٨٠		النهراون الأعلى، وسمنطاوي
٤٠,٣٢٧		النهروان الأوسط

[1] الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٥٩ وما بعدها.

النهروان الأسفل		٦٠,٥٣٢
الصلح والمنازل	دينار	١٥٩,٠٨٩
بادوريا، وباكسايا		٤٢,٤٩٩
واسط مع (الضياع) الخاصة والمستحدثة، والعباسية بعد النفقات الراتبة		٣١٠,٧٢٠
البصرة وكوردجلة		١٢١,٠٩٥
المراكب بالبصرة		٢٢,٥٧٥
أموال الضمانات وما يؤدي عن فصول الأنهار مما ينسب إلى المفردات		٤٢,٧٥٠
العبارة بهيت		٨٠,٢٥٠
أسواق الغنم بمدينة السلام وسر من رأى وواسط والكوفة والبصرة.		١٦,٩٧٥
دور الضرب بمدينة السلام وسر من رأى وواسط والكوفة والبصرة.		٦٠,٣٧٠
الجوالى بمدينة السلام		١٦,٠٠٠
ما يؤدي إلى الحضرة عن مال الارتفاقات والجشر والمقاطعات	دينار	١٣,٨٧٤
مجموع جباية السواد بخلاف ما جمعه زيدان حيث حصل خطأ في جمع قائمته قدره عشرة آلاف دينار زيادة عن المجموع الحقيقي ومع ذلك فهناك فرق كبير بين المجموع والمجمل المذكور في أول القائمة، والظاهر أن السبب فيه يرجع إلى خطأ في قراءة الأعداد في الأصل.	دينار	١,٨٣٦,١٨١

ثانيا : جباية المشرق :

كور الأهواز ضماناً على إبراهيم بن عبد الله المسبع وغيره.	دينار	١,٢٦٠,٩٢٢
أموال فارس مع ما يسوقه مؤنس الخادم، مع ما في أيدي أصحاب الأطراف، مما يرد نقلاً فقط.		١,٦٣٤,٥٢٠
ضياع الأمراء بهذه النواحي مع مال المراكب بسيراف		٢٥٨,٠٤٠
كرمان مع ضياع الأمراء سوى مال العهد والورح (؟) وقرى المغازة وما يسوغه مؤنس الخادم عن مال الخزن والجهبذة.		٣٦٤,٣٨٠
مقاطعة عمان سوى اللطف (الهدايا) المحمولة إلى الحضرة.		٨٠,٠٠٠

٦,٥٧٠,٥٢٥		ارتفاع الخراج والضياع العامة بالمشرق على العقد والارتفاع بالأمانة والضمانة والخراج والأعشار والأخماس بالري والدوماوند مع ما فيه مما استخرجه.
٤٦٥,٠٧٨		ابن داودان وأحمد بن علي
١٢٢,٦٤٤		الضياع بها
		(قزوين وزنجان وأبهر)
١١٥,٧١٠		الخراج
٧٥٨,٢٩٠		الضياع
١٩٧,٢٢٩		الخراج
٨٠,٢٢٩		الضياع
		(أصفهان)
٤١٠,١٧٨		الخراج على العقد المجددة مع خراج الأكراد وما يفعل من الإيغار وضياع السلطان.
١٨٩,٣٣٤		الضياع بها
		(ماه البصرة والأيغارين)
١٨٥,٦٣٦		الخراج
٢٦٧,٥٢٠		الضياع
		(همدان)
١٥٠,٤٨٠		الخراج
٥٥,٧٨٠		الضياع
		(ماسبذان)
٥٧,٤٧٦		الخراج
١٦,٧٥٠		الضياع
١٧,٦٢٥		ساوه، ودار الضرب بها
١٠٥,٦٧٨		ماء الكوفة بالخراج سوى الضياع الراسية والمستحدثة والطعم.
٨٩,٥٠٠		الضياع بها.
٣٠,١٥٠		خلوان عن الخراج والضياع

٢٢٦,٣٧٠		أذربيجان وأرمينية على المعارفة التي فورقت عليها سبيل السعر
٦,٤٣٩,٦٦٣	دينار	مجموع جباية المشرق

ثالثا : جباية المغرب :

٤,٧٤٦,٤٩٢	دينار	مجمل ما يتعلق بالمغرب (ما يقع غرب دجلة من الولايات) وتفصيل ذلك كما يلي :
٢٩٠,٧٧٣		مصر والاسكندرية بعد الاحتسابات القديمة، سوى مصادرة المـاذرائيين ومال المرافق والتجارة وأثمان الغنائم
١,٠٨٠,٠٠٠		جند فلسطين بعد الاحتسابات
٨٠,٧٥٠		مال (؟)
٢٣٠,٤٦٧		جند الأردن بعد الاحتسابات
٤٠,٤٦٠		مال (؟)
١٠٢,٠٦٢		(؟)
١١٣,٠٥٧		جند دمشق بعد الاحتسابات
٣١٥,٣٠٠		مال
٢٠٠,٤٦٠		جند حمص بعض الاحتسابات
١١٥,١١٤		مال
١٣٣,٠٩٧		جند قنسرين والعواصم بعد الاحتسابات
٣٥٢,٥٧٠		مال
١٥,٧٦٥		دلوك ورعبان
٥٢,٩٨٥		الثغور الشامية سوى صلح أحمد بن الحسين الكاتب
٥,٣٩٧		شمشاط وحصن منصور وكيسوم
٦٥,٣٣٢		مال
١٤,٥٠١		سميساط وملطية بعد الاحتسابات
٣٤,١٢٠		مال
٥,٤٧٨		أمد سوى ما جمع من إقطاع وكاسة بعد الاحتسابات
٨٢,٤٢٢		مال

٥٦,٧٥٠		أرزن، وميافارقين بعد الاحتسابات
٨٢,٤٢٢		مال
٢٥٧,٢٢٥		ديار مضر
٢٢,٧٩٧		ديار ربيعة
٣٠٤,٠٩٣		مال
١٧,٧٥٠		الموصل، وماردين، وبهذرا، والرساتيق الجبلية بعد الاحتسابات
٤٩٢,٤٣٠		مال
٩٦,٥٨٤		طريق الفرات
٤,٦٦٠,٣٤١	دينار	مجموع جباية المغرب

رابعا : جباية الأموال الخاصة :

٢٨٩,٠٣٦	دينار	الضياع المستحدثة بعد الذي جرى في ضمان واسط أسوة حال الخاصة
٥١٩,٤٤٧		أموال الخاصة سوى ما كان منها بنواحي واسط فإنه أضيف إلى أموال العامة وخلط بها ودخل في حمولتها ونفقاتها. ١٨٥,٤١١ العبر ١١٦,١٦٠ الأهواز ٧٢,٦٢٦ المشرق ١٠٤,٠٠٠ المغرب
١٨,٧٧٨		هيث وأعمالها سوى ضياع السكر ٨,٣٤٠ العبر ٥,٢٦٢ الأهواز ٥٨,٤٥٠ المغرب ٦٢,٢٠٠ المشرق
١٤٤,٧٦٠		مال الضياع العباسية سوى ما هو بنواحي واسط ١٤,٧٣٢ العبر ١٤,٢٤٦ الأهواز ٣٠,٦٧٢ المشرق ٧٥,١١٦ المغرب

٠٠٤,٥٧٠		مال الموقوف للمساجد سوى ما كان منها بواسط ٢٢,٨٦٩ المشرق ٧٥,١١٦ المغرب
٦١٧,١٢٦	دينار	مال الضياع الفراتية : ١٧٠,٢٢٦ العبر ١٢٩,٧٢٤ الأهواز ٩٧,٣٣٦ فارس ٩٥,٢٧٨ المشرق ١١٤,٢٢٥ المغرب
١٠٠,٣١٨		مال الضياع المفردة في سنة ثلاث وثلثمائة
٧٦,٩٨٠		مال الخزن والجهبذة، سوى ما يجمعه العمال مع أصول الأموال وسوى ما يسوغه مؤنس الخادم منها بفارس وسوى ما دخل منها بضمان واسط
١,١٧١,٠١٥		مجموع جباية الأموال الخاصة

الخلاصة :

١,٨٣٦,١٨١ دينار جباية السواد

٦,٤٣٩,٦٦٣ دينار جباية المشرق

٤,٦٦٠,٣٤١ دينار جباية المغرب [1]

١,١٧١,٠١٥ دينار جباية الأموال الخاصة والأعمال المسماة والموقوفة وغيرها

١٤,٧٠٧,٢٠٠ دينار مجموع جباية الدولة حسب قائمة علي بن عيسى لسنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م.[2]

[1] يتكرر وجود خلاف بين المجمل ومجموع المفصل في قائمة المغرب إذ ذكر علي بن عيسى أن مجمل ما يتعلق بالمغرب وأجناده هي (٤,٧٤٦,٤٩٢) دينار.

[2] الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ٥٩ وما بعد.

* ملحق رقم (٥) القائمة المفصلة السنوية لنفقات الدولة العباسية سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م حسب قائمة الوزير علي بن عيسى بن الجراح[١]

الصنف	عدد أيام الشهر	المبلغ الشهري	المبلغ السنوي
للأتراك في المطابخ الخاصة والعامة، وما يقام خارج الدار، وعلوفة الكراع، والطير والوحش على ما استقر عليه الأمر في أصول الإقامات والأسفار على المقاطعات مياومات ومشاهرات.[٢]	٣٠ يوماً	٤٤,٧٠ دينار	٥٢٨,٨٤٠ دينار
السيدة – أم المقتدر شغب – والأمراء والحرم والخدم	٣٠ يوماً	٦١,٩٣٠	[٣] ٧٤٣,١٩٦
أجرة ساسة الكراع – الخيل والبغال والحمير والأبقار والأغنام– في سائر الإصطبلات، وأرزاق المرتزقة فيه وثمن العلاج وجاري من برسم خزائن السروج	٣٧ يوماً قسط ٣٠ يوما	٨٢٠٠ – ٢٠٠١٨٠	— ٧٩٧٧٦
جاري الرجالة في شذاة الخاصة [٤] وأربع شذاة مرتبطة بالحضرة	٣٠ يوماً	١٠٢	١٢٨٠
أرزاق الجلساء ومن يجري مجراهم	٤٥ يوماً قسط ٣٠ يوما	٥٠٣,٨١١ ١٢٣،٥٧٠	٢٣٢،٣١٥

---

١ الزهراني، الوزير علي بن عيسى، مرجع سابق، ص ص ٨٣-٨٤.

٢ المياومة : المعاملة باليوم، والمشاهرة تعني المعاملة بالشهر.

٣ إن حاصل المبلغ السنوي لا يتفق مع المخصصات الشهرية، ولعل الاختلاف راجع إلى كون أيام الشهر غير متساوية.

٤ الشذاة الخاصة : هي نوع من سفن النهر الصغيرة، وهي خاصة بالخليفة وحاشيته.

ثمن الجوارح وكسوة الكراع وهناء [1] الإبل وكسوة المحتسبين في الدار[2]، والطبالين[3]، وعلوفة الغنم السوادية[4]، وصلات الأئمة، وثمن النعاج والبقر الحبشي[5] وعلوفتها، وصلة الفراشين بسبب القلنداس[6]، والنفقة على سماكي العيدين[7]. وثمن الأضاحي والثلج، وما يطلق لصاحب الشرطة لحمل الأعلام في العيدين، وثمن الرطاب وثمن سروج الدهاقين[8]، ثمن القلوس[9]، للماصر الأسفل[10]، وثمن الكمأة المقددة			٢٤٠٠٧
جاري الغلمات الحجرية[11]، وأولاد المستشهدين، والموكبية[12]، في ناحية شفيع[13]، والصناع في خزائن الكسوة،	٥٠ يوما	٣٧٦٠٤	
وخزائن السلاح وخزائن الفرش	قسط ٣٠ يوم	١٤٥٦٠	٢٧١٥٢٠
نفقات الجوائز والهبات	قسط شهر من ثلاثة أشهر	٢١٠٠٠	٢٥٢,٠٠٠

[1] هناء الأبل : دهن الأبل النفط أو القطران ونحوهما

[2] دار الخلافة .

[3] هم الذين يقرعون الطبول في دار الخلافة وقت الصلاة .

[4] نسبة إلى إقليم السواد، والغنم السوادية من الأغنام الجيدة سواء في لحمها أو في صوفها.

[5] تنسب إلى بلاد الحبشة، وتشتهر بكثرة ألبانها.

[6] من أعياد النصارى، ويعرف اليوم بعيد رأس السنة الميلادية.

[7] أي ما يهيأ من الأطعمة في دار الخلافة في عيدي الفطر والأضحى

[8] حبال بها فتحات واسعة لتؤخذ بها الدواب

[9] القلوس جبل ضخم مخصص لربط السفن على الشواطئ

[10] الماصر: سلسلة تمنع المرور من أجل استيفاء عشور التجارة سواء في الموانئ أو الأنهار أو الطرق البرية.

[11] نسبة إلى سكناهم في حجر خاصة.

[12] نسبة إلى الذين يرافقون موكب الخليفة

[13] شفيع اللؤلؤي، خادم المقتدر، وصاحب الشرطة، ولعل المقصود ناحية الشفيعي من نواحي بغداد المشهورة.

كسوة الخليفة وفرشه من الطرز [١] بالأهواز، وتستر[٢]، وجهرم[٣]، ودار أبجرو[٤]			٨١٤,٠٠٠
لحوادث النفقات[٥]		١٦٥٣٠	١٧٨٩٤٠
ما ينفق على البناء والمرمة.[٦]			٥١١٠٠
ثمن الشعير المحمول من الناحي لقضيم الكراع			١٦٨٥٥
أجرة حمل الشعير			٣٣٩٠٠

١ جمع طراز، وهي دور النسيج الخاصة بالخلفاء والأمراء، وقد اشتهرت الأهواز بالطرز الجيدة.

٢ مدينة مشهورة بخوزستان، كانت مشهورة بصناعة العمائم والثياب.

٣ مدينة بفارس تشتهر بصناعة البسط الفاخرة.

٤ مدينة بفارس تشتهر بصناعة الثياب الجيدة.

٥ حوادث النفقات : هي النفقات الطارئة كتلك التي تحدث بدون سابق إنذار، سواء للأشخاص أو البلدان، وسواء في المال أو الزراعة، وتتمثل في الفيضانات والحرائق، والزلازل أو السرقات فتقوم الدولة بتعويض الشخص أو أهل تلك الناحية. انظر : ضيف الله الزهراني، **النفقات**، مرجع سابق، ص ٤٧٣.

٦ إقامة المباني والمنشآت الحكومية والعمل على ترميم وصيانة ما يحتاج إلى ذلك.